سلسلة الحقيقة الصعبة (٥)

العلويون النصيريون

بحث في العقيدة والتاريخ

أبو موسى الحريري

دار لأجل المعرفة
ديارعقل–لبنان
٢٠٠٢

سلسلة "الحقيقة الصعبة"

دار لأجل المعرفة، ديارعقل–لبنان. قياس (١٧×٢٤)

١. **قسّ ونبيّ**، بحث في نشأة الإسلام، أبو موسى الحريري، ٢٠٠١، ٣١٤ ص.

٢. **نبيّ الرحمة** ، بحث في مجتمع مكّة، أبو موسى الحريري، ١٩٨٥، ٢٠٨ ص.

٣. **عالم المعجزات**، بحث في تاريخ القرآن، أ. موسى الحريري، ١٩٨٦، ٢٥٠ ص

٤. **أعربيٌّ هو؟** بحث في عروبة الإسلام، أبو موسى الحريري، ١٩٩٠، ٢٥٤ ص

٥. **العلويّون النّصَيريّون**، بحث في العقيدة والتاريخ، أ.م. الحريري، ٢٧٢ ص

٦. **بين العقل والنبيّ**، بحث في العقيدة الدرزيّة، أنور ياسين، ١٩٨١، ٤٦٤ ص.

٧. **رسائل الحكمة**، (كتاب الدروز المقدّس)، حمزة بن عليّ، إسمعيل التميمي، بهاء الدّين السّموقي، طبعة ٥، ١٩٨٦، ٨٦٤ صفحة.

٨. **مصادر العقيدة الدرزيّة**، حامد بن سيرين، ١٩٨٥، ٥٧٦ صفحة.

٩. **السلوك الدرزي** أنور ياسين، ١٩٨٦، ٢١٨ صفحة.

١٠. **مذبحة الجبل**، (حسر اللّثام عن نكبات الشـام، تاريخ الحرب الأهليّة الدامية في لبنان سنة ١٨٦٠)، شاهين مكاريوس، ١٩٨٣، ٣١٠ صفحات.

١١. **المسيـحيّة في مـيزان المسلمين**، (ردّ على كتـاب "الإسلام والمسـيحـيّة في الميزان" لـ شريف محمّد هاشم)، أبو موسى الحريري، ١٩٨٩، ٢٥٦ ص.

١٢. **نَزَعنا القناع**، (ردّ على كتاب "أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح"، لـ أحمد زكي)، ١٩٩٧، ٣٦٠ ص

١٣. **رغـبات النـفس والجسـد**. (الحـيـاة الجنسيّـة في الإســلام)، أبو مـوسى الحريري، ٢٠٠٠، ٢٨٨ ص.

١٤. **موازين «الحـقيقـة الصعـبة»**، (ردّ الحريري على ردود مـسلمين)، ٢٠٠٠، ٢٣٦ صفحة.

١٥. **نصارى القرآن ومسيحيّوه**، أ.جوزف قزّي، ٢٠٠٢، جزآن في ٦٤٠ صفحة.

١٦. **المسـيـحـيّـة في ردود المسلمين**، أ. جـوزف قزّي، ٢٠٠٢، جـزآن في ٦٤٠ صفحة.

المقدمة

قد يـكون البحثُ الذي نُقـدمُ عليه ذا خطورةٍ تفـوقُ خطورةَ أيِّ بحثٍ آخر، ذاك لأنّه يتناولُ العـلويّينَ النّصيريّينَ بمذهبِـهم وتاريخِهم وتقـاليدِهم وسرّيّةِ كُتُـبهم ونظرتِهم الخاصّة إلى الكونِ والإنسـان... أمّا الخطورةُ ففي «التَّـقيَّـة» التي هي من صلْبِ إيمانِهم، أعني في السّـرِّ الذي ينبـغي أن يغلِّفَ العـقـيـدةَ، فـلا تُمَسُّ، ولا تُبْـحَثُ ، ولا يَتطرَّقُ إليـهـا قَلَم... يُقـال إنّه تحـدٍّ ومغامرة. وفي هذا تكمنُ قيمةُ طلبِ المعرفةِ وتلذُّ أعباءُ البحثِ عن الحقيقة...

بيد أنّ هذا التحـدّي في كشفِ سرٍّ «حرام»، نربأ بأنفسنا أنْ نحـسَبَه تعدّياً أو إهانـةً أو مَسًا بكرامـة، بل إنّ ما يحـدونا إلى ذلك نيّاتٌ سليـمة. إنّه التـوقُ إلى المعرفـة؛ وحقُّ الجـار في التعـرّفِ إلى جـاره؛ إنّه أخيـراً، وعلى الأخص، كون الدينِ العلوي، بعد أن كان سالِفًا يمثّل مـعتَقَدًا وحسب، يعتنقُه أقليّةٌ في جبالِ العلويين، أصبحَ، منذ سنة ١٩٧٠، فاعِلاً مرجِّحًا ومحرِّكاً في السياسة، لا في سوريا التي يتبوأُ قـمّةَ الحكمِ فيها رئيسٌ علويٌ فحسب، بل في الشرقِ العربي والإسلامي، بل ربّما في السياسة الدوليّة بمجملها.

من هذا الحاضـر الذي يعتبره العلويّون تتـويجًا لتاريخِهم مـن جهة، بسـيطرتهم المطلقـة على الدولة الـسوريّة ذات الأكـثـرية المسلمـة السنّيـة، ويعتبروه، من ناحية أخرى، انتقـامًا للماضي المشحون قهرًا واضطهادًا؛ من هذا الحاضر نرتدّ إلى الماضي فَنُطْلِعُ من الزوايا والخبايا، ما طوتْهُ قرونٌ، إمّا لقلّةِ الاكتـراث بأحداثٍ مـقتصـرةٍ على فريقٍ شـبهِ مهـملٍ يعيشُ في رقـعةٍ محدودة، وإمّا لموجـباتِ « التّقيّة» التي حالت دون كشـف الكثير من جوانب المذهب والعقيدة.

في القرن الذي انطلق العالَمُ فيه يخطو خطواتٍ جبّارة في مختلف ميادين العلوم، لا يجوز أن تبقى شعوبٌ مُغْلَقَة غير فاعلة وغير منفعلة في هذه الميادين، كما أنّه لا يجوز أن تغلّفَ أسرارٌ مجتمعاتٍ بشرية، لم تمسَّها عقولُ الباحثين ولم تُكشَف للنور. فَلَعَلّ تعريضَ السرّ لنورِ المعرفةِ والأبحاث العلميّة يسهم في تفتيتِ شرٍ وإنماءِ خير، في التخلّصِ من القوقعة والانفتاحِ على السوى...

من هنا، بعقلٍ منفتحٍ، وقلبٍ محبٍّ، أُقدِمُ على العمل ناقلاً إلى محبّي المعرفة ما أحسبه واجبًا، ناشدًا الحقيقة، كلَّ الحقيقة، والسعيَ الدؤوبَ إليها... فيَطيب لي أن أبحثَ في معتقداتِ النصيريّين وتقاليدهم وعاداتهم، وما خطّطوا له من تدابيرَ، وأقاموا من تنظيماتٍ لدفع القهر عن كواهلم المُثْقَلَة عبر التاريخ. يسرّني كذلك أن أرافقَهم في تطلّعاتِهم وطموحِهم إلى بناءِ مجتمعٍ خاصّ، وإقامةِ دولةٍ تصون وجودَهم وتحمي عقيدَتهم المميَّزة.

على هذه الآمال عايش العلويّون همَّهم وركّزوا اهتمامَهم، فنشطوا لتحقيقها مع كل مَن أنِسُوا به قدرةً على ذلك. جابهتهم صعابٌ ومخاطرُ ومحاذير، إلاّ أنّهم، بفضلِ صبرِهم وثباتهم، كان لهم جلُّ ما مَنّوا النفس به.

حقًّا، لقد استطاعت الأقلّيّة النّصيريّة أن تفرضَ قوتّها وسلطانَها على الأكثرية السنّيّة، وأصابت نجاحاً في عقدِ صداقاتٍ ومعاهداتٍ مع جماعاتٍ ودولٍ كانت تُظَنُّ عدوّةً. لم تجمد في جبالِها الوعرة، بل امتدّتْ إلى السهولِ الخصبة، واقتحمتِ المدنَ الساحلية والداخلية، وطالتْ سيطرتُها المغرقين في البداوة والممعنين في الحضارة على السواء... وهكذا دفع هذا الشعبُ المظلومُ القهرَ إلى قاهريه، واستنبطَ من شقاءِ الماضي وتعاسته مددًا وقوّةً ونصرًا، فانتقل من مَسُودٍ مسحوقٍ إلى سيّدٍ مطلَق.

أجل، لم تكن الدروبُ سهلةً مستوية. جَسَّ النصيريون العوائقَ والمنعطفات فمهّدوا واستنجدوا وتحفّظوا. مدّوا يدًا إلى العروبة، ويدًا إلى

الاشتراكيّة والتقدّميّة، رفعوا شعاراتِ الحرّيةِ والقوميّةِ والأخوّةِ العربيّةِ والإسلام، ودافعوا عن الحقوقِ الفلسطينيّةِ المغتصَبة، والتزموا بقضيّةِ الفلسطينيّين، وشهّروا بالمُتاجرِ بها. حوّلوا الباطنيةَ في الدينِ إلى باطنيةٍ في السياسة، فلعبوا لعبةَ الازدواجيّة بدهَاء: استغلّوا الحربَ، وأفادوا من السلِم، حاوروا الغربَ، وصادقوا الشرق، نَصروا اللبنانيينَ والفلسطينيين، ثم ضربوا هؤلاء بأولئك، دغدغوا مشاعرَ السنّة، وَرَعوا طموحاتِ الشيعة، أجادوا التعاملَ مع الأكثريّة المطمئنّة، كما مع الاقلّية الخائفة...

وهكذا، ما برحوا يميلون مع كلٍّ ريح يرون فيها تأمينًا لمصالحهم، عقدوا مع العراقِ والأردنِّ علاقاتٍ حميمةً كادت تصلُ بهم إلى وَحدةٍ سياسيةٍ لولا أن انكشفت النيّات...أَمَّنوا خطوطًا دفاعيةً واقيةً تمتدّ من الناقورة إلى الجولان والعَقَبة وبغداد والموصل، كي يضمنوا حدودَ «الدولة العلوية»، المزمعِ إنشاؤها... أمّا إسرائيل، فهل كانت غافلةً عمّا يُحاكُ ويدورُ حولَها؟ ممّا لا شكّ فيه، إنّها كانتْ تراقبُ وتعي، ولم يكنْ سكوتُها عمّا يجري إلاّ بتدبيرٍ مقرّر!.

وانطلق العلويّون في اتّجاهاتٍ شتّى تحقّقُ لهم آمالَهم. عملوا على محْوِ وَصَمات الكفر عن عقيدتهم، فشيّدوا الجوامع والمساجد بعد أن لم يكن لها وجودٌ في مناطقهم، وَتلَوا من على المآذن آيات القرآن الكريم، ومارسوا فرائضَ الإسلام ممّا يخالفُ عقيدتَهم الدينيّة عبر التاريخ، إستنادا إلى ما رواه ابن بطّوطة فقال: «وهم لا يُصلّون ولا يتطهّرون ولا يصومون. وكان المَلكُ الظاهر ألزمَهم بناءَ المساجد بِقراهم، فبنَوا بكلِّ قريةٍ مسجدًا بعيدًا عن العمارةِ ولا يدخلونه ولا يعمرونه، وربما أَوَتْ إليه مواشيهم ودوابُّهم، وربما وصلَ الغريبُ إليهم، فينزلُ بالمسجدِ ويؤذّنُ للصلاة، فيقولون له: لا تنهَق! عَلَفُكَ يأتيك. وعددُهم كثير»[1].

---

(١) رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت ١٩٦٤، ص ٧٩ – ٨٠.

تأكيـدًا لكلامنا، سنضـع، في نهايةِ البـحث، أمامَ عيـون القرّاء، وثائقَ تاريخيّة تُطلعُنا كيفَ انّ هذه الأقلّيّة ضمن الدولة السورية فازتْ بما خطّطتْ له. وهي، رغم كل الصعوباتِ والمزالق، تستمرّ جاهِدَةً لتوفير مقوّماتِ الدولةِ كافّـة والإعداد لإقـامة كـيان مـستـقلّ. هذه النّيّات والتـخطيطات أصبـحتْ مكشوفـةً بل صارخة. وفي هذا يقـول كمال جنبـلاط: «إنّ مشاريعَ كـبرى أُنجزتْ في بـلاد العلويين، ولا سيّـما في حـقلِ الريّ واستـصلاحِ الأراضـي وشبكاتِ الطـرق، ويُضاف إلى هذا توسيع وتـنمية مـرافئ اللاذقيـة وجَبْلَة وطرطوس. كـمـا أنّ حـمص لم تفلتْ من تغلـغلهم الكثـيف، بحـيث انّ هذه المدينة، التي بات العلويّون فيـها أكثريّة، باتت مـرشّحةً لأن تصبح عـاصمةَ الدولة العلوية العتيدة اذا ما قامتْ... ثمّ إنّ هذا التغلغل الصامت قد نما كذلك واتّسع على طول الشاطئ، ولا سيّما حـول اللاذقية التي تلقّت هجرةً علويّة هامّة وعميـقة. ولا ريب في أنّ أهالي هذه المناطق العلوية أو «المعلونة» باتت أكثر ثقةً بالمستقبل ممّا كانت عليه في الماضي»[٢].

ولكن، لم تفتِ المسلمينَ أخطارُ النصـيريّة ومثـيلاتها من «الحـركات البـاطنيّة» في التـاريخ الإسلامي الطـويل. ومَنْ مِنَ المؤرّخين لم يقرأ كلمـةَ البغدادي هذه: «إنّ ضررَ الباطنيّـةِ على فِرَقِ المسلمين أعظمُ مِن ضرر اليهودِ والنصارى والمجـوسِ عليهم، بل أعظـمُ من مضرّةِ الدهريّة وسـائر أصنافِ الكفرة عليـهم، بل أعظمُ من ضررِ الدجّـال الذي يَظهرُ في آخـر الزمان، لأنّ الذينَ ضلّوا عن الدين بدعوةِ الباطنية مِن وقتِ ظهور دعوتهم إلى يومِنا أكثر من الذين يَضلّون بالدجّال في وقت ظهوره، لأنّ فـتنةَ الدجّال لا تزيدُ مدّتُها على أربعين يوماً، وفضائحَ الباطنية أكثر من عدد الرمل والقَطرِ»[٣].

---

(٢) كمال جنبلاط، هذه وصيتي، ترجمة «الوطن العربي»، سنة ١٩٧٨، ص ١١٥.
(٣) البغدادي، الفرق بين الفرق، القاهرة، ص ٢٨٢.

هذا الشعور بضـرر الباطنيّة النصيـريّة لن يستمرّ في غـفلته. فلا بدّ من أن يُفـيق، وربّـمـا أفـاق الآن مع «الإخـوان المسلمـين»، ليـرى أنّ خطر النصـيريّة جرّ مـعه ووراءه أخطارًا قـد تكون جسـيمـة على المسلمين. هذه الأخطار لم يبحـثها باحثٌ بعـد، لأنّ دهاء الدعاة الباطنيّين أعـمق من تصوّر الباحـثين. والتاريخ يشـهد على ما كـان للإسمـاعيليّين منهم والحـشّاشين والقـرامطة والنصيـريّين والموحِّدين... من خطرٍ على الإسـلام وعلى كـيان المسلمين. وخطورةُ هذه الحركات تكمن في كونها سـرّيّة تعمل ضمن كتمان شديد، وتعـتمد الصـدقَ بين أنصارِها كـأعظمِ ركنٍ لها، والكَذِبَ على الغِـير كأعظمِ وسيلةٍ للوصولِ إلى أهدافها.

وخطرُ العلويّة النصـيريّة ناجمٌ عن مطالبتـها بحقٍ مغـتَصَب، لم يكن في التاريخ مثله حَقٌّ مـغتصب، وهو حقّ عليّ بن أبي طالب بالألوهة. وناجم أيضاً عن الكتمان في المعتقد، وعن التدليس وتمويهِ الحقيقة.

بـ«التّقـيّة» حافظ العلويّون على وجودهم، وبالقـول بـ«ألوهيّة» عليّ بن أبي طالب استمـرّوا على تضامنهم عبر العـصور. وفي سبيل معـتقدهم هذا تحـمّلوا أشـدّ الرزايا، وصـبـروا علـى أقـسى المحن، وتكبّـدوا القـهـر والاضطهـاد.. لم يسبق أن تـوالت النكبات على أمّـة كـما توالت على الأمّـة النصـيـريّة. لقـد وقف النصـيـريّون الموقف الأعنف في سـبـيل الله. لكأنّ النصيريّ آلَ على نفسه الدفاعَ عن كرامـة الله وحقّه، فكان الثمن الذي دفعه باهظاً جدًا، أي ثلاثينَ مليون ضحيّة في الشـرق، وخمسة ملايين في الغرب، على ما يقول أحدُ مؤرّخيهم(٤).

لم يبق لنا، بعد هذه الإشارة إلـى خطورة هذا البحث، الاّ الخوض في أصل النصيريّين ونشأتهم، في عقيدتِهم ومراتبهم، في تاريخهم وفروضهم

---

(٤) محمد أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين، ص ١٣١.

الدينيّة، في قهرهم ونكباتهم، في ماضيهم وتطلّعاتهم إلى المستقبل، في ما كُتِبَ عنهم وحولهم، متبيّنين استقلالهم عن الإسلام ومختلِف فرقه، مستكشفين دهاءَهم البالغ وسرّيتهم الموغلة في استغلالهم الإسلامَ ورفضِه في آن، سعياً وراءَ الهدف الأكبر الذي ينشدون.

الفَصل الأول

نَشأة النُصيريَّة

أولاً : إختلاف المسلمين في الإمامة

ثانيا : سلسلة الأئمّة

ثالثا : رتبة الباب

رابعا : محمد بن نُصير النُمَيري

خامساً : الحسين بن حَمدان الخُصيبي

سادسا : الميمون الطبراني

أولاً - إختلاف المسلمين في الإمامة

يقول الشَّهْرَسْتَاني (+٥٤٨هـ) في الاختلافات التي حدثت في الإسلام منذ نشأته: إنّ «أعظمَ خلاف بين الأمّة خلافُ الإمامة، إذ ما سُلَّ سَيْفٌ في الإسلام مثل ما سُلَّ على الإمامة»[1].

ويقول البَغدَادي (+٤٢٩هـ) في المسلمين الأوّلين: إنّهم «اختلفوا في الإمامة، وأذعنتِ الأنصارُ إلى البَيْعَة لسَعْدِ بن عَبادة الخزرجي، وقالتْ قريش: إنّ الإمامةَ لا تكون إلاّ في قريش، ثم أذعنتِ الأنصارُ لقريش... وهذا الخلافُ باقٍ إلى اليوم»[2].

ويبدأ النُّوبَخْتي (+٣٠٠ هـ؟) كتابَه بما يلي: «أمَّا بعد، فإنَّ فِرَقَ الأُمَّة كلّها، المتشيّعة وغيرها، اختلفتْ في الأئمَّة في كلّ عصرٍ ووقتِ كلِّ إمامٍ بعد وفاتِه، وفي عصر حياتِه منذ قبضَ اللّه محمّداً». وأكمل قوله: «قُبِض رسول الله... فافترقتِ الأُمَّةُ ثلاثَ فِرَق: فرقة منها سُمّيت الشعية، وهم شيعة علي بن أبي طالب، ومنهم افترقتْ صفوفُ الشيعة كلّها؛ وفرقة منهم ادّعتِ الأمرةَ والسلطانَ وهم الأنصار، ودَعَوا إلى عقدِ الأمرِ لسعد بن عَبَادة الخزرجي؛ وفرقة مالتْ إلى أبي بكر...»[3].

ويبدأ الأشْعري (+٣٣٠هـ) كتابَه بهذه الحقيقة: «اختلفتِ الناسُ بعد نبيّهم في أشياءَ كثيرة، ضلّل بعضُهم بعضاً، وبرِئَ بعضُهم من بعض،

(١) ألشهرستاني، الملل والنحل؛ ١/ ٢٤.
(٢) ألبغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٥ عدد ١٧.
(٣) ألنوبختي، فرق الشيعة، ص ٢ و٣.

فصاروا فِرَقاً متباينةً، وأحزابًا مشتّتين؛ إلاّ أنّ الإسلامَ يَجمعُهم ويشتملُ عليهم». ويكمّل قائلاً: «وأوّل ما حدث من الاختلافِ بين المسلمين، بعد نبيِّهم، اختلافُهم في الإمامة»(٤).

والاختلاف في الإمامة أصبح خِلافًا في الذي تكونُ به الخِلافة: أهو مشيئةٌ إلهيّة، أم نصٌّ نبويّ، أم اختيارٌ من المسلمين؟ ولِشدّةِ الخلافِ وعنفه، راحتْ فرقٌ تتساءل: «هل يجبُ على المسلمينَ أن يكونَ لهم خليفةٌ يقيمُ الحدودَ، ويسدُّ الثغورَ، ويجهّزَ الجيوشَ للجهادِ، ويولي القضاةَ والحكّام، ويحمي بيضةَ المسلمين، أم لا يجب عليهم ذلك مطلقاً؟! أم يجب عليهم في حالٍ دون حال؟!»(٥).

إنّ الذين يقولون بأنّ الإمامةَ معيّنة بنصٍّ من النبي، وبالتالي مشيئة إلهيّة، هم أصحاب عليّ بن أبي طالب، المسمّون «شيعة»، المْطالِبون بحقِّ عليّ في خلافة الرسول، ورئاسة المسلمين، هو وأحفاده من بعده إلى أبد الآبدين.

ويستندون، في قولهم هذا، إلى آياتٍ قرآنيّة وأحاديثَ نبويّةٍ، هي، بنظرهم، واضحة صريحة.

أمّا **الآيات القرآنية** فمنها :

١. «وكلُّ شَيءٍ أَحْصَينَاه في إِمَامٍ مُبِين» (يس ٣٦/ ١٢).

٢. «وَعَدَ اللّهُ الذين آمَنوا منكم وعَمِلوا الصَّالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرضِ كما اسْتَخلَفَ الذينَ مِن قَبلِهم»، وهي في الخِلافة (النور ٢٤/ ٥٥).

٣. «... وأُولُو الأرْحَامِ بَعضُهُم أَولَى ببَعْضٍ» (الانفال ٨/ ٧٥). يعني أنّ عليًا أَولَى بمحمدٍ من جميع الناس، وكذلك محمّدٌ أَولَى بعليٍّ مِن سواه..

---

(٤) ألاشعري، مقالات الإسلاميين، ص ٣٤ عد ١ وص ٣٩ عد ١.

(٥) تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد على مقالات الاسلاميين، ص ٤٥.

٤. «... قلْ لا أَسْأَلُكُم عَلَيه أجْـرًا إلاّ المودَّةَ في القُرْبى» (الشورى ٤٢/ ٢٣). أي لا أجـرَ للذين يَحفظونَ القـرآنَ بمقـدارِ أجرِ الذين يُحِـبّون أقـرباءَ النبيِّ، وأقربهم وأخصّهم علي بن أبي طالب.

٥. «وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقرَبِينَ» (الشعراء ٢٦/ ٢١٤).

وغيرها الكثـير من الآيات القرآنيّة الواضحـة في شأن علي وأولويّته على المسلمين كافّةً.

وأمّا **الأحاديث النّبويّة** فمنها :

١. حديثُ الثِقْلَين، في قول النبيّ لأصـحابه، قُبيل وفاته: «إنّي أُوشك أن أُدعى فأُجيب. وإنّي تاركٌ فيكم الثِقلَين: كـتابَ اللّهِ ربِنّا وعَترَتي أهلَ بيتي. فانظروا كيفَ تحفظوني فيهما».

٢. وقوله: «عليٌّ منّي، وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمن».

٣. وقوله: «عـليٌّ بنُ أبي طالب بابُ الدِّين. مَن دَخله كان مـؤمناً ومَن خرج منه كان كافراً».

٤. وقوله: «ألقرآنُ مع عليّ وعليّ مع القرآن لا يفترقان».

٥. وقوله: «مَن سَبَّ عليًا قد سبّني. ومن سبّني فقد سبَّ اللّه».

٦. وقوله: «مَن آذى عليًا فقد آذاني».

٧. وقوله: «عليٌّ بمنزلةِ رأسِي مِن بَدَني».

٨. وقوله: «يا عليّ! مَن أحَبّك فقد أحَـبَّني. ومَن أبغَضكَ فقد أبغَضَني. وبغيضُك بغيضُ اللّه».

٩. وقوله: «يا عـليّ! لولا أنّي خَاتَمُ الأنبيـاءِ لَكنتَ شريكاً فـي النبوّة. فإنْ لم تكن نبيًا فأنتَ وصيٌّ نبيٍّ ووارثُه. بل أنتَ سيِّدُ الأوصياء»

١٠. وقـوله: «كنتُ أنا وعليّ نورًا عن يمينِ العـرشِ بين يدَي اللّه عـزّ وجلّ. يسـبّح اللهَ ذلك النورُ ويقدِّسُـه قبـلَ أن يُخْلَق آدم. فلم نَزَلْ، أنا وعليّ، شَيئًا واحدًا حتى افترقْنا في صلبِ عبدِ المطلب. فجزءٌ أنا وجزءٌ عليّ».

١١. أمّا أكملُ الدلائل على إمامةِ علي وتعـيينِه بإرادةٍ ألهيّةٍ خَلَفًا للنبيّ فهي بَيعَةُ «غدير خُمّ». ومناسبـةُ هذه البَيْعة كانتْ عندما رجع النبيُّ من مكّة إلى المدينة في «حـجَّة الوَدَاع» ختـامًا لدعـوتِه السماويّة، بلغ مكـاناً يُقال له «غـدير خمّ». وفيـمـا هو جالسٌ على الـغديرِ وقفَ، فنزلتْ عـليه آية: «أيُّهـا الرسـولُ! بلِّغْ ما أُنزِلَ إليكَ من ربِّك، وإنْ لمْ تفـعلْ فَمـا بَلَّغتَ رسـالَتَـه، واللهُ يَعصِمُك من الناسِ» (المائدة ٥/٦٧). وأضافَ النبي على هذه الآية قوله: «إنّ هذه الآيةَ لإتمامِ البَـيْعَـةِ إلى عليّ». ثم صعـد النبيُّ مكانًا مرتـفعًا وخـاطبَ المسلمين:

- «ألستُ أَولى بكم من أنفسِكم؟
- فقالوا: بلى.
- ثمّ كرّر قوله: ألستُ أَولى بالمؤمنين من أنفسـهم؟
- فأجابوه ثانية: بلى.
- ثمّ قال: «مَن كنتُ أنا مولاه فـعليٌّ مولاه. ألّلهمَّ وَالِ مَن وَالاه، وعَادِ مَن عَاداه، وانْصُرْ مَن نَصرَه، واخْذُلْ مَن خَذَله، وأدِرِ الحقَّ معه كيفما دَار».

وكـرّر كلامَـه هذا ثلاثاً. وأمر أصـحابَـه بمبايعة عليّ. فـبادروا إليـه وبايعـوه. والعلويّون ينظرون إلى بَيـعـةِ غدير خمّ كـأعظم حـدثٍ إلهيّ في تاريخ البشر.

وبعد أن تمّـتِ البَيْعـة نادى النبيُّ أصحـابَه وتلا عليهم الآيـة: «أليومَ أكملْتُ لكم دينَكُم وأتْمَمتُ عَلَيكُم نِعـمَتي وَرَضِيتُ لكُمُ الإسْلامَ ديناً» (المائدة ٥/٣). ثمّ قـال: «ألحـمدُ للّهِ علَـى كَمـالِ الدِّين وتمامِ النِّعـمَـة، ورضـي اللّهُ برسالتي وبولايةِ عليّ بعدي».

ثمّ بارك الحاضرون لعليّ.

ونزلتِ الآية: «يَعْـرِفُونَ نِـعْمَـةَ اللّهِ ثمّ يُنْكِرُونَهـا» (النحل ١٦/٨٣). وفـسّرها النّبـيّ بقوله: «يَعـرفـون نعمـةَ اللّه يومَ الغـدير، ويُنكرونَهـا يومَ السَقِيفَة»، وهو المكان الذي اجـتمعَ فيه المسلمون بعد محمّد ليـختاروا خليفة له عليهم.

كانت بيعـة الغدير هذه في السنة العاشرة للهجرة، في الـثامن عشر من شـهر ذي الحجّة. وهو أعظم يومٍ عند العلويّين.

***

أمّا **مؤهّلاتُ عليّ** فتـفوقُ مؤهّلاتِ كلِّ إنسانٍ على الأرض. لقـد كَان عليّ أوّلَ المسلمين إيمانًا بالإسلام، واتِّباعاً لمحمّـد، وأجودَهم عطاءً وتضحية، وأكثرَهم تقوى، وأشدَّهم قوةً وبطشاً.

من ذلك أيضاً نسـبتُه إلى الرسول: فهـو ابنُ عمِّه، وربيبُـه، وصِهرُه زوجُ ابنته فـاطمة التي قـال فيهـا: «لَو لَم يُخْلَقْ عَليّ ما كـان لفاطمة كـفؤ». وعليٌّ أيضاً كـان أوّلَ وأعظمَ مَن عَقَدَ لواءً، وحملَ رايةً في الإسـلام، وجاهدَ لأجله، وافتـدى محـمّداً في نومِه علـى فراشِه يومَ هجـرتِه إلى المدينة، وهو أكثر مَن قام بقيادةِ الحملاتِ العسكريّة ضدّ الكفّار والمشركين...

من أجل هذه كلّهـا يسـتحقُّ عليّ بن أبـي طالب وأبناؤه وأحفـادُه أن يَخلفوا النبيّ. ولا يستـحقُّ ذلك غيرُهم. وبسبب ذلك اخـتلفَ المسلمون حتى أصبحَ الاسلامُ إسلامَين: سنّةً وشيعـة. وتفرّقَ الإسلامان إلى فِرَقٍ وأحزاب تنبّأ النبي بكثرةِ عددِها يومَ قال: «افترقتِ اليـهودُ على إحدَى وسبعينَ فرقة، وافترقتِ النـصارى على اثنتين وسبعين فـرقة، وستفتـرق أمّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة».

وبسبب موقـفهم من عليّ افترقتِ الـشيعة أيضاً على فِـرَقٍ: منها مَن اعتـدلَ برأيه، ومنهـا مَن غلا، ومنهـا مَن أنكر، ومنها من توقَّف، ومنهـا من أرجأ الأمرَ للّه، ومنها مَن خرج عن هؤلاء وأولئك...

ثمّ زادتِ الخلافات وتعـدّدتْ واشتدّتْ حتى تجرّأ بعضُـها على القول بأنّ علياً هو اللّه، واللّه هو عليّ. من هؤلاء فرقـة سمّيت في التاريخ «عَلَوِيَّة» وفي النسبة «نُصَيْرِيَّة» وفي العقيدة «خُصَيْبِيَّة».

ثانياً – سلسلة الأئمّة

لمعرفة أصلِ النُصَيْريّة ونشأتِهم لا بدّ من معرفة سلسلة الأئمّة بتفرّعاتها وتشعّباتها. بهذا نستطيعُ أن نميّزَ بين الفِرَقِ المتقاربة أحياناً والمتباعدة أحياناً كثيرة بتعاليمها وسلوكها.

إلاّ أنّنا نذكر من هذه السلسلة ما له صلة بموضوعنا. فتشعّبُ الدَوْحَةِ العلويّة ونموُّها وكثرةُ المنتسبين إليها، بحقٍ وبغير حقّ، يجعلُ كلَّ باحثٍ عاجزاً عن تتبّعها وإحصائها.

ثمّ إنّ فرقَ الشيعةِ لم تنشأُ دفعةً واحدةً في التاريخ، وبسببِ خلافٍ واحدٍ معيّن. فبعضها انقسمَ على ذاتِه وتوالد بعضُه من بعض. وبعضها ينتسبُ إلى شخصٍ، وبعضها يتسمّى بأسماءَ مختلفة، وبعضها عمل في الظاهر والعلن، وبعضها عمل في الخفاء والسرّ...

بيد أنّ أهمَ الفرق المنتسبة إلى عليّ إثنتان: الإسماعيليّة والإثناعشرية. وكلاهما من فاطمة الزهراء، زوجِ عليّ، وبنت النّبيّ. فيما فِرَق أخرى تنتسب إلى عليّ، ولكن من غير فاطمة مثل الحنيفيّة والكَيسانيّة وغيرهما.

والنُّصَيريّة، بنتُ الإثْنَيْعَشْرِيّة، أتَتْ بعدَ انتهاءِ دورِ الإمامة، أي بعدَ الإمام الثاني عشر. مَثَلُها مَثَلُ الدرزيّة التي نشأتْ أبّان الحكم الفاطمي الإسماعيلي. والفرقتان: النُّصَيريّة والدرزيّة تتقاربان تقارب إخوة–أعداء.

أمّا سلسلة الإئمّة فهي:

(١) عليّ بن أبي طالب (+٤٠/٦٦١)

(٢) ألحَسن (+٥٠/٦٧٠)

(٣) ألحُسين (+٦١/٦٨٠)

(٤) عليّ زين العابدين (+٩٤/٧١٢)

(٥) محمّد الباقر (+١١٣/٧٣١)

زيد (+١٢٥) الزيدية

(٦) جعفر الصادق (+١٤٨/٧٦٥)

(٧)[١] إسمعيل (+١٤٥)

محمّد (؟)

الأئمّة المستورون

ألمهدي (+٣٢٢)

ألقائم (+٣٣٤)

ألمنصور (+٣٤١)

ألمعزّ (+٣٦٥/٩٧٥)

ألعزيز (+٣٨٦/٩٩٦)

الحاكم بأمر الله (+٤١١/١٠٢٠)

الخلفاء الفاطميّون

(٧) موسى الكاظم (+١٨٣)

(٨) عليّ الرضا (+٢٠٢)

(٩) محمّد الجوّاد (+٢٢٠)

(١٠) عليّ الهادي (+٢٥٤)ل -

(١١) ألحسن العسكري (+٢٦٠)

(١٢) محمّد المهدي (+ ٢٦٦).

الأئمّة الإثنا عشر

ألنُّصَيْرِيَّة

نتبيّنُ في لائحةِ الأئمّةِ أنَّ السلسلةَ تنقسم بعدَ جعفر الصادِق إلى فرعَين: الأئمّةِ الإثنَيعَشريّة والأئمّةِ الإسماعيليّة. وسببُ الافتراق هو أنّ إسمعيل بن جعفر الصّادق كان قد عيّنه والدُه إمامًا من بعده، ولكنّ إسمعيلَ مات في حياةِ أبيه. فلا بدّ والحالةُ هذه، في رأي بعضهم، من أن ترجعَ الإمامةُ إلى الأبِ حتى ينقلَها إلى ابنٍ آخر؛ وفي رأي آخرين، تبقى الخلافة في إسمعيل، ثمّ في ابنه محمّد، ثمّ الأولاد والأحفاد. وهي مستمرّة حتّى اليوم.

والقائلون بالرأي الأخير هم المسمّون الإسماعيليّة، أو السبعيّة، أو أيضاً الباطنيّة. وهؤلاء أيضاً يختلفون فيما إذا كان إسمعيل يُحسَبُ إمامًا سابعاً أو ابنُه محمّد هو الإمام السابع.

أمّا الذين قالوا بأنّ الإمامةَ رجعتْ، بموتِ إسمعيل، إلى جعفر، الذي نقلَها إلى ابنِه الثاني موسى الكاظِم، فهم المسمّون: الإثناعشريّة، أو الموسويّة، أو أيضاً الإماميّة. وسمّوا بالاثنَيعشريّة لأنّهم يَذهبون بالإمامة إلى الإمام الثاني عشر محمّد المهدي الذي «غاب» و«اختفى» سنة ٢٦٦ هـ في سَرداب في مدينةِ سَامَرَّاء، وأمّه تنظرُ إليه، وتنتظرُ رجعتَه. كان لمحمد من العمرِ حوالي عشر سنين، ولم يكن له بالطبع أولاد حتى تنتقل الإمامة إليهم. فانقطعت به الإمامة، ولذلك سمّي أتباعه أيضاً بـ «القطعيّة».

ألإمام الثاني عشر، محمّد المهدي المنتظر، هو الملقّبُ بالحجّة وبصاحبِ الزّمان وخاتم الأئمةِ والأوصياء. سيعودُ بعد غيبته هذه إلى الأرضِ ليَردَّ إليها العدلَ والإنصاف. وغيابُه لا يضرُّ الإيمانَ في شيء لأنّه، بالرّغم من غيابه، لا يزالُ موجوداً، يهتمّ بأمورِ الناس، ويُرسل إليهم النُّذُرَ.

غير أنّ قسمًا من المنتظرين عودةَ الإمام الغائب ملّوا الانتظار، وعظُمَ عليهم أن يَبقَوا من دونِ إمامٍ مرجعٍ حيٍّ يرجعون إليه في صعوباتِ الحياة ومحَنِ الإيمان. إنّ اللّه، برأي هؤلاء، لن يتركَ عبيده «همْلاً» من دون حجّة

في الدّين، أو من دون دليلٍ على اللّه، أو قدوةٍ يقتدون بها، أو مثالٍ يتمثّلون به... لذلك قالوا بأنّ «مِنَ الأمور الطبيعيّة أن لا يبقى العلويّون (النصيريّون) بدونِ مرجع يقتدونَ به، إذ مهما تعالى البشرُ وتمسّكوا بالمعنويّاتِ لا غنى لهم عن الأخذ بالمادّيّات»[٦].

هذا المبدأ أوجب على بعض المسلمين التمسّك بالأئمّة، وعلى فريقٍ من الشيعة الاستعاضة عن الأئمّة بوكلاء للأئمّة، يُسمّون «أبواباً».

وللنصيريّين أقوالٌ كثيرة في أئمّتهم جعلتْهم بمستوى التأليه. خُلقوا قبل الخلق أجمعين، يعلَمون أسرارَ الكون وما بعد الكون، معصومون من كل خطأ، موجودون إلى الأبد. بهم يكون القضاء، وإليهم المرجع في معرفة اللّه.

قال الإمامُ جعفرُ الصادق في خلْقهم: «إنّ اللّه عزّ وجلّ خلَقَنا قبل الخلق وقبلَ آدم بألفِ عام، وكنّا أرواحاً حولَ العرش نسبّح اللّه، ويسبّح الكلّ السماءَ بتسبيحنا، فهبطْنَا إلى الأرضِ والأبدان، فسبّحنَاه عزّ وجلّ، وسبّحَ أهلُ الأرضِ بتسبيحِنا، وفي لسانِنَا نَطَقَ كلُّ إنسان. وذلك قوله تعالى: «وإنّا لَنَحْنُ الصّافّونَ. وإنّا لَنَحْنُ المُسبِّحُونَ»[٧].

والإمامُ، بحسب قول جعفر الصادق، «لا يحجبُ اللّهُ عنه شيئًا، لا أرضًا ولا سماءً ولا جبلاً، ولا برًّا ولا بحراً، حيثُ ما كان يراه، ولا يجهلُ أمرَ اللّه عزّ وجلّ؛ وذلك أنّ الجهلَ منقصةٌ، وليس في الإمام منقصة، والجهلَ ضلالةٌ، وليس عند الإمام ضلالةٌ، وإنما عنده الهداية جميعها»[٨].

وورد على لسانِ الإمامِ الخامس محمّد الباقرِ قولُه: «نحنُ الأئمّة، أولياء اللّه، لا يفتر علينا من علمه شيء، لا في الأرضِ ولا في السماء. نحن

---

(٦) محمّد الطويل، تاريخ العلويّين، ص ٢٠٠.

(٧) سورة الصافات ٣٧/ ١٦٥-١٦٦، كتاب الهفت والأظلّة، ص ٧٧.

(٨) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٥٥.

يدُ اللّه وجنبُـه، ونحن وجهُ اللّه وعـينُه، وأين ما يَنظرُ المؤمن يرانا. إنْ شِـئنا شـاءَ اللّه، ولا تلقـه إلاّ إلى أهله. والحـمـدُ للّه الذي اصطـفانـا من طينةِ نورِ قدرتِه، ووهبَنَـا سرَّ علمِ مشـيئتِـه، وأمَرَنا بأن نعـرفَ شيعـتَنا حقَّ معـرفةِ أمـانته، ونخلّص نفـوسَهم من كَـدَرِ العـذابِ بولايته، ونخـتمَ لهم في إيمان الهداية بالنداءِ إلى دارِ السـلام وخيراته في جوارِ الرحـيم الرحمن وجنّاته، ونغمسَ أرواحَهم في عينِ الهَنيّةِ الزكيّةِ الراضيةِ المرضيّةِ برحمته»[٩].

وقال الصادقُ الإمـامُ السادس: «نحنُ منارُ اللّه في بلاده وأرضه، ثم أمناؤه على خليقته».[١٠] وأضاف: «ما عرّف اللّهُ أحداً غـايةَ فضلِنا إلاّ مقدارَ شعرةٍ بيـضاءَ في ثورٍ أسود. وما مقدارُ فـضلِنا وعلمِنا في علمِ اللّه وفضلِه إلاّ مقدارُ ما حملَ الطائرُ بمنقارِه من البحر»[١١].

وفي مـعركـة كـربلاء يومَ اصطفّتِ الخـيولُ والـعسـاكـرُ لتحـاربَ الحُسَين، «دعا مولانا الحسينُ جـبريلَ وقال له: يا أخي، مَن أنا؟ قال: أنتَ اللّهُ الذي لا إلهَ إلاّ هو الحيُّ القـيّـومُ والمميتُ والمُحْـيي. أنتَ الذي تأمـرُ السمـاءَ فتُطيعُك، والأرضَ فـتنتهِي لأمرِكَ، والجبالَ فـتجيبُكَ، والبحارَ فـتسارع إلى طاعتِكَ. وأنتَ الذي لا يصلُ إليك كيدُ كائدٍ ولا ضررُ ضار»[١٢].

---

(٩) المرجع نفسه، ص ١٩٤.

(١٠) المرجع نفسه، ص ١٧٤.

(١١) المرجع نفسه، ص ١٧٤.

(١٢) المرجع نفسه، ص ١٠٠.

ثالثاً – رتبة الباب

تأتي ضرورة «الباب» في الدّين من حاجةِ الناس الملحّةِ إليه بعد غيابِ الأئمة، ومن تعاليم النبيّ وأقوالِه حيثُ نسبَ عليّاً إلى نفسه كنسبةِ الباب إلى المدينة. قـال: «أنا مدينةُ العِـلمِ وعليٌّ بابُها». وعلّم أنّ «مَـنْ طَلَبَ العلمَ فعليـه بالباب». وفي القرآن أيضـاً: إنّ من ابتغى مغفرةً عليـه بالباب ليكسب الجنّة ويتنعّم بخيـراتها: «ادخُلُوا البَابَ سُجَّداً تُغـفَر لَكُم خَطَايَاكُم»[١٣]، و «ادخلوا عليهم الباب. فإذا دَخلتُموه فَإنّكم غَالبون»[١٤]. والبابُ أيضاً، بحسب منطوق الآية، هو الذي يذكّـرُ بآيات اللّه. وإذا مـا نسي الناسُ حظَّهم فـما عليـهم إلاّ بالبَاب: «فلمّا نَسَوا ما ذُكِّرُوا به، فتَحْنا علَيهم أبوابَ كلِّ شيء»[١٥].

فـالبـاب إذاً هو المدخَلُ إلى الدِّيـن؛ والمدخَلُ الحـقـيـقيّ إلى الدّين هو الإمام، ومَن قام مقامَ الإمام. والبابُ هو وكيلُ الإمام، ووصيّه، ووريثُه. وهو يقومُ بدورِ الإمام نفسِه. مثله يتـمتّع بالعصمة، وبالعلم الإلهي، وبحقِّ تأويلِ آياتِ الكتاب، وبالتمييزِ بين الظاهر والباطن.

ولشدّة الحاجةِ إليه، كان لكلِّ أمامٍ «باب». وأليكَ أسماءَهم:

١) علي بن أبي طالب .... بابه سلمَان الفارسي
٢) ألحَسن المُجتَبى .... بابه قَيس بن وَرَقة المعروف بالسفينة
٣) ألحسين الشهيد .... بابه رشيد الهجري
٤) علي زين العابدين .... بابه عبدالله الغالب الكابلي، كَنْكَر

---

(١٣) سورة البقرة ٢/ ٥٨، أنظر سورة الاعراف ٧/ ١٦١.
(١٤) سورة المائدة ٥/ ٢٣.
(١٥) سورة الأنعام ٦/ ٤٤.

٥) محمّد الباقر ....بابه يحي بن معمّر بن أم الطويل الشمالي
٦) جعفر الصادق .... بابه جابر بن يزيد الجَعَفي
٧) موسي الكاظم...............................بابه محمد بن أبي زينب الكاهِلي
٨) عليّ الرضا...................................بابه المفَضّل بن عمر الجَعَفي
٩) محمّد الجواد ....بابه محمد بن مفضّل بن عمر
١٠) عليّ الهادي ....بابه عمر بن الفرات المعروف بالكاتب
١١) الحسن العسكري .... بابه أبو شُعَيب محمد بن نُصَير النُمَيري[١٦].

يهمّنا من الأبواب ثلاثة:

١. سَلمان الفارسي، وهو الباب الأســاسي، منه سائر الأبواب، وإليه مرجعُها، وهو ثالث الثالوث الإلهي: عليّ. محمّد. سلمان.

٢. والمُفَضَّل بن عمر الجَعَفي تلميذ الإمام جعفر الصادق وقد نَقل عنه أقوالَه وأخبـاره، ووضع كتابَ «الهَفْتِ والأظِلَّة» الّذي نعـتمد عليه كـمصدرٍ أساسي في معرفة معتقدات النّصيريّة.

٣. وأبو شُعَـيْب بن نُصَيْر النُّمَـيْري، بابُ الإمام الحادي عـشر، الذي أنابَ في الدّين بعد غياب الإمامِ الثاني عشر.

من الملاحظ أنّه لم يكـن للإمام الثـاني عـشـر بابٌ ليكون وكـيلَه في غيابه، كمـا لم يكنْ له ولدٌ ينقلُ إليه الإمامةَ، لذلك اعتبـرَ فئةٌ من الناس، وهم النّصيريّون، أنّ أبا شُعَـيب محمّد بن نُصير البصـري النُّمَيري، بابَ الحسن العسكري، هو وريثُ الإمام الثاني عشر، وهو حجّتُه والبرهانُ عليه، ووكيلُه والدليلُ إليه.

---

(١٦) تعليم الدين العلويّ، النصيريّة، مخطوط باريس رقم ٦١٨٢ ص ١٠ ب.

والبـاب، بـنظر هؤلاء النّاس، هو مـن جـملة التـشكيـلات الديـنيّـة الأساسيّة. وله مـهمّة كمهمّة الإمام في تـدبير شؤون الناس. بواسطة البابِ يدخلُ المؤمنون إلى الإيمان، وبه ينالُ الطالبون الدّين.

قال الصادق في البـاب وأهمّيته: «درجةُ البـاب أن يدري الإمامَ حيث يشاء؛ لا يُحجَبُ عنه شيء، لا جبلٌ شاهق، ولا طَودٌ متين، ولا بحرٌ عميق، ولا حائطٌ محيط، ألاّ يكونَ نصبَ عينيه حيثُ شاء وأراد»[١٧].

---

(١٧) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٥٥.

رابعًا – محَمَّد بن نُصَير النُّميري

(ت٢٧٠هـ/٨٨٣م)

هو «أبو شُعيب محمّد بن نُصَيْـر البصري البَكْري النُّمَيْري العَبْدي». بالرغم من نسبتِه العربيّة اختُلِفَ في أصله :

قد يكونُ من مواليد البصرة، لنسبته إليها وإلى بعض قبائلها العربيّة.

وقد يكون أيضاً من الكوفة في العـراق، على حدّ قول ابن العبري، في تاريخه السرياني؛ وابنُ العبري نفسه، في التاريخ العربي، يعود ليعتبره من خوزستان من بلاد فارس، علماً بأنّ ابنَ العبري ينسبُ إلى ابن نُصير كلَّ ما يعـودُ إلى الخُصَـيـبي، الذي سنتناوله بعـد حين، كمـا يخلط بين القـرامطة والنّصيريّين.

وقد يكون أيضاً، بحـسب شهادة الشهـرستاني[١٨]، من بلاد فارس، وذلك لاعـتبـاره له من غـلاة الشـيعـة الذين ألّهـوا عليّا وخـلفاءَه، ولقـوله بالتناسـخ والحلوليّـة والثنائيـة، وكـرْهِ الخلـفـاء الثـلاثة الأُوَل، وتمجـيـدِ الشخصـيّات التي لها علاقة بفـارس، مثل أزدشير وسابور اللّذين يُعـتبَرانِ تجسيدًا للألوهة[١٩]، والأخذِ ببعض الأعياد الفارسيّة، كالنوروز والمهرجان، والاعتمادِ على المتحمّسين من أهل فـارس، «لأنّ أهل العجم يعتقدون بألوهيّة علي بن أبي طالب»[٢٠].

---

(١٨) الشهرستاني، الملل والنحل، ص ١٨٨–١٨٩، ١٧٣–١٧٥.

(١٩) سليمان الأذني، الباكورة السليمانية، ص ١٧.

(٢٠) المرجع نفسه، ص ٨١–٨٢.

أمّا نسبته « البكري» فتعود إلى كونه حصّلها فيما بعد، فيكون بالتالي من موالي بعض القبائل العربية.

سكنَ ابنُ نُصير في سامرّاء، وكان بابًا للإمام الحادي عشر الحسن العسكري. اشتهر بمرتبته «البابيّة» «في الدّين. بعد اختفاءِ الإمام الثاني عشر، وقع عبءُ الدّعوة على أكتافه، فعمد إلى تنظيمها وتولّي أمرها، وهو يَنعي فيها غيابَ الأئمّة إلى الأبد. إلاّ أنّ تطرّفَه في حبِّ آل البيت عوّضَ عن هذا الغياب، فغلا في تقديس الأئمّة، حتّى راح يؤلّه الإمامَ الأوّل منهم.

لم يكنْ لابنِ نُصَير تعاليمُ مدرَجة في كتب، سوى ما نعرفه من بعض المصادر الإسلاميّة المُعادية له. يقول فيه النّوبختي : «محمّد بن نُصير النميري، وكان يدّعي أنّه نبيّ، بعثه أبو الحسن العسكري. وكان يقول بالتناسخ والغلوّ في أبي الحسن، ويقول فيه بالربوبيّة، ويقول بالإباحة للمحارم، ويحلّلُ نِكاحَ الرجالِ بعضهم بعضاً في أدبارِهم، ويزعم أنّ ذلك من التواضع والتذلّل، وأنّه أحدُ الشهوات والطيِّبات، وأنّ اللّه عزّ وجلّ لم يحرّمْ شيئاً من ذلك»[٢١].

وفي كتاب «المناظرة»، وهو من كتب النُصَيريّة الأساسيّة، كلامٌ عن ابن نصير وتعاليمه ونسبتهِ إلى الحسن العسكري. قال: «إنّ محمّد بن نُصير هو باب اللّه، الذي لا يُتَّخَذُ بعدَه بابٌ غيره. وكان هو البابُ إلى غَيبة سيّدنا أبي محمّد (أي الحسن العسكري). وغابَ الباب. وتمّ الاسمُ شخصَين: ألحسن العسكري ومحمّد بن نُصير. والمعنى (أي عليّ بن أبي طالب)، جلّ وعلا، ظاهرٌ بالذّات كمثلِ صورةِ علي العسكري منه السلام.

«وطلبتْهُ القرونُ وقصدتْهُ فراعنةُ الأرضِ، وأظهرَ الغيبةَ يومَ الاثنين بخمْس ليالي بقيتْ من جَمادى الآخر سنة أربعة وخمسين ومائتين من أوّل

---

(٢١) ألنوبختي، فرق الشيعة، ص ٧٨.

سنين الهجرة. مدّة هذا المقام أربعين سنة، منهـا مع المولى محمّد ستة سنين وخمس أشـهر، وبعد غيـبةِ محمّـد ثلاثة وثلاثين سنة وسبعة أشـهر... ولم يَظهرْ في هذه الغـيبة قـتلٌ ولا سمٌّ بل غُيِّبَ الاسمُ. وهو الحسن العسكري، وظهر كـمثلِ صـورته... وأظهرَ الاسمُ، وهو مـولانا المهدي صـاحبُ الزمان محـمّد ابن الحـسن،... طلوعَ الفجـرِ يومَ الجمـعة لثماني ليـالي خَلَونَ من شعبان سنة سبعـة وخمسين ومائتين من أوّل سنين الهجرة. فلم يزل الاسمُ شخصَين: مولانا المهـدي صاحبِ الزمان محمّد ابن الحسن، والسيّـد محمّد بن نُصير علينا سلامه»[٢٢]

* * *

إلى محـمّد بن نُصـير تُنسب النصـيريّة. ولا عـلاقة لهذه التـسمـية بـ«النصارى»، حسبما يقول Wolf[٢٣] الذي يعتبر اسمَ «نصيرية» من صنع أعدائهم، وهو يعني «النصارى الصغار». وهو أيضاً رأي Renan الذي يقول بانّ أسمهم هو «تصغـير للفظة نصارى»[٢٤]. ولا علاقة أيضـاً للنصيريّة بـ «نُصير مولى عليٍّ بن أبي طالب» الذي تـولّى عليٌّ تحريرَه، على ما يقول ابو الفداء[٢٥]. ولا يعني أيضاً «فلاّح» على ما يقول . Ritter وM. Hartmann[٢٦].

ونسبة النصـيريِّين إلى ابن نُصير واضحـةٌ في «كـتاب المجموع»[٢٧]، حيث قـوله: «ومِن محـمّد بن نصـير أقـامَ النسبَ والدّين»[٢٨]، وقوله: «إنّي

---

(٢٢) المناظرة، مخطوط باريس رقم ١٤٥٠، ص ١١٩ب-١٢٠أ.

(٢٣) Wolf, Catéchisme des Nosairis, Z. D.M. G. III

(٢٤) Renan, Mission de Phénicie, p. 114....

(٢٥) Chronique Arabe, Ed. Beyrouth, p. 232.

(٢٦) Ritter, Erdkunde, XVII, 979, 993; cité par René Dussaud dans son *Histoire et Religion des Nosairis*, p.9 .

(٢٧) كتاب المجموع، فيه عقيدة النصيرية ودستورهم، مؤلّف من ست عشرة سورة، من وضع الخُصيبي، تراه في ملحق الكتاب.

نُصَيريّ الدّين، جُندُبيّ الرأي، جُنْبُلانيّ الطريقة، خُصَيبيّ المذهب، جَلّيٌّ المقال، مَيمُونيٌّ الفقه»[٢٩]. وفي السؤال ٩٩ من كتاب تعليم الديانة النّصيريّة يفتخر النصيريُّون بانتسابهم إلى الخُصَيبيّ مؤسّس العقيدة، ويسمّون «الخُصَيبيّة»[٣٠]، ويطلقون على أنفسهم اسم: «الطائفة أصحاب الخُصَيبيّة»[٣١]. وهذا دليل على ما لهذا الرجل من دور هام في تاريخهم وعقيدتهم[٣٢].

إلاّ أن النصيريّين يؤثرون اسم «العلويّين» على سواه، افتخاراً بنسبتهم إلى عليّ بن أبي طالب، كما أنهم ينتسبون بفخر واعزاز، في عقيدتهم، إلى الخُصَيبي، باني شؤونهم، ومنظّر تعاليمهم.

***

خَلَفَ ابنَ نُصير في رتبته البابيّة **محمدٌ بنُ جُندُبْ** الذي لم يُعرفْ عنه الشيء الكثير.

ثم **محمّد الجَنان الجُنْبُلاني** «العابد الزاهد الذي هو من بلد فارس»[٣٣]. هذا كان عالماً ورعاً، عازباً عن أمور الدنيا. وقد كُنّي بالزاهد لكثرة تقشّفاته. أقام في إيران في بلدة جُنْبُلا الفارسية، وعرف بنسبته إليها.

---

(٢٨) كتاب المجموع، السورة الرابعة، واسمها النسبة.

(٢٩) السورة الحادية عشر، واسمها الشهادة.

(٣٠) كتاب تعليم الديانة النصيرية، مخطوط باريس رقم ٦١٨٢.

(٣١) كتاب تعليم الديانة النصيرية، السؤال: ١٠٠.

(٣٢) H. Lammens, Etudes, 1899, p. 462 - 463.....

(٣٣) السورة الرابعة، واسمها النسبة من كتاب المجموع.

أنشأ الجنبلاني طريقة خاصّةً بالتصوّف، سمّيت بالطريقةِ الجنبلانيّة، ووضعَ للنصيريّين فقهًا خاصًا بهم، يختلفُ عن الفقه الجعفري الذي يأخذُ به الشيعةُ وعن المذاهب الفقهيّة السنّية الأربعة.

سافر الجنبلاني إلى مصر، وهناك اختار له رجلاً مساعداً اسمه: الخُصَيْبي، وأدخلَه طريقَته، واستصحبَه معه عائدًا وأيّاه إلى جنبلا، حيث توفّي الجنبلاني سنة ٢٨٧ هجريّة.

ظهر في أيّام الجنبلاني المتصوّفُ المشهور أبو القاسم جُنَيْد بن محمّد القواريري المعروفُ بالبغدادي. هذا اشتهر أيضاً بالزهد والتقوى. تدرّب على الصوفيّة في بلاد فارس في نهاوند، وتلقّى علومَه على الطريقة الشافعيّة، ثمّ على الطريقة الجنبلانيّة. توفّي سنة ٢٩٧ هـ، ودُفن في بغداد بجانب خاله الصوفيّ الذائع الصيت «السرّ السقطي» المتوفي سنة ٢٥٣هـ.

خامسًا – الحسين بن حمدان الخُصَيبي

(ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)

بعدَ وفاةِ الجُنبلاني تسلّمَ رئاسةَ الدعوةِ السيّدُ الحُسَين بن حَمْدَان المَصري الخُصَيْبي الذي استقدَمَه الجنبلاني من مصر إلى جُنبلا. ومن جنبلا انتقل الخُصيبي إلى بغداد، حيث كانت أعظمُ أعماله الدينيّة. ثمّ ساحَ في معظمِ البلاد الإسلاميّة: في خراسان، والدَيْلم، وحَلب، حيث توطّن عند سيفِ الدولة أميرِ بني حَمدان، يديرُ شؤون النصيريّين.

يُعتَبر الخُصَيبي المؤسّس الثاني للنصيريّة. وهو الذي انتقلَ بها من بلادِ العراقِ إلى بلادِ الشام وحلب حيثُ استقلّتْ عن الإسلام استقلالاً تامًا، بعدما كانتْ في بَغداد تحفظُ بعضَ الاعتدال. وربّما سُمّيت النصَيريّةُ منذ ذلك الحين بالخُصيبيّة، لِما للخُصَيبي من يدٍ طولى في ترسيخِ قواعدِها ونشرِ تعاليمها في الأقطارِ الإسلاميّة.

جاء في كتاب تعليمِ الديانة النّصيريّة هذا السؤال: «مَن هو شيخُنا الذي شرَّعَ لنا الأديانَ في سائرِ البلدان؟ ألجواب: هو سيّدنا أبو عبدالله الحُسين بن حمدان، عليه وعلى تلاميذه من الله أفضلُ الصلاة والسلام». وفي سؤالٍ آخر: «لماذا نُدعى الطائفة الخُصَيبيّة؟ ألجواب: لأنّنا تابعين تعليم شيخِنا ابن عبدالله الحُسين بن حمدان الخصيبي، قدّسَ الله سرّه»[٣٤]. وجاء في كتاب «الباكورة السليمانيّة»: إنّ النصيريّة تدعى «ديانة الخُصَيبي»[٣٥].

---

(٣٤) مخطوط رقم ٦١٨٢ سؤال ٩٩ و ١٠٠.

(٣٥) الباكورة السليمانية، ص ٩٠.

يبدو أنَّ دعوةَ الخُصيبي لم تلقَ نجاحًا في بلاد الشام. فهو، في إحدى قصائده يذمُّ الشامَ لعدم استجابةِ أهليها له. يقولُ شعراً :

سَئِمتُ المُقَامَ بأرضِ شام عليهِم لَعَائِنُ ربِّ الأنامِ.

بعد الشام رجعَ إلى بغداد، وبدأ ينشرُ فيها تعاليمَه بين الناس، فسَمع به الوالي، فقبضَ عليه، وألقاه في السجن. ولمّا لاحتْ له فرصةُ الهرب فرّ ليلاً. وذاعَ بين أتباعِه أنّ السيِّدَ المسيح خلّصَه، وأنّه محمّد، وأبناء بنت محمّد الأحد عشر، كما قال في ديوانه:

قال لي في المنام أبٌ شفيقٌ أنتَ يا ابنَ الخُصيبِ حُرٌّ عتيقُ.

أنتَ بالحُجُبِ آلُ أحمد ما عشتَ طليقاً بحبِّهِم مرزوقُ.

أمّا قصّة هربِه من السجنِ وتخليصِ المسيح له فهي كما يقصّها علينا ابنُ العبري: «كان للسجّان جاريةٌ أخذتْها الشفقةُ عليه، وسكر السجّانُ يوماً واستغرقَ في النوم، ففتحتِ السجنَ، وردّتِ المفاتيحَ إلى مكانِها. استيقظَ السجّانُ ورأى أنّ الشيخَ هربَ، ولا يوجد علامةٌ على أنّ السجنَ فُتح. فزعم أنّ مَلَكًا أطلقه، وأذاعَ هذا الخبر لينجو من غضب الوالي»[٣٦]. سمع الشيخُ بهذه الإذاعةِ الأعجوبةِ فازداد عزماً في نشر تعاليمِه.

قال سليمان الأذني عن الخُصَيبي: إنّ «هذا عندهم أعظمُ من كلِّ مَن كان بعده. هو الذي أكملَ صلواتهم، وأذاعَ تعليمَه في البلدان»[٣٧]. ونفخ في أنصارِه الروحَ والنشاط، ورتّب أنظمتَهم، ودبّر أمورَهم. وهم يذكرونه في صلواتِهم، ويبجّلونه بقولِهم: «شيخُنا وسيّدُنا وتاجُ رؤوسِنا وقدوةُ دينِنا

---

(٣٦) ابن العبري، مختصر الدول، بيروت ص ٢٥٠ حيث يخلط المؤرّخ بين النصيرية والقرامطة.

(٣٧) الباكورة السليمانيّة، ص ١٦ تفسير السورة الرابعة.

وقرّة أعيننا السيدُ أبي عبدالله الحسين بن حمدان الخُصيبي، قدّسَ العليُّ روحَه، لأنّ مقامَهُ مقامُ الصفا، ومحلَّه محلُّ الصدق والوفا. باسمِ اللهِ وباللهِ وسرِّ السيِّدِ ابي عبدالله، العارفِ معرفةِ اللهِ، سرِّ تذكارِه الصالح سرّهُ أسعدَه الله»[٣٨]. وأيضاً: «لا رأيَ إلاّ رأيُ شيخِنا وسيّدِنا الحُسين بن حمدان الخُصيبي الذي شرّعَ الأديان في سائر البلدان»[٣٩].

كان للخُصيبي وكلاء في كلِّ مكان. وكان يكاتب الأمراءَ والملوك من بني بُوَيه وبني حَمدانٍ والدَيلم... وَضَعَ كتبًا عديدة في المذهبِ تُعتَبرُ مرجعًا في العقيدة. أهمّها «كتابُ المجموع»[٤٠] في ستِ عشرة سورة، ويسمّى أيضا «كتاب الدستور»، و«كتاب راست باش» أي «كن مستقيماً»، أهداه إلى تلميذه عضد الدولة الدّيلمي، وكتاب «الهداية الكبرى»، أهداه إلى سيف الدولة الحمداني أمير حلب... وغيرها[٤١].

تركَ الخُصيبي بغدادَ بعد أن أسّسَ فيها مركزًا للديانة برئاسة الشيخِ **علي بن الجسري**. وبعد انتقاله الي حلب واستقراره فيها أسّسَ مركزَ حلب وسلّمه إلى **محمّد بن علي الجلّي**.

توفّي الخُصيبي سنة ٣٤٦هـ في حلب، وله قبر في شماليها معروف باسم «مزار الشيخ يابراق»، تحجّ إليه الناس من كلِّ حدب وصوب.

---

(٣٨) السورة الاولى واسمها الأوّل من كتاب المجموع.

(٣٩) الباكورة السليمانية، ص ١٦.

(٤٠) تراه ملحقاً في آخر هذا الكتاب.

(٤١) أنظر، في هذا البحث، كتب النصيريّين.

سادسًا – الميمون الطَّبَراني

(ت ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م)

عندما اندثـرَ مركزُ حلب، انتـقلتِ الدعوة النصـيريّة الخُصـيبـيّة إلى اللاّذقيّـة. ورئسَهَا عندذاك رجلٌ عُـرِف بالفقرِ والتـقوى والعلمِ الواسـع، هو السيّـد أبو سَعِـيد الميـمون سرور بن القـاسـم الطَّبَرَانِي، الذي أصـبحَ أعظمَ مرجع للنصيريّين الخُصيبيّين.

وُلد الطَّبَراني سنة ٣٥٨ هـ في طَبَـرَيَّة، وانتسبَ إليها. حـفظ القرآن منذ صِغَرِه. سافر إلى حلب سنة ٣٧٦هـ وفيهـا ألّف كتباً كثيرة في المذهب. ثم سـافر إلى اللاّذقيّة، وسكن فيهـا. وأصبحَ، لعدّة سنوات رئيسًا للنصيريّة بعد انتقالها من حلب[٤٢].

كان السيّد الطَّبَرَاني أكبرَ مـؤلِّفٍ عند النصـيريّين وأغزرَهم فكراً. فهو الذي ركّزَ العقيدةَ، وسنّ القوانينَ، ورتّب الأعياد، وأدَارَ شؤونَ الدّين. وضعَ، أحسنَ ما وضـعَ، كتابَ «مجموع الأعياد»، وكتابَ «الحاوي»، وكتابَ «الدلائل في معرفة المسائل»، و«رسالة التوحيد»... وغيْرها[٤٣].

توفّي الطبـراني سنة ٤٢٦ هـ في اللاّذقيّة، وله فـيهـا قبر مـعروف باسم «مزار أبي علي الشيخ محمّد الطَّبَراني». يزوره السنّيون والنّصيريّون على السواء.

---

(٤٢) يقول كـتاب الباكـورة في خلافه الطبـراني للخصـيبي: «ثم قام بعـد الحسين ابن حمدان رجل آخرِ اسمه ميمون بن قاسم الطبراني»، ص ١٧–١٨.

(٤٣) أنظر، في هذا البحث، كتب النصيريّين.

بعد الطبراني، لم يَبْقَ للعلويّين النصـيريّين أيُّ سلطةٍ مركزيّةٍ في أيّ مكان. لقد اضطُهِدوا في مراكزهم جميعـها، وتشتّتوا في البلاد، واستقلّ كلُّ شيخٍ فـي قريتهِ يُـديرُ شؤونَ دينه في الخـفاء. فتـشعّـبتِ الديانةُ بتـشعّبِ العشـائر والقبـائل، وقلّ نشاطُ المسـؤولين فييـها لشدّة الاضـطهاداتِ التي لاحقتهم من كلِّ ناحٍ.

***

نشأتِ النصيريّة سـياسيًا من مطالبتها بـحقٍّ مغتصَب، هو حقّ عليّ بن أبي طالب بالإمـامة والخـلافة. ونشأت ديـنيًا من ردّة فـعل عنيفـة تجاه بضع عقائد ينكرها عليهـا أهل السنّة. وازدادَ الخلافُ بين الفريقين وتوسّع، وتعـمّقتْ جـذوره، حـتى راح النصـيريّون يـعملون من أجـل الحفـاظ على عقيـدتهم سرًّا. وزادَتِ العملَ بالسـرّ شدّةُ الخلافات. وشـدّةُ الخلافات أدّتْ بهم إلى «اختراع نظريّةٍ فريدةٍ حيثُ النفاقُ يسمـو فيها إلى مرتبة المبدأ»[٤٤]. فـأصبـحتِ المطالبـةُ بحقِّ الإمـامةِ المغـتصـبـةِ مطالبـةً بحقٍّ عليّ بالألوهة، وأصبحتِ المعتقداتُ الإسلاميّةُ في ظاهرها دينًا للعامّة، أمّا حقيقةُ الدّين فهي للنصيريّين.

إنّ العـملَ في السرِّ وبـالسرّ وبدافعِ الاضطهـادِ والقـهرِ المرير كـان أجدى الأعمال في نشر عقيدةٍ دينيّةٍ مناوئة لعقائد العامّة. والعملُ سرّاً، تحت طيّ الكتمان و«التّـقيّة» وبدافعِ الخوفِ من الإبادةِ، استـحثّ أبطالاً في سبيلِ عقيدةٍ صمّموا على إيصالِها إلى الخاصّة المستنيرة.

---

(٤٤).....H. Lammens, Etudes, 1899, p. 476

الفصل الثاني

عقيدة النصيريين في الله

أولاً : الثالوث الإلهي عند النصيريين

ثانياً : مبادئ التجلّي الإلهي

ثالثاً : التجلّياتُ الإلهيّة عبر العصور

رابعاً : ألوهيّة عليّ بن أبي طالب.



أولاً - الثالوث الإلهي عند النصيريّين

يتكوّن الثالوث الإلهي النصيري من ثلاثة أشخاص. هم: عليّ بن أبي طالب، والنبيّ محمّد، والصحابي سَلمان الفارسي، أي: **ع. م. س.** وتُجمَع: عَمْس. ألثلاثة يؤلّفون الذّاتَ الإلهيّة: عليّ هو «المعنى»، ومحمّد هو «الاسم»، وسلمان هو «الباب». والكلُّ غيرُ متّصل بعضُه ببعض اتّصالاً حقيقيّاً، ولا منفصِلاً بعضه عن بعض إنفصالاً حقيقيّاً.

تصوّر السورة الخامسة من «كتاب المجموع» حقيقةَ ذلك فتقول:

«أشهدُ بأنّ مولايَ أميرَ النّحلِ عليّ اختَرَعَ السيّدَ محمّد من نورِ ذاته، وسمّاه **اسْمَهُ** ونفسَه وعرشَه وكرسيَّه وصفاته. متّصلٌ به ولا منفصلٌ عنه، ولا متّصلٌ به بحقيقةِ الاتّصال، ولا منفصِلاً عنه في مباعدةِ الانفصال. متّصلٌ به بالنور، منفصلٌ عنه بمشاهدةِ الظهور. فهو منه كَحِسٍّ النفسِ من النفسِ، أو كشعاعِ الشمس من القرصِ... وأشهدُ بأنَّ السيَّدَ محمّد خلقَ السَّيدَ سَلمان من نورِ نوره، وجعلَه **بابَهُ** وحاملَ كتابِه. فهو سَلْسَلٌ وسَلْسَبيل، وهو بالحقيقةِ ربُّ العالَمين»[1].

ويشبّهُ سُليمانُ الأُذْني، أحدُ مشايخ النّصيريّن الجاحدين، الثالوثَ النّصيري بالثالوثِ المسيحي. يقول: «فعليٌّ عندهم هو الآب، ومحمّدٌ الابن، وسَلمانُ الفارسيّ هو الرّوحُ القدس»[2].

إنّ وظيفةَ كلِّ شخص في الثالوثِ واضحة: فعليٌّ هو «المعنى» الإلهي،

---

(١) ألسورة الخامسة: سورة الفتح من كتاب المجموع.

(٢) كتاب الباكورة، تفسير الاذني على سورة الفتح، ص ٢٠.

أو هو المعنويّة، أي: هو ذاتُ اللّه، وهو اللّه في ذاته. منه يأخذ الوجودُ معناه، وهو يُضفي على الكونِ الوجودَ من معناه.

ومحمّد هو «الاسم» الإلهي، أي: هو الذي أظهرَ «المعنى» إلى الوجود، كما يُظهر نورُ الشمس قرصَها، وكما يُظهرُ البرقُ علامتَه في السماء[٣]. وهو أيضاً: «المكان»، و«المُقام»، و«الحجاب» حيثُ يَظهرُ المعنى ويغيبُ في آن: «ألله هو الباري القديم الأزل الذي كوّن المكان فجعله اسمه وحجابه»[٤]. وقال الصادق: «الحجابُ (هو) الاسم بلا معنى. أتعبدون الاسم بلا معنى؟»[٥].

أمّا سلمان الفارسي فهو «الباب» الإلهي، أي المدخلُ إلى «المعنى» بواسطة «الاسم». «سلمان فهو البابُ الناطق، والشيخُ اللأصق، الذي لا يصلُ إليهِ (أي: إلى اللّه) إلاّ به، ولا يُدْخَلُ إليه إلاّ منه، مُتّصلٌ غيرُ منفصل»[٦]. جاء في السورة الخامسة: «أشهدُ أنّ السيّد محمّد خلق السيّد سلمان مِن نورِ نورِه، وجعله بابَه، وحاملَ كتابه. فهو سَلسَلٌ وسلسبيل، وهو جابرٌ وجبرائيل، وهو الهُدَى واليقين، وهو بالحقيقة ربّ العالَمين»[٧].

في كتب النصيريّة كلامٌ كثير على «عمس» وعلى وَحدانيّته: ففي كتاب «المناظرة»: «إنّ الذي رأيناه بالصورة المرئيّة هو الميم، والميم وعليٌّ وسلمان شيء واحد ونور واحد»[٨]. وبتعبير آخر: «لكلّ صفة إسم يُعرف به، ولكلّ اسمٍ مكانٌ يُقصَد فيه، ولكلّ مكانٍ بابٌ يُدخَل منه إليه»[٩]. والكلُّ

(٣) أنظر السورة الخامسة واسمها الفتح من كتاب المجموع.

(٤) المخطوط رقم ٥١٨٨ من المكتبة الوطنية بباريس، ص ١١٠.

(٥) كتاب الهفت والأظلّة، ص ١٥٢.

(٦) المخطوط رقم ١٤٥٠ من المكتبة الوطنية بباريس، ص ٥٥.

(٧) السورة الخامسة واسمها الفتح من كتاب المجموع.

(٨) المناظرة، ص ١٣٩ ب.

يَظهر بعضُهم من بعض: «إنّ المعنى ظهرَ بحجابه، وظهر حجابُه ببابه. وهو تعالى لا يحولُ ولا يزول»[١٠].

وعن وحدة عليّ ومحمّد وانبثاق الواحد عن الآخر يقول كتاب «المناظرة»: و«الاسمُ والمعنى ليس بينهما فرق، ولا فاصلة، كنورِ الشمس من القرص»[١١].

ليس من فرق أو فصل أو خلاف بين الاشخاص الالهيّة: «إنّ اللّه إسم المعنى، وهو الاسم الذي ظهر للعالم ليعرِفوا به المعنى ويناديَ به ويجدونه. ألمعنى لا ينفصل عن اسمه، واسمُه لا ينفصل عن معناه»[١٢]؛ مع أنّ الفَرقَ بين المعنى والاسم حكمةٌ إلهيّة بالغة، إذ «أنّ الباري، لمّا علم من الخلقِ قبل اظهارِهم من العدم إلى الوجود، أنْ لا بدّ من اسم يُدعون به، وأبدَى لهم الاسمَ ليحجبهم به عن عيانِ نور اللاّهوت لئلا يحرقهم النور»[١٣].

غير أنّ الإيمانَ بهم جميعًا بقدر واحدٍ وبمستوَى بعضِهم بعضاً شيءٌ واجب. فالكفرُ والشركُ والجهلُ والإلحادُ أن تجعل بينهم فرقاً. ولن يكون المؤمنُ نُصَيرِيًا حقيقيًا إنْ لم يعرفِ العلاقة الحقّةَ التي تربطُ بينهم:

«مَن فرّقَ بين الاسم والمعنى فقد كفر»[١٤]، و«مَن عبدَ الاسم بالحقيقة فقدْ عَبَدَ المعنى»[١٥]، و«مَن عبدَ الاسمَ مِن دون المعنى فقد كفر، ومَن عبدَ الاسمَ مِن دون المعنى فقد كفر، ومَن عبدَ الاسم والمعنى بحقيقة الاسم فقد

(٩) مخطوط ١٤٥٠، ص ٩٧.
(١٠) رسالة التوحيد، ص ٤٧أ.
(١١) المناظرة، ص ٨٤ ب.
(١٢) رسالة التوحيد، ص ٤٣ب.
(١٣) ألمناظرة، ص ١٢٩ب.
(١٤) رسالة التوحيد، ص ٤٦أ.
(١٥) رسالة ابن هارون الصائغ، ص ١٧٧ب.

وحّد»[١٦]، و«مَن عرف المعنى من جهةِ الاسم فقد جهل أكثرَ ممّا علم، ومَن عبدَ الاسم والمعنى فقد أشرك، ومَن قال إنّه لا يرى فقد مال إلى العدم، ومَن قال إنّه مِن خَلقه فقد أخرجَه إلى مكان، ومَن قال إنّه خارجٌ عنهم فقد نفى وجودَه، ومَن عرفه بدليله وأشارَ إليه من حيثُ ظهرتْ علاماته وآمن بما شاهد من معجزاته، فأولئك أصحابُ أمير المؤمنين»[١٧].

فالمعنى والاسم والباب ثلاثة أقانيم في إلهٍ واحد. إلاّ أنّ فرقاً بين الثلاثة من حيث المصدر ومن حيث الفعل: فـ«المعنى» هو النور الذي «اخترعَ محمّد من نور ذاته، وسمّاه اسمَه ونفسَه وعرشَه وكرسيّه... إنْ شاءَ عليٌّ بالظهور أظهره؛ وإنْ شاء بالمغيب غيّبَه... ومحمد خلق السيدَ سلمان من نورِ نوره وجعله بابه وحاملَ كتابه... والسيد سلمان خلق الخمسة الأيتام الكرام»[١٨]. ألثلاثة إذاً يتمتّعون بالإلوهة، ولكنْ كلٌّ على حسب ما يُناط به من أدوار. والمؤمن يقوم بعبادتهم بحسب رتبهم، لئلاّ يقع في الشرك أو في الجهل.

لا يستطيعُ نصَيريٌّ أن يحلفَ باسمِ عَمْس ويكونُ كاذباً. ولا يمين تصحُّ من دون عمس. وكلُّ حلفانٍ معظَّم لا يكون إلاّ بعمس. جاء في الباكورة السليمانيّة: «أمّا اليمين الثابتة عند النصيريّة كافّة فهي أن تضعَ يدَك في يدِه وتقول: أحلّفك بأمانتكَ بعَقْدِ عليٍّ أميرِ المؤمنين، ويعقدِ ع م س. فلا يمكنه بعد هذا اليمين أن يكذب. وأيضاً، بلَّ أصبعَكَ بريقِكَ واجعلْها في عُنُقِه، وتقول: تبرّأتُ من خطاياي وأوضعتُها في عنقك. وأحلّفكَ أيضاً بأساس دينك بسرِّ عقْد ع م س أنْ تخبرَني عن صحّة أمرِ كذا. فلا يمكنه الكذب بعد هذا»[١٩].

---

(١٦) مسائل ابن هارون الصائغ، ص ٥٠ ب.

(١٧) كتاب الأصيفر، ص ٧ أب.

(١٨) السورة الخامسة واسمها الفتح من كتاب المجموع.

كلُّ حيـاة النصيريّـين، وتصرّفاتهم، ويمينهم، وعـلاقاتهم بعـضـهم ببعض، مشمولة بنعمة عمس، ومرتهنة بالإيمان بعمس.

كثيراً ما يصوّر النصيريّون
ثالوثهم الإلهي
بشكل دائرة،
في وسطها
إسم عليّ،
وعلى أطرافها
إسما محمّد وسلمان.
كيفما أدرتها،
تقرأ إسمَ عليّ
ومحمّد وسلمان،
أربع مرّات،
وفي الاتّجاهات الأربعة.

(١٩) الباكورة، سليمان الاذني، ص ٨٣.

ثانياً – مبادئ التّجلّي الإلهيّ

ليسَ بمقدورِ الإنسان أن يعرفَ عن اللّه شيئًا إنْ لمْ يبادرِ اللّهُ نفسُه بالكشف عن نفسه. ووسيلة ذلك، عند النّصيريّين، هي أن يتجلّى اللّه في البشر، ويظهر فيما بينهم، على شكلِهم وصورتهم، حيثُ هم، ومن حيث هم.

ونقل الشهرستاني عنهم مبدأهم في التجلّي بقوله: «قالوا: ظهورُ الرّوحاني بالجسد الجسماني أمرٌ لا يُنكره عاقل. أمّا في جانب الخير فكظهورِ جبريل ببعضِ الأشخاص... وأمّا في جانبِ الشرّ فكظهور الشّيطان بصورة إنسان حتى يعملَ الشرَّ بصورته؛ وظهورِ الجِنّ بصورة بشَرٍ حتى يتكلّمَ بلسانه. فكذلك نقول: إنّ اللّه تعالى ظهر بصورة أشخاص».

ويكمّل الشهرستاني: «ولمّا لم يكن بعد رسول اللّه شخصٌ أفضل من عليّ، وبعدَه أولاده المخصوصون، وهم خيرُ البرية، فظهر الحقُّ بصورتهم، ونطقَ بلسانهم، وأخذ بأيديهم... عليٌّ... كان مخصوصاً بتأييدٍ إلهيٍّ من عند اللّه تعالى فيما يتعلق بباطن الأسرار... وربّما أثبتوا له شركة في الرسالة،... فعِلمُ التأويل، وقتالُ المنافقين، ومكالمةُ الجنّ، وقلعُ باب خَيْبَر، لا بقوّةٍ جسدانية، من أوّلِ الدليل على أنّ فيه جزءاً إلهيًا، وقوّةً ربّانيّة. ويكون هو الذي ظهرَ الإلهُ بصورته، وخلَقَ بيدَيه، وأمرَ بلسانه. وعن هذا قالوا: كان موجوداً قبل خلقِ السماوات والأرض»(٢٠).

على اللّه أن يَظهرَ للعالَم لكي يعرّفَهم إلى نفسه، ويأنسَ العالَمُ بوجوده إذا ما رآه من جنسه البشري. جاء في أحد كتب النصيريّين الأساسيّة: إنّ اللّهَ «ظهرَ لتكونَ له الحجّةُ على خَلقِه، وليأنسَ إليه المؤمنُ إذا

---

(٢٠) الشهرستاني، كتاب الملل والنحل ١/١٨٨–١٩٨.

رآه من جنسه بالبشريّة»[٢١].

وقال أيضاً: «كان ظهورُه بالبشريّة عَدْلاً منه وإنصافاً، لئلاً يكونَ على اللّه حجّـةٌ بعدَ الرسول؛ فنُطـقُه من البشـر، وظهورُ المعجـزات والقدَر، دلّهم على ذاته... فكان ظهـورُه قـدرةً، ونطقُه حكمـةً، ودلالتُـه على ذاته رحمـةً، وغيبتُه عظمَةً، ليُهْلكَ مَن هلكَ عن بيّنةٍ ويُحيي مَن يُحيي عن بيّنة»[٢٢].

وفي قول أبي سعيد تأكيدٌ لرحـمة اللّه في ظهوره للبشر. قال: «ظهرَ لخلقِه كَخلقِـه مجانِسًا، وتقرّبَ إليهـم برأفتِه ورحمتِه مُـأْنِسًا، وشاكلَهم في الأجناسِ والصُوَر، وباينهم في الحقيقة والجَوهَر»[٢٣].

حجّـةُ هذا الظهور تأتي من أن الذي يعـبُدُ إلهًا بعـيدًا لم يُظهِرْ نفـسَه للعالم يُخشى عليـه عبادةُ الغيب والعدم. قال يوسف الحلبي عـن ربيعة أحد المضلّين: إنّ «هذا الرجل يعبدُ الغيب. والغيبُ يقع فيه الزيادةُ والنقصان»[٢٤].

وعُرف عن جـعفر الصادق فـرضيّاتٌ واضـحة تقرّر أهميّـةَ الظهور الإلهي وضرورتَه. قـال: «مَن لا يرى فقد عَـبَدَ مجهـولاً غائبًا. ومَن عـبدَ مَن يَرى فقد عبدَ محدودًا. ومَن قال إنّه غيرُ مشاهِد فقدْ قال على غائب. ومَن قال إنّ الأبصارَ تُـدركُه فقـدْ يرى مثلَه. ومَن عـبدَ المعنَـى والإسمَ جـميـعاً فـقد أشركَ به. ومَن وصــفَه بما وقع مِن فكرِه فـإنّما وصفَ نفسَــه. ومَن قال إنّه محتجِبٌ عـن خلقِه فإنّما عنَى غيرَه. ومَن قـال إنّه ظاهرٌ لهم يَرونَه فقدْ عَناه. ومَن عرفَهُ من جـهّةِ الإقرار بعلمِه من ظهورِ المعـجزات ونفى ما رأى وأثبتَ ما علمِ فأولئك أصحابُ أمير المؤمنين»[٢٥].

---

(٢١) كتاب الأصيفر، ص ٥أ.

(٢٢) المرجع نفسه، ص ٢٩ أب.

(٢٣) المرجع نفسه، ص ١٧ب–١٨أ.

(٢٤) كتاب المناظرة، ص ١٧٣أ.

(٢٥) كتاب الاصيفر، ص ٧ب–٨أ.

والحـجّة تكمنُ فـي مَن جعلَ اللهُ فـيـه قدرةً على رؤيتـه، ومـعرفـة ربوبيّـته: «عظمـةُ الحجّـة حين رأى قدرتَه. فـمَن ألطفُ صنعًا، وأبـينُ أمرًا، وأثبتُ قـولاً، وأكملُ بيـاناً مِن ربٍّ أظهر قـدرتَه في عبـده، حتى يُبـيّنَ أمرَه. وأظهر آياتِه وعُرفتْ ربوبيّتُه ومُجّدتْ مشيئتُه ونسبتُه»[٢٦].

والحـجّةُ الكبـرى للظهور الإلـهي قولُ كـتاب الأسـوس، وهو كتـابٌ نصـيريّ أسـاسـيّ أيضاً: «لن يضـرَّ المخلوقَ الخالقُ إذا نزّلَ به قـدرتَه. ولن يضرَّ الخالقَ نزولُه بالمخلوقِ، وذلك أنّ السموات والملائكةَ والأرواحَ مخلوقةٌ، وهي ترَى الخالقَ. فلو كـانت رؤيتُها تضـرُّه أو تنفعُه لكانت مـعرفتُـها إيّاه تضـرّه»[٢٧].

وظهور اللّه واجبٌ حتى يستطيعَ اللّـهُ أنْ يتكلَّم مع خلقِه، وحتى يفهم خلقُه كلامَه. «قال العالِم: لا بدّ من أن يجعلَ (اللّه لذاته) هيئةً مثلَ خلْقِه حتى يكلّمَهم منهـا، فيفهـموا عنه أمرَه ونهـيَه... ويَخلقَ خلقًا يحـتجبُ به ويتكلّمُ منه... (لذلك) خلقَ اثني عشـرةَ صورةً بيدِه، فخاطبَ اللهُ خـلقَه منهم... قال السائل: ثَـبتَ أنّ اللهَ يكلِّم خلقَه وهو بهـيئـتِهم وهم بهـيئتِـه فيـفهمـوا عنه ويعلَموا أنّ صورتَهم مخلوقةٌ وهو خالِقٌ، وأنّه يفعلُ ما يشاء»[٢٨].

ومِن مبادئ الظهور الإلهي أيضاً: أنّ اللهَ وحـدَه يعرفُ نفسَه ويعرِّف عن نفسه بنفسه. وقد عرفه الإنســانُ عندما رآه في دارِه، قريباً منه، مخاطِباً له. بهذا ابتدأ كتـابُ الأسوس كلامَه. قال: «وما توفيـقي إلاّ باللّه. والحمدُ للّه الدالِّ على نفـسِه بنفسـه، ولا يدلّ عليه إلاّ هو... ولا يَدري أحـدٌ كيفَ هو إلاّ هو، الذي ظهرَ بحجّته»[٢٩].

---

(٢٦) كتاب الأسوس، ص ٢٥ب-٢٦ أ.

(٢٧) كتاب الأسوس، ص ١٠ أ.

(٢٨) كتاب الأسوس، ص ٣٥ب ٣٦ أ. الاثنتي عشرة صورة هم الأئمّة الـ١٢.

(٢٩) كتاب الأسوس، ص ١.

وصدّق هذا الكلامَ واختصره كتابٌ نُصَيريٌّ آخر. جاء فيه: «وانّما يُعرَفُ اللّهُ باللّهِ»[٣٠]، وأيضاً: «لا يدلُّ على اللّه إلاَّ مَن كان منه أو مِن نوره الخاصّي»[٣١]، وأيضاً: «نعمْ لا يدلّ على اللّه إلاّ مَن كانَ منه»[٣٢].

غيرَ أنّ اللّه لا يُشاهَدُ بذاتِه بل بنورِه. لذلك، فهو كالشمس، يغيبُ عن عالَمٍ ويَظهرُ لعالَمٍ آخر. ولكن، لا ظهورُه يكونُ بذاته، ولا غيبتُه تكونُ حقيقيّةً. والشمسُ لا يستطيع أحدٌ رؤيةَ قرصِها؛ بل يرى منها نورَها فقط: «متى ارتفعتْ على سطح الأفقِ تكونُ ظاهرةً لجملةِ أهلِ ذلك الإقليم، ومتى غربتْ تحتَ الأفقِ تكونُ غائبةً عنهم وظاهرةً لغيرهم؛ وكذلك الباري تعالى، عند ظهورِه، يظهرُ لقومٍ، ويغيبُ عن قومٍ؛ ولا غيبة (حقيقيّة مطلقة).وقد يَعرضُ للشمس الكسوفُ، وهو ان يستترَ نورُها عن الأبصارِ بجرم القمر... فهي لا تُشاهَدُ في الظلام إلاّ بمشاهدةِ النور؛ وكذلك الباري تعالى، وهو الذات، لا يظهرُ إلاّ بنوره. إذْ لو ظهرَ بغيرِ نوره لشوهدتِ الذاتُ كمشاهدةِ النور، وليس كذلك؛ بل يَظهر بنوره ليُشاهَدَ به... ويُستدلَّ به عليه»[٣٣].

يعتمدُ النُّصيريّون، في بيانِ مبادئ الظهور الإلهي هذا، على ما جاء في القرآن. ويفسّرون الآياتِ بحسب مبادئهم الباطنيّة. قالوا: «إنّ اللّه تعالى ظهر لخلقِه بالنورانيّة، وأظهرَهم بها. وأوجدَهم نفسَه، ودلَّهم على ذاتِه، فناجاهم خِطابًا واضحًا، ونُطقًا بيِّناً عَيانًا، وإيجادًا ووجوداً، وعرّفهم أنّه الخالق لهم. فقال، وقوله الحقّ: "أَلَسْتُ بربِّكم"[٣٤]؟ قالوا: بلى... أجابوه بالمعرفة والإقرار... وذلك أنّ اللّهَ تباركَ وتعالى لم يكنْ يسألُ مَن لم يعرِفْه

---

(٣٠) كتاب الأصيفر، ص ١٨ب.

(٣١) كتاب الأصيفر، ص ١١أ.

(٣٢) كتاب الأصيفر، ص ٥ ب.

(٣٣) كتاب المناظرة، ص ٩٨ب-٩٩ أب.

(٣٤) سورة الأعراف ٧/ ١٧٢.

ولا عـاينه ولا أقرَّ به. فـيـقول: ألستُ بربّكم؟ وإنمـا كان ذلك عن مـعرفـة متقدّمة... عند ظهوره بالبشـريّة لمّا ظهر لهم الافعال وأوجَدهم أنّه كَهُمْ وأنّه مولاهم»[٣٥].

فالله، إذاً، ظهـر للبشر بصـورتهم، حيث هم، ومن حـيثُ هم. وعرّف عن نفسـه بِصُوَرِهم، وأخذ هيئَـتَهم، وآنسَهم، رأفةً بهم. عِلمًـا بأنّ الصّورةَ التي يظهر بهـا اللهُ ليست هي اللّه، ولكن أيضاً، ليس اللهُ غـيرَ هذه الصورة. يعني: أنّ الصورةَ البشريّة لا تتضـمّنُ كلّيَّة اللّه، ولكنَّ اللهَ يتضمّنُ الصورةَ كلَّها. «قـال الخُصَيـبي، قدّس اللّه روحَه، عن الـصورة (المرئيّة) إنّهـا ليستْ كلّيّةَ الباري، ولا الباري غيرها»[٣٦].

هذه هي مـبادئ «الظهور والتـجلّي»[٣٧] وضـرورتُه في النصيـريّة. وكلمة حقٍّ تقال في ذلك، هي أنّ بقـاءَ النّصيريّة واستمـرارَها إنّما مرتبطان إلى حدّ بعيد بهذه العقيدة البعيدة الآفاق والأعماق.

---

(٣٥) كتاب الصراط، ص ١٨٦أ ب

(٣٦) كتاب المناظرة، ص ١٤٣ب.

(٣٧) كتاب الصراط، ص ١٣٩ب.

ثالثاً - التجلّيات الإلهيّة عبر العصور

ظهرَ اللّه، بحسب العقيدةِ النصيريّة، مراراً، بأشكال مختلفة، وصوَر كثيرة، بأشخاص بشريّة؛ «إنّ اللهَ أظهرَ نفسَه أشخاصاً... بصورةِ الشّيخِ الأبيض الرأسِ واللّحية... وكهيئةِ الشّابِ راكبٍ على أسَد مفتولِ السبال... وفي صورةِ الصّبيِّ الصغير... واختلفتْ عليهم (على البشر) الصُوَر، ولم تختلف عليهم القِدَر»[٣٨].

لقد احتجب اللّهُ في البشريّة، سبع مرّات: «ففي الأولى احتجب في آدم في كَورِه ودَورِه[٣٩] وتسمّى هابيلاً، وفي الثانية في نوح وتسمّى شيثاً، وفي الثالثة في يعقوب وتسمّى يوسفاً، وفي الرّابعة بموسى وتسمّى يوشعاً، وفي الخامسة بسليمان وتسمّى آصفاً، وفي السادسة بعيسى وتسمّى شمعوناً، وفي السّابعة أخيراً بمحمّد وتسمّى عليّاً. وهو خالي من الأسماء الذي تسمّى بهم، وهم لا يَخْلُون منه»[٤٠]، أيّ إنّ اللّهَ يتجرّدُ عن الأسماء التي ظهرَ بها.

وكان ظهورُ اللّه في صورةِ هابيل على الشكلِ التالي: «أوّلُ ظهوراتِ المعنى هابيل؛ فلم يزلْ قائماً بالوصيّةِ والإمامةِ والفعلِ والنطقِ إلى أن شاء أن يُظهرَ الغيبة؛ فأورى القتلَ على يدِ قابيل (أي قايين)، وبقيتِ الصورةُ المقتولةُ ملقاةً بين أيديه. وكان من قصّته ما كان.

---

(٣٨) كتاب الأسوس، ص ١٩

(٣٩) «ألدور» هو زمن الكشف؛ و«الكور» هو زمن الستْر.

(٤٠) السؤال الخامس، ص ٤.

« ثم ظهر المعـنى بشيت، لم يكن بينهـما (أي بين شيث وهـابيل) مدّة طويلة مثل باقـي المقامات... فـقام شيث بالوصـيّة والإمامـة، وألّف صُحُفَ إدريس. وكان من أمره ما كان»[٤١] .

وهكذا إلى آخر التجلّيات والمقامات الإلهيّة السبعة.

والجدير بالذكر أنّ كـلَّ مُقام يدلّ على سائرِ المقامـات، لأنّ الذي يُقيم في المُقام هو اللّه الواحد. وهكذا كلُّ مقام يـهيّءُ للمقامِ التالي. والمقامُ اللاّحق يشـير إلى المقـام السـابق. والكلُّ يتـعلّق بالكلّ. قال كـتـابُ المناظرة في هذا المعنى: «مِن مقامٍ واحدٍ يُستَدَلُّ على سائرِ المقامات»[٤٢].

للدلالة علـى ذلك، نأخـذُ المقـامَ الإلهيّ في دور مـوسى مـثـلاً: «إنّ موسى، بحسب كتاب الأسوس، كـان بيتًا من بيوتِ اللّه التي ينزلُ بها الربّ ويرتحِل. وقـد كلّمـه اللّه، وأخـذ الـتـوراةَ منه، واهتـزّ له كلُّ شـيء، وأمـرَه بالطهارةِ مِن البَول وترْكِ أكلِ لحم الجَدي والأرنب والخنزير وما أشبه ذلك، وأمره بالغسلِ من الجنابة.

«فلمّا جـاء المسيح الابنُ، وإنّمـا هو الآبُ في صورة الإبنيّـة، فحلّ في المريميّة، وغـيّرَ سنّةَ موسى، ورحـمَهم، فقال: كُلوا مـا شئتم، وأطعِـموا كلَّ شيءٍ يُطيِّب به أنفسكم. ورفع عنهم الغسلَ من الجنابةِ والوضوء.

«فلا ترى، أيّها السـائل، أنّه (عيسى) قد أعـتقهم من كثـير ممّا فرضَ عليهم مـوسى، وهوّن عليهم كـثيراً ممّا شـدّد عليهم من الأغـلال والأصار؟ وقال (عيسى): إنّ اللهَ مستغنٍ عن أعمـالكم، إنْ شئتم إعملوا، وإنْ شئتم فلا تَعملوا. إذا فهمتم فهمتم حلاوة الحرّيّة»[٤٣].

---

(٤١) كتاب المناظرة، ص ١١٠آ.
(٤٢) كتاب المناظرة، ص ١١٠آ.
(٤٣) كتاب الاسوس، ص ٥٦ب-٥٧آ.

وهكذا أيضاً هو الأمر بالنسبة إلى سائر المقامات الإلهيّة: كلٌ مقام يعتمد على الآخر، ويتعلّق بالآخر، ويكمّل الآخر، إلى أن كان التجلّي السابع والأخير في عليّ بن أبي طالب. هذا الأخير عرّفنا على ما سبق من مقامات. وأغنانا عنها جميعها؛ لأنّه ظهر في أهمّ صورة بشريّة، وعمِلَ في أهم دور جاءت فيه شريعةٌ، وهي شريعة محمّد والإسلام.

إنّ نورانيّةَ مُقامِ عليّ ساطعةٌ باهرة، لا يقدرُ إنسانٌ النظرَ إليها من دون حجاب. فكان محمّدٌ حجابَ عليّ الّذي فيه اختفى، ومنه ظهرَ. ثمّ لا يصل إلى الحجابِ إنسانٌ من دون مدخَلٍ إليه أو باب. فكان سَلمان الفارسي البابَ، الذي منه عرفنا الحجابَ والمعنى. وبواسطته أيضاً، خرجَ العالَم إلى الوجود. لذلك سُمّي سَلمانُ ربّ العالمين، وموجِد الأيتام[٤٤] علَلِ الوجود.

فعليّ هو الألوهة، أو هو ذاتُ الله، أو أيضاً هو المعنى الذي ظهر في دور محمّد. جاء في تعليم الديانة النصيرية: «إنْ كان مولانا أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب هو الله، فكيف تجانسَ مع المتجانسين؟ ألجواب: إعلمْ أنّ مولانا أميرَ المؤمنين لا يتجانس مع المتجانسين؛ بل إنّه احتجب بمحمّدٍ في كَورِه ودَورِه وتسمّى عليًا»[٤٥]

لم يكن عليٌّ آخِرَ التجليّات الإلهيّة وحسب، بل هو اللّهُ الذي ظهرَ في التّجلّيات السابقة جميعها: فعليٌّ هو هابيل، وهو شيت، وهو يوسف، وهو يوشع، وهو آصف، وهو شمعون. جاء في كتاب التّوجيه، وهو كتاب نصيريّ أساسيّ آخر: «عليٌّ أحدٌ فرْدٌ، عليٌّ هابيل، عليٌّ شيت، عليٌّ يوسف، عليٌّ يوشع، عليٌّ آصف، عليٌّ شمعون الصفا، عليٌّ أميرُ المؤمنين، لذكرِه الجلالُ والتعظيم»[٤٦].

---

(٤٤) «الأيتام»، خمسة، وهم أصل الوجود. سيأتي الكلام عليهم في فصلٍ لاحق.

(٤٥) كتاب تعليم الديانة النصيرية، السؤال الرابع، ص ٣ب.

(٤٦) كتاب التوجيه، ص ٢٤ب.

إنّ المقامـات السبـعة التي تجلّى اللهُ فـيهـا هي المسمّـاة بـ «السَبْـعَة الذاتيّة»، أي إنّ اللّهَ ذاتَه هو كلّ واحدٍ من السبعة. وكلّ واحدٍ من السبعة يُعبَد في ذاته. جاءَ في كـتاب المناظرة: «إنّ السبـعةَ لا يُشار إليهـا في وقتٍ واحد، ولا تُعـبد فـي وقت واحد، فـيكون البـاري في وقتٍ واحـد ظاهراً بسـبعـةِ أشخاص. وهذا هو الكفر بعينه»[٤٧].

ثمّ إنّ اللّهَ ظهـر في«جزء أصمّ»؛ أي: يظهـر في كلّ اسمٍ ظهوراً كلّـيًا، «لا تَقَسُّمَ فيه، ولا يَظهرُ بشخصَين ولا بثـلاثة، وإنّما يَظهرُ المقامُ بعدَ المقامِ، والظهورُ بعدَ الظهـورِ، إلى آخرِ ظهوراته»[٤٨]. لهذا قيل له: «الجزء الأصمّ»، أي الذي لا ينقسم من شيء، ولا ينقسم إلى شيء.

واختصار ذلك: ألقول في «السبَعة الذاتيّة الذي هو الجزء الأصمّ الذي لا ينقسم»[٤٩]. هذا هو معنى التجلّي الإلـهي عبـر الدهور. وهو أحسن مـا توصّل إليه النّصيريّون في معتقدهم في اللّه.

---

(٤٧) المناظرة، ص ١٠٦–١٠٧أ.

(٤٨) المناظرة، ص ١٠٧أ.

(٤٩) المناظرة، ص ١٠١–١٠٢.

رابعاً - ألوهيّة عَليّ بن أبي طالب.

لا تحتاجُ ألوهيّةُ عليّ بن أبي طالب إلى برهان، لأنّها هي البرهانُ على كلّ شي. إنّها ركنُ العقيدة النصيريّة. حولَها تدورُ سائرُ العقائد. وعليها تُبنى الديانةُ النصيريّةُ كلُّها. بهذه العقيدةِ -الأساس، تختلفُ النصيريةُ عن الإسلام. وانطلاقًا منها تتحدّدُ معالمُ الإيمان، وتوجد كديانةٍ مستقلّةٍ استقلالاً تامًا عن سائر الأديان. وبسبب ذلك «القهْر» الذي لحق بالنصيريّين عبَر التاريخ، وهرباً من المزيد من القهر والاضطهاد، مارسَ النصيريّونَ «التّقيّة» كأعظم وسيلة للحفاظ على وجودهم.

لم يبدأ تأليهُ عليّ مع النصيريّين، ولم يقتصرِ النصيريّون وحدَهم على تأليه عليّ. هناك، في التاريخ الإسلامي، مَن سبقهم إلى ذلك. وعلى مَن سبقهم إلى ذلك اعتمدوا:

١. لقد ابتدأ تأليهُ عليّ مع «عبدِ اللّه **بن سَبَأ** اليهودي»، معاصرِ عليّ، الذي قال لعليّ يوماً: «أنتَ الإلهُ حقًا. فنفاه عليٌّ إلى المدائن. وتبعَ ابنَ سبأ مَن قال قولَه. ويُروَى أنّ عليًا، عندما سمعَ تأليهَه من هذه الفرقة، أمر بحرقِ قومٍ منهم. ولمّا أحرقهم قالوا له: «ألآنَ علمنا أنّكَ إله، لأنّ النارَ لا يعذّبُ بها إلاّ اللّه»[٥٢].

ولمّا قُتِلَ عليٌّ، زعم ابنُ سبأ أنّ المقتولَ لم يكن عليًا، وإنّما كان شَيطانًا تَصَوَّرَ للناس في صورةِ عليّ، وأنّ عليًا صعدَ إلى السماء، كما صعدَ إليها عيسى بنُ مريم، وأنّه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه. وممّا قال ابنُ سبأ

---

(٥٢) ألبغدادي، الفَرق بين الفِرَق، ص ٢٣٥.

في إنكارِ موت عليّ: «إنْ جئتمونا بدمائه في صرّة لم نصدّقْ بموتِه»[٥٣]. وتزعم السبئيّة «أنّ عليًا في السحاب، وأنّ الرّعْدَ صوتُه والبرقَ سَوطُه. ومَن سمعَ منهم صوتَ الرعد، قال: عليكَ السلامُ يا أميرَ المؤمنين»[٥٤].

٢. وجاء بعد السبئيّة فرقةٌ أخرى تسمّى «**الذمّيّة**». هذه زعمتْ أنَّ عليًا هو اللّه، وشتمتْ محمّداً، وقالتْ: «إنّ عليًا بعثَه (أي محمّداً) لينبئَ عنه، فادَّعَى الأمرَ لنفسه»[٥٥].

٣. ثمّ فرقة تسمّى «**البَيانيّة**»، زعمتْ «أنّ روحَ الإله دارتْ في الأنبياء والأئمّة حتى انتهتْ إلى عليّ»[٥٦].

٤. و«**الجَناحيّة**» قالتْ: «إنّ روحَ الإله دارتْ في عليّ وأولاده»[٥٧].

وغيرها...

***

لئن زالت هذه الفرق من التاريخ، لضعفِ دليلها على عقيدتها، فإنّ النّصيريّةَ قاومتِ الزوالَ رغم شدّةِ أعدائها وقهرِهم لها. وذلك لأنَّ البرهانَ على ألوهيّةِ عليّ جاءَ متماسِكاً، منطقيًا، لاهوتيًا، متسلسلاً، مستنداً إلى معطيات أساسيّة.

وللدلالة على قولنا هذا، نتصفّحَ كتبَ النصيريّة، فنرى في كلّ صفحة كلامًا، أو صلاةً، أو دعاءً، أو شكراناً، يحمل في ثناياه الدعوة إلى ربّ

---

(٥٣) البغدادي، ص ٢٣٣-٢٣٦.

(٥٤) المرجع نفسه. أنظر أيضا الملل والنحل للشهرستاني، ١/ ١٧٤.

(٥٥) البغدادي، الفرْق بين الفرَق، ص ٢٥١، الملل والنحل ١/ ١٧٥.

(٥٦) البغدادي، ص ٢٥٥.

(٥٧) البغدادي، ص ٢٥٥. يعدّ الشهرستاني من الفرق أحدى عشرة.

الارباب وسيّدِ الاكوان علي أمير المؤمنين. فالنصيـريّة ترفع إلى عليٍّ الدعاءَ باستمـرار، وتستجدي منه الرحمـةَ، وتستنجدُ بنصرته، وتستـفتحُ بذكره، وتبتدئ به، وتنتهي فيه، وتُقيمُ له الصلوات والفرائضَ اليوميّة[٥٨].

فـ **كتاب تعليم الديانة النصيريّة**[٥٩] يبتدئ بما يلي:

«ألسـؤال الأوّل: مَن هو ربّنا الذي خلَقَـنا؟ جواب: هو مـولانا أمـيـرُ المؤمنـين، أمـيـرُ النـحل، عليّ بن أبـي طالب. وهو اللّه، الّـذي لا إله إلاّ هو، الرحمن الرحيم».

«السـؤال الثاني: مِن أيـن نعلم أنّ مولانا أمـيـرَ المؤمنين عليّ بن أبي طالب هو اللّه؟ جواب: مِـن شهادتهِ ووصـفِه لنفسِـه في خطبةٍ له مشـهورة نطق بها على المنبـرِ أمام كافّةِ مَن حضـر، وعلّمَها أهلَ العقلِ والـنَظر. فقال: "أنا عندي علمُ الساعة، وعَلَيَّ دلّتِ الرُسلُ، وبتوحيدي نطقتْ، وإلى معرفتي دَعتْ. أنا سَمَّـيتُ أسماءَها، وأسْطـحْتُ أرضَها، وأرسَـيتُ جبالَهـا، وأجْريتُ أنهارَها، وأخْـرجتُ أثمارَها. أنا غسقتُ الـغسَقَ. أنا أطلعتُ شمسَـها، وأنرْتُ قمرَها. أنا خلقتُ الخَلقَ، وبسطتُ الرِّزقَ. أنا ربُّ الأرباب، ومالِكُ الأرقاب. أنا العَليّ العلاّم. أنا قـرمٌ من حديد. أنا المُبدِي المُعيد. أنا أولجتُ عـيسى في بطنِ مريمَ أمِّهِ إيلاجًا. أنا أرسلتُ الرُسلَ، ونبّأتُ النبيّين" ».

ومحمّد نفسه، عند النصيـريّة، أعلنَ ألوهيّةَ عليّ. يسألُ كتابُ التعليم: «مَن دعانا إلى معرفة مولانا أميرِ المؤمـنين؟ جواب: رسولُه محمّدٌ صلعم كما قولـه في خطبة بيـعة الدّار: "إسـمعـوا الآنَ ما أقـول لكم، وإيّاكم تشكّون. إعلموا أنّي أدعوكم إلى عليّ بن أبي طالب، كـما أدعوكم إلى اللّه عزّ وجلّ. ألا

---

(٥٨) أنظر كتاب المجموع في سوره الستّ عشرة، في ملحق الكتاب.

(٥٩) **تعليم الدين العلوي**؛ أو «تعليم الديانة النصـيريّة»، نشره وعلّق عـليه أنور ياسين؛ سلسلة «الأديان السرّيّة»، رقم ٦؛ ١٩٨٦؛ ١١٢ صفحة.

إنّ عليًا مـولاي ومولاكم... وأدعوكم إلى عليّ على بصيـرةٍ، أنا ومَن اتّبعني وسـبحـانَ اللّه. ومـا أنا من المشـركين. أدعـوكم إلى عليّ بأمـرٍ منه، وأيّاكم الريب. إلاّ أنّ نبـوّتي تحت ولاية عليّ؛ لأنَّ عليّ، الذي نبّـأنين إليكم، هو الذي خَلَقَني من نور ذاته، وهو ربّي وربّكم، وخالقي وخالقكم. فـاتّقوه، وطيعوه، ووحِّدوه، وسبِّحوه، وقدِّسوه، واعبُدوه، لأنّه هو اللّه الذي لا إله إلاّ هو " ».

وفي **كتاب المجموع** إشاراتٌ صريحة إلى أقوال محمّد في عليّ. يقول: «والسيِّـدُ محمّـد ينادي ويقول: هذا مـولاكم، عليّ بن أبي طالب، فاعـرفوه، وسـبّحـوه، وعظّمـوه، وكبّـروه. وهذا خـالقكم ورازقكم فـلا تنكروه»[٦٠]. ويخـاطبُ مـحمّـدٌ عليّـاً ويقـول. «هذه إشـارتي إليكَ يا نورَ النور، يا فـالقَ الصـخور، وزاجـرَ البحـور، ومـدبِّرَ الأمور، بأنْ تُسـكِنَ المؤمنين في جنّتِكَ العليا»[٦١].

وفي كـتاب المجـموع أيـضاً نماذج من صلواتٍ يتلـوها النّصيـريّون لعليّ:

«إستفتحتُ بأوّل إجابتــي بحبٍّ قدسِ معنويّةِ أميرِ النحلِ عليّ بن أبي طالب... فيه اسـتفتحتُ، وفيه اسـتنجحتُ، وبذكرِه أفوزُ، وفيـه أنجو، وإليه ألجأُ، وفيـه تباركتُ، وفيه استعنْتُ، وفـيه بدأتُ، وفيه ختـمتُ بصحةِ الدين وإثباتِ اليقين... يا هُوَ، يا كلُّ، ياقـديمُ، يا أزَل لم تزلْ، يا معلِّلَ العِلَل، يا مُفني حركاتِ الدوَل، يا غايةَ الغايات، يا مُنهي النّهـايات، يا عالِمَ بأسرارِ الخفِيّات، يا حاضر يا مـوجود، يا ظاهر يا مقصود، يا باطناً بغيـر غمود (ض)، يا مَن أنوارُكَ منكَ تُشرق، وفيكَ تغـرب، ومنك بدتْ وإليك تعود... ألكلُّ أنتَ، يا هُوَ، يا هُوَ، يا هُوَ، يا مَـن لا يعلم مـا هُوَ إلاّ هُوَ... من عـرفَ باطنه وظاهرَه، فـاز ونجا»[٦٢].

---

(٦٠) السورة ١١ واسمها الشهادة.

(٦١) السورة ٨ واسمها الاشارة.

«لبّيك لبـيّك يا أميرَ النحل يا عليّ بن أبي طالب، يا رغـبةَ كلِّ راغب، يا قـديمَ اللاّهوت، يا مـعـدنَ الملـكوت. أنت إلهنا باطناً، وإمـامُنَـا ظاهِراً. يا مَن ظهرتَ فـيما أبطنْتَ، وأبطنتَ فـيما ظَهـرتَ. وظهرتَ بالاستـتار، واستـترتَ بالظهور، وظهرتَ بالذاتيّة، وتعاليتَ بالعَلويّة، واحـتجَبتَ بالمُحَمّديّة، ودعوتَ مِن نفـسِكَ إلى نفـسِكَ بنفـسِكَ. أنت يا أمـيـرَ النحل يا عـليّ... إنّك على ذلك قدير»(٦٣).

«يا عليّ يا كبير، يا عليّ يا كبير، يا عليّ يا كـبير، يا أكبر من كلّ كبير، يا مخـترعَ شمسِ الضحـى، وخالقَ البدر المنير، يا عـليّ لك العزّة، يا عليّ لك الوَحدة، يا عليّ لك المُلك، يا عليّ لك الكبـرياء، يا عليّ لك الإشارة ، يا عليّ لك الطاعة، يا عليّ لك الشفـاعة، يا عليّ لك الفطرة، يا عليّ لك القدرة، يا عليّ أنت سورة البقَرة»(٦٤).

«إنّي أشـهد بأنْ ليسَ إلهًا إلاّ عليّ بن أبي طالب الأَصْلَع(٦٥) المعبود، ولا حـجابَ إلاّ السـيّـد محـمّـد المحمـود، ولا بابَ إلاّ السـيّد سَلـمان الفـارسي المقصـود.... أشهد بأنّ الصورةَ المرئيّـة التي ظهرتْ في البشـريّة هي الغاية الكلّيّة، وهـي الظاهرةُ بالنورانيّة. وليسَ إلهٌ سـواها وهي عليّ بن أبي طالب، وإنّه لم يُحَطْ، ولم يُحْصَرْ، ولم يُدْرَكْ، ولم يُبْصَرْ»(٦٦).

«إشـهَدْنَ عَلَيَّ أيّهـا النجومُ الزّاهرة والكواكبُ النائرة والأفلاك الدائرة بأنَّ هذه الصورةَ المرئيّةَ المعـايَنةَ الناظرة هي عليّ بن أبي طالب، القديمُ الأحدُ

(٦٢) السورة ١ المسمّاة بالأوّل.

(٦٣) السورة الثانية تقديسة ابن الوليّ.

(٦٤) السورة السادسة واسمها السجود.

(٦٥) يصف النصيـريّون عليّا بالأصلع، والأجلح، لأنّه كـان كذلك. وقـد تميّز عن محـمّد بذلك. فلهذا هو غير محمّد، وأكثـر تجرّداً منه. وهي صفة تقرّبه من التجرّد، أي من الألوهة.

(٦٦) السورة ١١ الشهادة.

الفردُ الصَّمَد، الذي لا يتجزّأ ولا يتبعّض، ولا ينقسمُ ولا يَدخلُ في عدد. فهو إلهي وإلهُكم، وإلهُكم وإلهي، إمـامي وإمامُكم، وإمامُكم وإمامي، إمـامُ الأئمّة وســراجُ الظلمــة... ألقابضُ عـلى كلِّ نفسٍ، الذ ي له، ولعظمِ جـلالِ هيـبتِـه وكبرياءِ سَني برقِ لاهوتِه، تخضّــعتْ له الأرقاب، وذُلّتْ له الأمورُ الصعاب، سِرٌّ إلهٍ في السماء، وهو إمامٌ في الأرض، سِرٌّ إمامِ كلِّ إمام. سِرٌّ عليِّ بن أبي طالب قديمِ الأزمان، سرٌّ حجابِ السيِّدِ محمّد وبابِه السيّد سَلمان بابِ الهدَى والإيمان»(٦٧).

وفي **رسـالة البـيان**: «إنّ عليّاً أميـرُالنحل، لا إله إلاّ هو، أحدًا لا يتثنّى في عدد، ولا يتــجسّدُ في جسد، فـردًا صمد، لا يَظهرُ بـصورةٍ ولا بمثالٍ إلاّ بذاتِه، أحدًا ديموميًا لا نهايةَ لحكمه. فافهمْ وَعي»(٦٨).

وفي **كتــاب المناظرة**: إنّ عليّــاً «هو أميــرُ النحل جوهرٌ قــائمٌ بذاته، لا ينقسمُ ولا يتثنّى في عدد»(٦٩).

وفيه أيضـاً: عليّ «يَعلمُ ما في السمــاواتِ العليا وما بينهنَّ وما فوقهنَّ وما تحتَ التراب. عنده علمُ الساعة، ويُنزِلُ الغيثَ، ويَعْلَمْ ما في الأرحامِ. منه الأنبياء والرّسل وخلقُ البشر. وإليــه يُحشَرون. وهو الربُّ القديم. فعلى من حادى عنه لعنةُ اللّه»(٧٠).

وفي **كتــاب الأسوس**: إنّ عليّــاً «لا مِثْلَ له، ولا ضِــدّ، ولا نِسبــة، ولا جوهَر»(٧١).

***

---

(٦٧) السورة ١٢ المسمّاة الإمامية.

(٦٨) رسالة البيان، ص ٥٤ب.

(٦٩) المناظرة، ص ١١٨ب.

(٧٠) المناظرة، ص ١٣٢ ب.

(٧١) كتاب الأسوس، ص ٤٢ب.

لعليّ أسماء عديدة، عُرف بها في ظهوره في الصورةِ المرئيّة، منها أنّه «**أميرُ النَّحْل** »، لأنّ «المؤمنين يتشبّهونَ بالنحل، لأنّها تلقطُ مِن الأزهارِ أحسَنَها»[٧٢]. وفي حديث نبويٍّ: «ألمؤمن كالنحلة، اذا أكلتْ أكلتْ طِيبْ، واذا وضعتْ وضعتْ طِيبْ»[٧٣]. وفي آيةٍ قرآنيّة تقول: «وأوحَى ربُّكَ إلى النَّحْلِ»[٧٤]، أي إلى المؤمنين.

ومنها أيضاً إسم «**عليّ**». قال العالِمُ: «إسمُه ع ل ي الذي علا فوق كلِ إسم، وقهرَ كلَ إسم»[٧٥]. وإلى جانب صيغةِ «**عليّ الله**» يستعمل النصيريون صيغة «**عليّ الأعلى**»، وهي قديمةٌ في كتبهم[٧٦]، وكان القرآن من جهته عارِفاً مسبَقًا بظهورِ شخصٍ اسمُه «عليّ الأعلى» لأنّ الربَّ عرف منذُ القديم بمجيءِ رجلٍ يحمل اسمَ عليّ فيه تستقرّ الالوهة[٧٧].

ومنها «**الأنْزَعُ البَطِينُ**»[٧٨]. والأنزَع هو «**الأجلح**»[٧٩]، و«**الأصلع**»[٨٠]. والبَطِين، لغة، يعني الملآن في ذاته، أي في باطنه، وفي ما هو له، أي الذي لا نعت له ولا صفة يأخذها من غير ذاته. إنّه «ممتنعٌ عن النعوت والصفات. وكلُّ نعتٍ وصفةٍ من البشريّة تقصرٌّ عن صفةِ الاسم، لأنّ الإسمَ أعلى وأجلّ من أن يصفه بشر»[٨١]. معنى ذلك أنّ عليًا هو باطِنٌ مستتر، لا يظهر إلاّ بالنّورانيّة، وهو مجرّد عمّا سواه، كتجرّد الأجلح عن شعره.

---

(٧٢) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٥٠.

(٧٣) انظر الحديث في كتاب الهفت والأظلّة، ص ٧٨.

(٧٤) سورة النحل ١٦/٦٨.

(٧٥) كتاب الأسوس، ص ٤٢ب.

(٧٦) R. Dussaud, *Histoire et Religion des Nosairis*, p. 51.

(٧٧) S. De Sacy, *Exposé de la Religion des Druzes*, t.I, p. 31 -32.

(٧٨) ألسورة العاشرة واسمها العقد، أنظر السور ٤ و ١٢...

(٧٩) السورة الأولى المسماة الاول.

(٨٠) السورة الرابعة المسماة النسبة، أنظر السور ١١ و ١٣...

(٨١) رسالة التوحيد، ص ١٤٣أ وب.

أمّا «**المعنويّة**» فهي جوهر اللّه وذاته، وهي الإسم الذي يُطلق على الألوهة في جميع ظهوراتها وفي علاقتها مع الإسميّة والبابيّة. لذلك، لا تُدرَكُ المعنويةُ بذاتها، بل بواسطة. ولذلك كانَ محمّد واسطةً ضروريّةً لإظهارِها. ولذلك قيل: «عليٌّ هو محمّد، وليس محمّد هو عليّ، لأنّ القدرةَ ذاتيّة على المعنى كالحرارةِ الذاتيّة في النّار. فإنْ طُلِبَتِ الحرارةُ من النّار فليست بنار»[٨٢]. أي: إنّ النارَ تحتوي الحرارةَ، ولكنَّ الحرارةَ لا تحتوي النارَ كلَّها. ففي النار نورٌ وإضاءةٌ وحرارةٌ وحركةٌ ودخانٌ... والحرارةُ لا تحتويها كلَّها. كذلك عليٌّ يحتوي محمّدًا وكلَّ ما في «القبّةِ المحمّديّة»، ولكنّ محمّدًا لا يحتوي الحقيقةَ العَلَويّة كلَها...

***

إنَّ العلاقة بين عليّ ومحمّد هي علاقةٌ لاهوتيّةٌ صعبةُ المنال. هي كالعلاقة الحاصلة بين أقانيم الثالوثِ المسيحيّ. وقد تناولتْها كُتُبُ النصيريّة بشيء من الغموضِ؛ ولكنّها عالجتْها بإسهاب.

جاء فيها مثلاً: «إنّ اللّهَ هو محمّدٌ باطِنٌ ، ومحمدَ هو ظاهرُ اللّه. فإذا ظهرتِ القدرةُ فهي من اللّه، واذا ظهرَ العجزُ فهو من **الحجابِ البشري** الذي يُعرف بمحمّد. فلذلك جاز للناس تُسَمَّى بمحمّد وعليّ، ولا يجوزُ لأحد يتسمّى اللّه»[٨٣]. يعني: إنّ محمّداً وعلياً هما الإسمان البشريّان للألوهة. «وهذا دليلنا على أنّ المعنى تعالى لم يُظهِرْ ذاتَه لغيرِ محمّد إلاّ محتجِبًا، ولا خاطَبَه بسواه»[٨٤]، أي: إنّ علياً ظهرَ بمحمّد محتجِباً، وإنّ محمّداً وحدَه استحقّ أن يكونَ حجابَ اللّه.

---

(٨٢) مسائل ابن هارون الصائغ، ص ٥٣.

(٨٣) مسائل ابن هارون الصائغ ص ٥٣.

(٨٤) المناظرة، ص ١٩٥أ – ١٩٦أ.

ثمّ إنّ محـمّداً هو «**المكانُ**» الذي استـقرّتْ فـيه الألوهةُ العَلَويّة. فـيه تجلّى عليّ، وبهِ دُعي، وهو الغـاية: «إنّ محـمّدًا منهُ الســلام مكانُه (أي مكان عليّ) إذا تجلاّ؛ وبيتُه الذي إليه يَسْعَـا، واسمُه الذي به يُدْعَا، وحكمـتُه الذي إليه يُلجَا، ولسـانُه الناطقُ، وداعيه المرشدُ، وشـاهدُه العادل، والطّودُ الأعلا، والوادي الأيمن، والشّـجرةُ المبـاركة، والعـرشُ الرفيع، والكرسـيُّ الشّـامخ، والرّقُ المنشـور، والبيتُ المعـمور، والسـقفُ المرفوع، والظلُّ المـدود، والماءُ المسكوب، والمُقامُ المحمود، والكلمةُ الباقـية، والحِجّةُ الواجبة، والدليلُ المتّصِلُ بمدلوله، والفعلُ المنفـعِلُ من ذاتيّةِ الفاعل، أَظْهَرَهُ بـعدَ أنْ كان غيبًـا في علمه الذي ليسَ هو غيره. فهو شمسُه الطالعة من قرصِه الغائبة في أُسـِّها»[٨٥].

محمّـدٌ، إذاً، هو الدليل على عليّ بالاستناد إلى مبـدأ «لا يَعْرِفُ اللّهَ إلاّ اللهُ». قال ابن سَنان: أليسَ تعلمون أنّ محمّد دلّ على عَليّ، إذ كان منه، أو من نورِه»[٨٦]، وبالاستنادِ أيضاً إلى «قول السيّـد محمّد: أنا من عَلِيٍّ وعَليٌّ مِنّي، وقـوله: «أنا عَـلِيٌّ وعَلِيٌّ أنا». وقـوله: «أنـا وعليٌّ كـهـاتين –لا أقـول يمينًا وشمـالاً– وأقْرَنَ بين أصْـبَعَيْـه، ليتّضـحَ لنا قولُه: "يا مَن أبدأُ منهُ مـا إليه يَعـود"». وقوله: «أنـتَ جعلتَ لكلِّ صـفـةٍ إسمَ تُعْـرفُ به، ولكلِّ إسمٍ مكانَ يُقصَدُ فيه، ولكلِّ مكانٍ بابَ يُدخَلُ منه إليه»[٨٧].

هذه الدلالة عبّر عنها محمّـد في مناسبات عديدة، في غدير خمّ، وفي يوم نداءِ أبي الخطّاب إذ قال:

«يا مجيبَ ذاته بذاتِه. فمعناه أنّه لم يُجِبْ ذاتَه إلاّ بما هو من ذاتِه، وما هو من ذاته فليسَ غيرَه، وهو نورُ الذات وهو السيّدُ محمّد. فلذلك قال السيّد أبو شُعيب[٨٨]: يا مجـيبَ ذاتِه بذاتِه. وأمّا ظهـورُه لنا فليسَ كظهورِ السـيّدِ

(٨٥) رسالة البيان، ص ١٥٥أ.

(٨٦) كتاب الأصيفر ص ٥ ب ٦أ.

(٨٧) المناظرة، ص ٩٧ب.

مــحـمّـد، بل يَظهـرُ لنا بذاته.. إذ لا يَـرَى الذّاتَ إلاّ مـا هو مِنَ الذّات... وهو الواسطةَ بينَه وبَيْنهم»(٨٩).

إنّ منزلةَ محمّد من عليّ لم يَرقَ إليها مخلوق. والعلاقة بينهما كعلاقةِ الكلمة بمدلولها، أو بحسبِ التعبير النصيري، كعلاقةِ الاسمِ بالمعنى:

«إنّ منزلةَ الإسم من المعنى لا يبلغُها أحـد... فقولُ الإسم: أنا من عَلِيّ وعليّ منّي (يعني): أنا من عَليّ إسـمُه وروحُه ونفـسُه وكلمـتُه، وعَلِيّ منّي مَـعْنَاي ومُـظْهِـري للخَلقِ. واعـلمْ أنَّ المعنى أحـد، والإسمَ واحـــد، والبـابَ وَحدانيّة. وإنْ تغيّرتِ الصفاتُ والأسماءُ: معنىً وأسمٌ وبابٌ واحد»(٩٠).

***

وكَذلكَ هيَ أيـضًا علاقـةُ سَلمان بعَلِيّ ومـحمّـد. فسلمـانُ هو البابُ والواسطةُ إليهـما والدليلُ عليهـما. فكما انفعل مـحمّدٌ عن عليّ فـسَلمان هو أيضاً منفعلٌ عن محـمّد. فهو « تعالى... ذاتٌ أحدٌ فـردٌ صمد، انفعلَ عنه ذاتٌ واحِدَةٌ، وهي ذاتُ السيّـدِ محمّد؛ والسـيّدُ محمّد ذاتٌ منفـعِلةٌ عن ذاتٍ ليستْ بمنفعلة.

«ثمّ إنّ ذاتَ السيـدِ محـمّد انفعلَ عنـها ذاتُ السيّـدِ سَلمان؛ والسـيّد سَلمـان ذاتٌ منفعِـلةٌ عن ذات منفعلـةِ لذاتٍ غيـرِ منفـعلة. ثمّ إنّ ذاتَ السيّـدِ سَلمان انفعلَ عنهـا ذاتُ السيِّدِ المقداد. فالمقدادُ ذاتٌ مـنفعلةٌ لذاتٍ منفعلةٍ عن ذاتٍ منفعلةٍ لذاتٍ ليـستْ بمنفعلة. وكلُ واحدٍ من هذه الثـلاثة ذواتٌ منفردةٌ، وإنّما وقعتِ الشركةُ بينهما»(٩١).

---

(٨٨) هو نفسه محمّد بن نُصَير، مؤسّس النصيريّة.

(٨٩) المناظرة، ص ٩٥أ-٩٦أ.

(٩٠) رسالة التوحيد، ص ٤٦أ.

(٩١) المناظرة، ص ٩٦ أب. «المقداد» هو أوّل «الايتام الخمسة».

بقي علينا النّظر في أمـر مَنْ ينتسبُ إلى عليّ من نسـاء وأبناء وإخوةٍ وأخواتٍ وآباء وأمّهاتٍ. فـإذا كان عليٌّ الـ«منزَّهُ عن الإخوةِ والأخواتِ والآباء والأمّهات، أحداً أبداً موجوداً»[٩٢]، فكيف نفسّرُ انتسابَ امرأته فاطمة وابنَيه الحسن والحسين... مَن هم هؤلاء؟ وما صِلتهم بعليّ ونسبتهم إليه؟

إنّ جـوابَ النّصيريّين على ذلك واضح. يقـول العـالِم للسائل: «أمّـا سؤالُك عـن فاطرٍ[٩٣]، فـأشهـدُ أنَّ فاطرَ فِطرةُ اللّه الـتي فَطر الناسَ عليهـا، ونَدبَهم إليها. تلك صـفتُه المشجِّعَـة، وعظمتُه المتشخِّصَة، لكلِّ ناظرٍ بحسب عقلِه، ولكل عارفٍ بمقدارِ معرفته، قديمةُ الكيان، محدَثَةُ الطلوع.

«وأمّـا سؤالك عن الحسن والحسين، فـذلك صِـفَتـان انبجستْ من الصفـة الفاطِرةِ، وطلعتْ من القـدرةِ الباهرةِ لتـمام الحكمةِ وكـمالِ الحـجّةِ وإعـلانِ الدعوة بِدءًا منهـا وغـربًا فيـها، إذ هي حـقـيقـةُ جوهرِها، وقـديمُ عنصرِها.

«أقررتُ أنّ هذه الصفات[٩٤]، وإنِ اختلفتْ أسماؤها، وتباينتْ أزمانُها، وافتـرقتْ أشخاصُـها، واحِدًا لم يَنْقَسمْ... وإنّما ظهرتْ من القـدرة الأحَديّة بغيرِ افتراقٍ عندَ إشراقها، ولا حلولٍ (انحلال) عند غروبِها»[٩٥].

---

(٩٢) السورة الرابعة عشرة المسمّاة: ألبيت المعمور.

(٩٣) فاطر هي فاطمـة، وهي ذَكَر لأنّ «امّهات الاوصيـاء ذكور لا إناث... لانّ الملائكة هم في صـورةِ النسـاء» (كتـاب الهـفت ص ٩٤)، وذلك أيضاً من قـول اللّه تعـالى: «وجَعلُوا الملائكة الذين هم عبـادُ الرحمن إناثاً .أشَهدوا خلْقَهم! سـتكتب شهادتهم ويسألون» (٤٣/ ١٩). ويقول ألـشهرستاني عن سـبب تسميّة فاطمـة بفاطم عند الفرقة الـعَلْبَائيَّة: «كرهوا أن يقـولوا فاطمة بالتأنيث؛ بل قـالوا فاطم، بلا هاء. وفي ذلك يقول بعض شعرائهم:

تولّيت بعد الله في الدين خمسة   نبيّاً وسبطيه وشيخاً وفاطما».

هذا عند العلبائية ؛ أما عند النصيرية فتصبح فاطر» (ألملل والنحل، ١/ ١٧٥-١٧٦)

(٩٤) ألصفات هي: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء.

(٩٥) رسالة البيان، ص ٥٥ أ وب.

هؤلاء الخمسة كان مَن اعتبرَهم جملةً آلهة. وهم المسمَّون في النصيريّة وبعض الفِرق المغالية «**أصحابُ الكساء**»، أي هم الذين كانوا في بيت عليّ عندما لبس محمّد، لخوفه من زعماء قريش، كساءَ عَلِيّ. وهم، عند الشهرستاني: «محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين». ويقول أيضاً عن الفرقة العلبائيّة: «ومنهم مَن قال بإلهيّةٍ لجملةِ أشخاصِ الكَساء... خمستُهم شيءٌ واحد. والرّوحُ حالّة فيهم بالسويّة. لا فضلَ لأحد منهم على الآخر»(٩٦).

***

وفي الختام، قال النصيريّون بوضوح تامّ: «عليّ هو اللّه واللّه هو عليّ»(٩٧)، إلاّ أنّ «إسمَ عليّ وقع على النّاسوت واسمَ اللّه وقع على اللاّهوت»(٩٨).

وقال أبو شُعيب محمد بن نُصير مؤسّس المذهب: «إنّ الذي تقولُ الناسُ هو هو: (هو) عليّ، وهو اللّه، الذي يَظهر كيفَ يشاء، ولم يغبْ عن أسمائه. فمن زعم أنّ ما رأى بعضاً فقد بعّضَ اللّه. ومَن قال هو هو بحقيقته وذاته، على أنّه بدنٌ فقدْ كيَّفه وَحَدَّهُ وَوَصَفَه. ومَن قال هو اللّه ظهر كيفَ شاء مِن خَلْقِه لا موصوف ولا محدود ولا زائل ولا يقضي عليه بحراك، ولا حدّ ولا مثال، استدللتَ بهِ على معرفته وصدقه. مَن استدلَّ بمعرفته وصورته عليه فقد صارت بمعرفة اللّه على سبيل النجاة»(٩٩).

---

(٩٦) الشهرستاني، الملل والنحل ١/١٧٦.

(٩٧) كتاب الأصيفر، ص ٦أ.

(٩٨) المرجع السابق نفسه.

(٩٩) كتاب الأصيفر، ص ٣ب من «كتاب المثال والصورة» لابن نصير.

الفصل الثالث

عقيدة النصيريين في الخلق والمعاد



أولاً – قصّة الخلق

جاء في كتاب **الباكورة السّليمانيّة**[١]: يعتقدُ النّصيريّون بأنّهم «كانوا في البدءِ قبلَ كونِ العالم أنواراً مضيئةً وكواكبَ نورانيّةً. وكانوا يَفصلون بين الطاعةِ والمعصية. لا يأكلون ولا يشربون ولا يغيطون. وكانوا يشاهدون عَلِيَّ بن أبي طالب بالنّظرةِ الصّفراءِ، فداوموا على هذا الحال سبعةَ آلاف وسبعة وسبعين سنة وسبع ساعات، ففكّروا بذواتهم أنّه لم يُخلقْ خَلقاً أكرم منّا. فهذه خطيّةٌ ارتكَبَها النصيريّة، فخلق لهم حجاباً يُمسكهم سبعة آلاف سنة.

«ثم إنّ عليّ بن أبي طالب ظهرَ لهم وقال: "ألستُ بربّكم"؟ قالوا: بلى، بعدما أظهر لهم القدرة، فظنّوا أنّهم يرونَه بكليّته، لظنّهم أنّه مثلهم، فأخطأوا بذلك خطيّةً ثانيّة. فأراهم الحجابَ، فطافوا به سبعةَ آلاف وسبع وسبعين سنة وسبع ساعات.

«ثمّ إنّه ظهر لهم بصورةِ شيخٍ كبيرٍ، أبيضَ الرأس واللّحية، تلك الصورة التي امتحنَ بها أهلُ النورِ العالَم العُلْوي النّوراني، فظنّوا أنّه على تلك الهيئة التي ظهر لهم بها. وقال لهم: مَن أنا؟ فأجابوا: لا ندري.

«ثمّ ظهر لهم بصورة الشّاب المفتولِ السبال، راكبا على أسَدٍ بصورة الغضب.

---

(١) **كتاب الباكورة السليمانيّة في كشف أسرار الديانة النصيريّة**؛ تأليف سليمان الأذَني؛ شيخ نصرانيّ تنصّر فقُتل. نشره وعلّق عليه أبو موسى الحريري؛ سلسلة «الأديان السرّيّة»، رقم ٧؛ طبع أوّلاً سنة ١٨٦٣؛ ثمّ ١٩٨٨؛ ١١٢صفحة.

«ثم ظهر لهم بصـورةِ الطّفل الصغير، ودعاهـم أيضاً، وقال: "ألستُ بربّكم"؟ وقـد كرّر القولَ عليـهم في كلِ ظهور، ومـعه إسمُـه، وبابُه، وأهلُ مراتب قـدسِه الذين هم المراتِب السـبع الأوَل للعالَم الكبـيرِ النّوراني[٢]. ولمّا دعاهم ظنّوا بأنّه مثلهم، واحتاروا، ولم يدروا ماذا يُجيبون.

«فخلق لهم من تأخّرهم الشكَّ والحيـرة. ودعاهم قائلاً: قد خَلقتُ لكم داراً سفلانيّةً، وأريدُ أن أُهبطَكم إليهـا. وأخلقُ لكم هياكلَ بشريّة، وأظهرُ لكم في حجابٍ كـجنسكم. فمن عَرَفَني منكم، وعَرفَ بَابي وحِـجابي، فإنّي أردُّه إلى هنا، ومَن عصـاني أخلقُ من معصـيتِه ضدًا يقـاوِمُه، ومَن أنكرني أغلقُ عليه في قمصانِ المسوخيّة. فأجابوا قائلين:

«يا ربُّ! دعنا هنا نـسبِّـح بحـمـدِك ونعـبـدُك، ولا تُهـبطنا إلى الدار السفلانيّـة. فقال: عصَـيتموني. فلو كنتم قلتم: ربَّنا لا علمَ لنا إلاّ مـا علمّتنا. إنّك أنتَ العلاّم الغيوب[٣]، فكنتُ أعفو عنكم.

«ثم خلقَ من معـصيتـهم الأبالسةَ والشّيـاطين، ومِن ذنوبِ الأبالسةِ خَلَقَ النِسَاء. (لذلك هم لا يـعلّمونَ نساءَهم صلاتَـهم، ولا يُدخلونهم في سرّ الديانة)»[٤].

وهكذا، قبل أن يخلقَ اللّهُ آدم، كانتْ أمم كـثيرة، «الأممُ الذين كانوا في الدارِ قبل البشـر، وهم: الحِنّ والبِنّ والطِمّ والرِمّ والجَانّ والجِنّ»، وكان اسمُ اللّهِ فيها «البَرُّ الرحيم»[٥].

هذه الأمم يسمّيها سليمانُ الأذَني «القببَ السَبع»[٦]، وهي نفسُها في

(٢) سيأتي الكلام على هذه المراتب في فصل لاحق.

(٣) سورة المائدة ٥/١٠٩.

(٤) الباكورة، ص٥٩-٦٣.

(٥) تعليم الديانة سؤال ٤٣ و ٥٢

تعليم الديانة النصيريّة[٧]، يضاف إليها «قبّة اليونان».

يقول الإمام جعفر الصادق: «كان في الأرضِ سبعةُ آدميّين قبل أن يخلق اللّهُ آدم، وإنّ جبريلَ من القرنِ الأوّل، وميكائيل من القرن الثاني، وإنّ الدورَ خمسون ألف عاما... ثم خلق (اللّه) الآدميّين، وكنّا (أي الأئمّة) أوّلَ مبعوثِين إلى ذلك الخَلق حججاً»[٨]. ويقول أيضاً: «كان قبلنا سبعة أوادم وسبعة أدوار قد مضت ونحن في الدور الثامن من آدم الثامن. ولكل ذريّةِ آدمُ بُعِثَ منهم»[٩].

بيد أنّ سُليمان الاذني يعدّدُ القببَ السبع مع إسم المَعنى، واسم الإسمِ، واسم الباب، واسمِ الضدّ، لكل قبّة من القباب. ثم يخلص إلى القول: «وفي كلِّ هذه القباب المذكورة كان الضدُّ، أي الشّيطان، فيها بثلاثة أقانيم وهم واحد. يعنون بتلك الأقانيم: أبو بكر وعمر وعثمان»[١٠].

ثمّ بعد ذلك خلقَ اللّه «آدم بيدِه، وصوّره على صورةِ جوهره، ثمّ إنّ اللّه مكث بذلك سبعَ آلاف سنة يمجِّدُ نفسه، ويسبّحُها، ويهلّلها، ويكبّرها، لا لحاجةٍ له، ولكن ليُعَلِّمَ الملائكةَ وأرواحَ الآدميّين، حتى تعلّمتْ كيف تقول، وكيف تسبّح، ولولا ذلك ما عرفه ان تسبّح اللّهَ، ولا تهلّله، ولا تمجّده، ولا تكبّره، لأنّ اللّه عالم لا يتعلّم وهم يتعلّمون»[١١].

عرفنا أنّ اللّه ظهر في عصر آدم سبع مرّات، في «سبع قباب ذاتيّة»، أي إنّ اللّه أظهر ذاته في هذه القباب، فكان«عليٌّ هابيلَ، وعليٌّ شيتَ، وعليٌّ

---

(٦) المرجع نفسه.

(٧) السؤالان ٤٣ و٥٢.

(٨) كتاب الهفت والأظلّة، ص ١٣٨.

(٩) المرجع نفسه، ص١٣١.

(١٠) الباكورة، ص ٦٢.

(١١) كتاب الأسوس، ص ٢٧ ب-٢٨ أ.

يوسفَ، وعليٌّ يوشعَ، وعليٌّ آصافَ، وعليٌّ شمعونَ الصـفا»[١٢]. وكان في كلِّ مرّة، كما في قباب ما قبل البشر، معنى، وإسم، وباب، وضدّ. وكان البابُ يتكفّل بالخلق الخارجي بواسطة أيْتَام خمسة هي مبدأ كلِّ وجود. والأيتَامُ هي هي، تظهر هي الأخرى، كما يظهر المعنى، والإسم، والباب، والضدّ.

وكان ظهورُها، أيّامَ «الباب» سلمان الفارسي، في الأشخاص التالية، كما وردت قصّتهم في السورة الخامسة المسمّاة سورة الفتح:

«أشهدُ أنَّ السيّدَ سلمان خلقَ الخمسةَ الأيتام الكرام[١٣]. فأوّلهم اليتيم الأكبر والكوكبُ الأزهر والمِسْكُ الأدفر والياقوتُ الأحمر والزمرّد الأخضر: المِقدَادُ بن أسود الكندي، (ثمّ) وأبو الذَرِّ الغَفَاري، وعبدُ اللّه بن رَواحَة الأنصاري، وعثمانُ بن مَظعون النجاشي، وقُنبر بن كادان الدُّوسي[١٤]. هم عبيد مولانا أمير المؤمنين، لذكره الجلال والتعظيم. وهم خَلقوا هذا العالم من مشارقِ الشمس إلى مغاربها، وقِبلتِها وشَمالها، وبَرِّها وبَحرِها، وسهلها وجبالها»[١٥].

---

(١٢) قداس الاشارة، الباكورة ص ٤٧. ينقص "عليٌّ محمّداً".

(١٣) الأيتام هم بحسب معنى اسمهم: الذين لا مثيلَ لهم، أي هم مبادئ الكون والوجود المنظور واللاّمنظور. هم، بين اللّه والخلق. هم المسمّون، عند الدروز، «حدود».

(١٤) هؤلاء هم من الصحابة المختارين الذين جاهدوا من أجل حق عليّ.

(١٥) سورة الفتح الخامسة من كتاب المجموع، انظر الباكورة، ص ١٩.

ثانياً – التناسخ

«حكى بعضُهم أنَّ رجلاً نُصيريًا كانَ له كَرْمٌ، وكان يعمَل في ذلك الكرم زماناً مع أبيه إلى أن ماتَ أبوه، وكان ذلك في أيّام العِنَب. فتسلّطَ على الكرم ذئبٌ، كلّما أتى الرجلُ يجدُه يأكلُ مِن عِنَبِه، فيطردُه. وما زال الأمر كذلك حتى ضجرَ منه، فعزم على قتلِه. ولّما أرادَ أن يرميه في السلاح قال له: "يا فلان! أتقتلُ أباك إذا تناول شيءً مِن الكَرْمِ الذي أفنى عمرَه بالعمل فيه"؟

«فبُهِتَ الرجلُ لّما رأى الذئبَ ناطِقًا.

– قال: "مَن أبي"؟

– قال: "أنا. وقد انتقلتْ نفسي إلى هذهِ الصّورة. وهذا كَرْمي الذي كنتَ تحرثُ معي فيه".

– قال، فذكرَ الرجلُ أنَّ أباه كان قد خَبّأ مَنْجِلاً في الكرْم عند انصرافه في المرّةِ الأخيرة، فأضاعَها بعد موتِ أبيه، ولم يعلمْ أين وضعَها. فقال للذئب: "إنْ كنتَ صادِقاً فَقُلْ لي أينَ المنجل الذي كنّا نقطعُ به أغصانَ الكرم"؟

– فقال (الذئبُ): "إتْبَعْني". ومشى إلى المكانِ الذي وضعَها فيه. وقال: "هذه هي".

فأخذَها الرجلُ وأباحَ الكرمَ للذئبِ يرتعُ فيه كما يَشاء»[١٦].

هذه الرواية، أكانتْ نصيريّةً أم من أعداءِ النصيريّة[١٧]، تشير إلى

(١٦) مخطوط المكتبة الملكية في برلين، رقم ٤٢٩١، ص ٥٦.

(١٧) يقول «رينه دوسّو» بأنها من مصدر درزي يتّهم بها النصيريين في إيمانهم

عقيدةِ التناسخ التي يقول بها النصيريّون.

والتناسخُ يعني انتقالَ النفوسِ من جسمٍ إلى جسم. قد يكونُ الجسمُ الثاني جسمَ إنسانٍ، أو حيوانٍ، أو نباتٍ، أو جماد. ويستمرّ الانسانُ في تنقّله من جسمٍ إلى جسمٍ سبعَ مرّات؛ وكلّ مرّة في مرتبة، وهي «السبع مراتب العالم السفلي البشري»[١٨]؛ المحكي عنها في كتبهم، وكما سنراها.

وردت هذه المرّاتُ السبع في إحدى صلواتهم كما يلي: «يا عليّ، جلّ ثناؤك، بأنْ تُأَمِنِّي مِن شرِّ مسوخيّاتِكَ لنا ولجميعِ إخواننا المؤمنين من شرِّ الفسْخِ، والنَّسْخِ، والمَسْخِ، والوَسْخِ، والرَّسْخِ، والقَشِّ، والقَشّاش. إنّك على ذلك قدير»[١٩].

ألفسخُ هو انتقال الروح إلى نبات،

والنَسخ من إنسان إلى إنسان،

والمسخ إلى حيوان،

والوسخ إلى أدران وأوساخ،

والرّسخ إلى نبات قصير،

والقشّ إلى نبات يابس،

والقشّاش إلى أرض بور[٢٠] والقشّاش أيضاً قد يعني «البقّ والذباب والنمل وما يشبه ذلك»[٢١].

بالتناسخ، فيما الدروز يعتقدون بالتقمّص، أي بانتقال روح الإنسان إلى جسد إنسان آخر. وذلك لكي يعي الإنسان في جميع قمصانه كلَّ العذابات التي استحقّها من حياته السابقة.

(١٨) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس ١٤٥٠، ص ٥٧.

(١٩) الباكورة السليمانيّة، ص ١٠ – ١١.

(٢٠) أنظر ترجمتها إلى الإنكليزيّة في Salisbury, *JAOS*, VIII, 287 .

(٢١) كتاب الهفت والأظلّة، ص ١٧١.

يعتقدُ النصيريّون بأنّ شرفاءَ المسلمين الراسخين في العلم، إذا ماتوا، تحلّ أرواحُهم في هياكل الحَمير، وعلماءَ النصارى في أجسام الخنازير، وعلماءَ اليهود في هياكل القرود. أمّا الأشرارُ من طائفتهم فتحلّ أرواحُهم في المواشي التي تُؤكَل، والخاصّة المُشكِّون منهم يصيرون قروداً، والمتحَيِّرون بين الخير والشرّ يتقمّصون في هياكلَ بشريةٍ عند الطوائف الخارجة عنهم.

إنّ الروحَ الشقيّة تدخل في خنزير أو كَلب أو ذئب. والروحَ الطاهرة التي تُطعمُ الخبزَ وتضيفُ الغرباء تَدخلُ في أجسامٍ بشريّة، ولا تزال على هذه الحال إلى أنْ ترتقي إلى «دَرْب التَبّان». «إنّ المؤمنين، إذا خلصوا من القمصان البشريّة، ينتقلون إلى دربِ التبّان، ويصيرون كواكبَ، ويرون السماءَ صفراء»[٢٢].

يعلّق سليمان الأذني: «لهذا السبب كان لا بدّ لكلِّ نُصيري أن يفتحَ كوّةً فوق بابِ بيتِه لكي، إذا ما توقّع ولادةَ إنسانٍ وموتَ آخَر في وقتٍ واحد، لا تتزاحم الأرواحُ في الدخولِ والخروج»[٢٣].

عرف الدروزُ عن النصيريّين هذه الأشكال من التناسخ، ووجّهوا إليهم نقداً لاذعاً. فقال حمزة بن عليّ نبيُّ الدروز، في إحدى رسائله، عارضاً مفهوم التناسخ: «إنّ أرواح النواصب والأضداد[٢٤] ترجع في الكلاب والقردة والخنازير إلى أن ترجع في الحديد وتُحمى وتُضرب بالمطرقة، وبعضُهم في الطير والبوم، وبعضهم ترجع إلى الامرأة التي تثكل ولدَها».

---

(٢٢) تفسير سليمان الاذني على السورة الاولى، الباكورة، ص ٩. «السماء الصفراء «هو لون نهر العسل الموجود في الجنّة (الباكورة ص ٨٥).

(٢٣) الباكورة السليمانيّة، ص ٨٦.

(٢٤) النواصب هو المسلمون السنّيون، والأضداد كل من عاند الدعوة.

ثمّ يكمّل حمزة، مبيِّناً سخفَ هذه النظريّة، فيقول: «لقد كذبَ (النصيريّ)، وأتى بالبهتان العظيم، لا يَدخل في المعقول، ولا يَجبُ في عدلِ مولانا، بأن يَعصيه رجلٌ عاقلٌ لبيبٌ فيعاقبُه في صورةِ كلبٍ أو خنزير، وهم لا يعقلون ما كانوا عليه في الصّورة البشريّة، ولا يعرفون ما جَنَوه... فأين تكون الحكمةُ في ذلك والعدلُ فيهم! وإنّما تكون الحكمةُ في عذابِ رجلٍ يَفهَم ويَعرفُ العذابَ فيكونُ مأدبةً له وسببًا لتوبتِه»[٢٥].

إنّ التناسخَ مراحلُ متكامِلة بنوعٍ أنَّ ما يحدثُ للإنسانِ في المسوخيّة يكونُ حدَثَ له مثلُ ذلك في البشريّة. بهذا يمكن للإنسان أن يعرفَ ذاتَه في حالتيه. جاء في كتاب الصراط: «مَن أقام في البشريّة حرّاً، فهو في المسوخيّة حرّ... فمِن ذلك أنَّك لَتجد في الجبالِ بَقَرًا وكباشًا ومعزًى محرَّرة لا يملكُها أحد، وتُعْقِبُ وتُنسِل، وهي حالُها كما كانتْ في البشريّة»[٢٦].

وما يحدُث للإنسان في بشريّته من متاعب يحدثُ له مثلُ ذلك في المسوخيّة، وفي التاريخ نفسه: «إنْ حدثَ به شيءٌ من العلل والعاهات في البشريّة حدثَ به ذلك بعينه في المسوخيّة، لا زيادة به ولا نقصان منه، حتى إذا حدثتْ به حادثةٌ حدثتْ به في مثل ذلك الوقتِ وذلك اليومِ وتلك الساعة، وإن كان زالتْ منه في البشريّةِ زالتْ عنه في المسوخيّة في مثل ذلك الوقت وذلك اليوم وتلك الساعة»[٢٧].

و«كلُّ مقتولٍ قتله الوحشُ وهو بشري يسلَّطُ المقتولُ على قاتله فيقتُله. أمَا ترى في كلِّ حينٍ يقتلُ البشرُ سباعًا، وكثيرٌ من البشر يقتُلهم السباع... فلذلك يقول العالِم: لا يقتلُ السبعَ إلاّ سبعٌ مثله... (هكذا) يستوفي

---

(٢٥) «الرسالة الدامغة. الردّ على النصيري الفاسق لعنه المولى في كل كور ودور»؛ رقم ١٥، من «رسائل الحكمة» ص ١٧٠–١٧١.

(٢٦) كتاب الصراط، ص ١٤٤ ب.

(٢٧) المرجع نفسه، ص ١١٨ب.

الفاعلِ من المفعول به، ثم يعودُ المفعولُ به يستوفي من الفاعل»[٢٨].

ومن مظاهر المسوخيّة أيضاً ما نراه في الناسِ من مَيلٍ نحو بعضِ أنواعٍ من الحيوانات، وذلك لارتياحِ كلِّ إنسانٍ إلى النّوعِ الذي يميلُ إليه؛ ممّا يدلّ على أنّ ذاك الإنسانُ كان، في ما مضى، ممسوخاً في ذلك الحيوان. قال العالِم: «إعلمْ يا مفضَّل! إنّ في العالَمِ أمورًا وأحوالاً وبواطِنَ... ظاهرُه بَشَري وباطنُه مسخ... وَشَرْحُ ذلك أنّك تجدُ في العالَمِ مَن يلعبُ بهديرِ الحَمَام، وينهقُ نهيقَ الحمير، ويصهَل بصهيلِ الخيل، ويشجُّ شجيحَ البغال، وينبحُ نبيحَ الكلاب، ويعجّ عجيجَ البقَر، ويضجّ ضجيجَ الثعالب، ويصيحُ صَيَاحَ القطاط، ويشقشق شقشقةَ الفار، وصياحَ القرد...

«وترى في العالَمِ مَن يُعنَى بتربيةِ الكلاب وتربيةِ الحَمام وتربيةِ القطاط وتربية جنس من أجناس المسوخ. وكلّ ذلك لإلفِهِ بذلك الجنسِ، ترتاحُ روحُه إلى الأجناس التي قد حلّ قبلَ ذلك الوقتِ فيها»[٢٩].

في المسوخيّة أيضاً يمتزج الناسُ بعضُهم ببعض امتزاجَ تشابهٍ على اختلافِ أجناسهم. «والناس لا يعلمون ذلك العلم. وربما أكلَ معك كلبٌ وأنتَ تظنُّ أنّه إنسان»[٣٠].

قد «يمر الرجلُ ويمرّ الكلبُ فيتبعه، ثم إنّه يَعَضُّ رِجْلَه، أو يثبُ على ظهره فيعضّه. وإنّ الرّجُلَ حينما يمرّ بالكلبِ لا يعرفه ولا يكون قد رآه قبلَ ذلك، أو ربّما يكونُ الرجلُ متزوِّجاً امرأةَ هذا الكلب... فيعرفه الكلبُ في مسوخيّته»[٣١].

---

(٢٨) المرجع نفسه، ص ١٧٧ب.

(٢٩) كتاب الصراط، ص ١٧٣ب.

(٣٠) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٥٨.

(٣١) المرجع نفسه، ص ١١٢.

وعن محمّد بن سنان قال: «التفتَ أبو الحسن إلى نجّارٍ ينجّر بداره، فقال: هذا النجّارُ كان في الدّور الأوّل دِيْكًا وهو اليوم نجّار»[٣٢]. وبالمعنى ذاته رأينا قصّة الذئب وابن الكرّام.

وتعليلُ هذا كلّه أنّه يجري على الناس في البشريّة وفي المسوخيّة أشياء واحدة مستمرّة: «يُجرى عليهم في المسوخيّات سوا سوا، وحال بحال، لا زيادة فيه ولا نقصان منه، حتى يوفي في المسوخيّة جميعَ ما استوفاه من البشرية شخصًا بشخص، وحالاً بحال، وأجَلاً بأجَل، ومدّةً بمدّة...

«وما من بشرٍ نُقِل إلى المسوخيّةِ ومات موتةً وهو بشريّ إلاّ ومات في المسوخيّة مثلها، ولا عارضه عارض في البشريّة إلاّ وعارضه بالمسوخيّة مثلها، ولا مرّ به حالٌ إلاّ ومرّ به في المسوخيّة مثله، ولا كان بحالٍ من الأحوال إلاّ وكان به مِن العزّ والرفعة والكرامة أو من السدّة والرخاء والرفاهة والتعب والنصب حتى يُوفي في المسوخيّةِ جميعَ ما جرى له في البشريّة... وذلك أنّه يعادل عليهم في المسوخيّة جميعَ ذلك ليعرفوه كما كانوا يوفوه في البشريّة.

«وهذا هو الصِراط المستقيم الذي لا فيه عِوج، ولا فيه خُلْفٌ، ولا عنه عدول»[٣٣].

واختصار ذلك، لكي نستوفي كلَّ ما قيل في التناسخ، «يجري على الشخص الواحد هذه الأوصاف في البشريّة وهو بشريّ، ويجري عليه في المسوخيّة مثل تلك الصفات»[٣٤]. «وما تراه من صفوف التراكيب في

---

(٣٢) المرجع نفسه، ص ١٤٩.

(٣٣) كتاب الصراط، ص ١١٢ب-١١٣أ.

(٣٤) كتاب الصراط، ص ١١٣ب.

المسوخيّات فهو موجود في البشريّة من صغيرها وكبيرها»[٣٥].

***

أمّا الأدلّة على حتميّة التناسخ ووجوبه فيتناولها النصيريّون من القرآن نفسه؛ ولكنّهم يذهبون في تفسير آياته إلى أبعد حدود الباطنيّة والرمزيّة. من الآيات الدالّة على التناسخ قوله: «يَا لَيتَنَا نُرَدُّ» (٦/٢٧)، وزادها النصيريّون تفسيراً فقالوا: «فنعمل غيرَ الذي كنّا نعمل به»[٣٦].

وقال أيضاً مخبراً عن المائتين: «رَبَّنا أَمَتَّنَا اثنتَين وأحْيَيتَنَا اثنَتَين فاعْتَرَفْنا بذنوبِنا، فهلْ إلى خروجٍ مِن سبيل؟» (٤٠/١١)، فسّرها النّصيريّون: «فقد أوجدَ أنّه أماتهم وأحياهم، وهو يُميتهم ويُحييهم، لأنّهم بدوامه ذلك عليهم يقولون: فهل إلى خروجٍ من سبيل من دوام هذا الموت»[٣٧]؟

وقال أيضاً: «إنّكَ مَيّتٌ وأنتم ميِّتون، ثمّ إنّكم يومَ القيامة تُرجَعُون وتُبعَثُون» (٣٩/ ٣٠-٣١)؛ وقالوا: «فإنّما أراد بهم اختبارَهم»[٣٨].

وقال أيضاً: «كلّمَا نَضجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُم غيرَها لِيَذُوقُوا العَذابَ بما كانُوا يَكفُرُون» (٤/٥٦)، وقال: «كونوا حِجَارةً أم حَديداً أو خَلقاً ممّا يَكبُرُ في صدُورِكُم» (١٧/ ٥٠-٥١)؛ قالوا: «يريد بذلك الذّهَبَ والفضّة وأنواعَ الرسوخ»[٣٩]. معنى ذلك: إنّ كلَّ مَنْ أُخْرِجَ من المسوخيّة ولم يَتَطهّرْ كفايةً يُرَدُّ إلى الرسوخيّة.

---

(٣٥) كتاب الصراط، ص ١١٧ أ.

(٣٦) كتاب الصراط، ص ١٢٦ أ

(٣٧) كتاب الصراط، ص ١٢٦ب.

(٣٨) كتاب الصراط، ص ١٢٧ أ.

(٣٩) كتاب الصراط، ص ١٤٦ب.

وكتابُ الهَـفْتِ والأظِلَّة، من جهته، يستند إلى آيات قـرآنيّة أخرى يدلّ بها على ضـرورة التناسخ. منها قوله: «يُخـرِجُ الحيَّ من الميتِ ويُخرِجُ الميتَ من الحيّ» (١٠/ ٣١)، يعنـي: كلّ مَن يَخـرجُ من الأصـــلابِ من أصلِه الذي خُلِق منه ثم يُكَرّر سبعَ كَرات في سبعِ أبدان.

وقوله: «منكـم مَن يُتوفَّى ومنكم مَن يُرَدّ إلى أرذلِ العـمر» (٢٢/ ٥)، أي: إنّ المؤمنَ يُنسَخُ نسخاً، والكافرَ يُمسَخ مَسخاً في أصنافِ المسوخيّة.

ومنها قـوله: «لقد خَلَقْنا الإنسَانَ في أحْسَنِ تَقـويمٍ. ثمّ رَددنَاه أسْفَل سَـافِلين» (٩٥/ ٥)، يعـني: في دورةٍ لا عـقبَ لهـا إلاّ الّذين آمـنوا وعـملوا الصـالحات، فإنّهم لا يُمسخون»[٤٠].

***

وأخيراً، وبعـد إتمام مراحل التناسخ التي يمرّ بها الإنسان جمـيعِها، إلى أين تذهب روحـه؟ يجـيب كـتـابُ تعليم الديانة النصـيـريّة مميّـزاً بين النصيريّين والكافرين بقوله، في سؤال وجواب:

سؤال: إلى أين تذهبُ أرواحُ أخوتِنا المؤمنين عند خروجها من قبورها التي هي قمصانُها اللّحميّة الدمويّة؟

جواب: تذهب إلى العـالَم الكبيـر النوراني، وتحظى بالنعيم والحـياة الدائمـــة إلى أبد الآبدين، ودهرِ الداهريـن. وتلبسُ قـمـصـــانَ الأنوار وهم النجوم.

سؤال: ماذا يحلّ بالمشركين والكافرين والجاحدين لاهوتَ مولانا؟

جواب: يحلّ بهم العذابُ في جميع الأدوار والأكوار[٤١].

---

(٤٠) أنظر كتاب الهفت والأظلّة، ص ٥٧.

ثالثًا – أحوال المعاد

يتضمّنُ الكلامُ على أحوال المَعَادِ عدّةَ قضايا، منها وصفُ اليوم الأخير، ومجريات الحساب أمام القضاء الإلهي، ومسألةُ الثواب والعقاب، ومفهومُ النعيم والجحيم. هذه القضايا، على اهتمام النصيريِّ بها والخوف منها، لم يبحثْها بحثاً عميقاً شاملاً، ولم تدوّنِ الكتبُ النصيريّة كلَّ ما يعتقدُ المؤمنُ به؛ ربّما كان السبب ورودها الواضح في القرآن. فإنّ المؤمنَ يأخذُ تعاليمَه فيها من القرآن نفسه. إلاّ أنّ بعضَ الإشارات يدلّ على بعض الشيء.

١. يصف النصيريّون **اليومَ الآخير** من الخليقة، بأن عليّاً سيَظهر مجدّداً ويعلنُ امتلاكَه العالَم من أقصاه إلى أقصاه، فيكونُ هو سيِّدَ الكلِّ وربَّ العالمين. ولن يكونَ بعد هذا الظهور أيُّ ظهورٍ آخر، لأنّه لن تكونَ بعدَه غيبة. فـ «مولانا أمير المؤمنين يَظهر من دون احتجابٍ في آخر الزمان بمجدٍ وبهاءٍ عظيم، ويخلّصُ أرواحَ المؤمنين من قبورِها التي هي قمصانُها اللّحميّة الدمويّة، ويجعلُها تسكنُ بالأنوار الأبديّة»[٥٠].

ويكونُ الظهور الأخير لعليّ ظهوراً لجميعِ الناس وكَشْفًا مطلقاً: «وأمّا الظهور الطَلْق (المطلق) للخاصِ والعامِ (للنصيريّين وسواهم) فهو يومُ الكشف»[٥١]. في هذا اليوم يجتمعُ ملوكُ الأرض وسلاطينُها بين يدَي عليّ، أميرِ النحل؛ وقد أصبحَ اسمُهُ ولقَبُهُ في اليوم الأخير «الدبّور»، الذي يقمع الخوارج ويستولي على الأقاليم، ويُخضِعُ المخالفين بالسيف، ويُهلكُ الظالمين. يكون هذا بعد اضطرابٍ في الكونِ عظيم، وارتباكٍ بين الأديان والمذاهب

---

(٤١) كتاب تعليم الديانة النصيرية، السؤالان: ٨١ و٨٢، ص ١٦.

(٥٠) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٧ ص ٤.

والشرائع التي كرِهَها العالم. وعَلِّيّ سيخلّص الكلَّ ليُصبحَ هو الكلّ في الكلّ.

جاء في كتاب المناظرة:

«تَحْدُثُ في العالَم أمورٌ من اختلافِ المذاهب والأديان والشرائع المختلفة والمِلل الظاهرة التي يكرهُهَا العالَم؛ ثم ظهور البدع ترتعدُ منها الناس، ويتجدّدُ في العالَم أمورٌ صعبة تُرهبُهم وتُرهقُهم، ويَظهرُ أمورٌ سماويّةٌ مقضيّة لا يمكن لمخلوقٍ دفعها ولا انتفائها، واضطراب أمورهم بعضهم ببعض.

«وهذا لقرب القِرانِ العظيم الذي يكونُ فيه ظهورُ القائمِ المَهدِي، ويكون ذلك في ربع القِران، وإن تأخّرَ ففي القِران، وهو مدّة عشرين سنة... ويكون في ذلك العالَم اختلافٌ وتخاليطٌ في المذاهب والقوانين، يخافون منها على أنفسهم وأموالهم. ولم يزل ذلك إلى ظهورِ القائم المهدي لإشهارِ سيفِه العظيم، ولا يغمده في الأرضِ كلها (لوجود بعض المؤمنين عليها)، وينادي له مُنادي بالنصرِ والقدرة والبأسِ العظيم.

«ويكون ظهوره بين الشمال والصبا ومغاربِ الجنوب. والدّبور يملك جميعَ الأرض، ويقمعُ الملوكَ والخوارجَ والسلاطين، ويستولي على الأقاليم السبعة، ويملك الدنيا بأسرها من أوّلها إلى آخرها، بالسيف والعدل وإقامة الحقّ وتمحيص الجور، وينفي المفسدين، ويهلك الظالمين، ويحسن السيرة في الناس والرعيّة، ويغيّر القوانين والنصب في العالم»[٥٢].

٢. بعد هذا اليوم العظيم يكون **الحسابُ** العادل. فمَن رجَحتْ من المؤمنين أعمالُه الحسنة يكون في النعيم، ومن كثُرتْ شرورُه ولم تكن له فرصةُ التنقل في القمصان التناسخيّة يكون حظُّه ناراً مؤبّدة. يكون مصيرُ

---

(٥١) رسالة التوحيد، ص ١٤٦.

هؤلاء تماماً كمصير الكافرين والملحدين والمشركين والجاحدين من سائر المذاهب والأديان.

٣. ثمّ بعد الحساب، يكون الثواب والعقاب في **جهنم وجنّة النعيم**. والعذاب في النار، كما السعادة في الجنّة، لن يكون ماديًا، كما في الإسلام. بل كِلا السعادة والهلاك روحانيّ. فـ «المعرفة بعليّ والإقرار به هي الجنّة. مَن عرفَ اللّه دخلَ الجنّة. وهي استجنَّ مَن عرَفها من علمِ التوحيد، وهي التي منَ حملها وأقرّ بها كان جَنّيًا حيًا مدى المدى. والجَنّة: محمّد وسَلمان. ومَن عرفهم فهو في الجنّة»[٥٣].

وأوّل درجات الجنّة حيث يسكن المؤمنُ النصيريّ تسمّى «ريح الضوّ»، وثانيها تسمّى «الضوّ»، ثمّ «ريح الروح»، ثم «الرّوح». ولا يزال يرتفع منزلة منزلة حتى يصفا، وأدّى شروط اللّه، ويعرف اسمه، ويذكر كلَّ ثوبٍ لبسه (بالتناسخيّة)، وكلَ ما مرّ عليه. فإذا سكنت الروح، فعند ذلك يصير في النعيم الذي يعرف به الأمور»[٥٤].

فالجنّة إذاً هي غير النعيم، هي درجات توصل إلى النعيم. فيها يُفحَصُ المؤمنُ عمّا إذا كان قد أتمّ شروطَ الديانة، وعمّا إذا عرف في حياته الدنيا «عمس»، وعمّا مرّ فيه في القمصان التناسخيّة... بعد الجنّة يصل المؤمن إلى النعيم حيث السعادة الروحانيّة، وحيث معرفة «عمس» بحقيقته، من دون حجاب. في النعيم يَعرف المؤمن كلَّ شيء. هذا النعيم هو روحاني، لا ماديّة، كما هو الحال في الإسلام.

يقول كتاب الأسوس: «وليس للمؤمنين في الآخرة أبدان، وإنّما هم روحانيّون»[٥٥].

---

(٥٣) كتاب المناظرة، ص ١٣٢ب.

(٥٤) كتاب المناظرة، ص ١٣٣أ.

ويتدرّجُ المؤمنون في الجنّة بحسب رتبهم ومنازلهم. جاء في كتاب الهَفْت والأظِلَّة سؤالُ الجاهل للعالِم: «أخبِرْني هل السموات السبعة كلُّها واحدة أم قد يتفاضل بعضُها على بعض؟ فقال: أمّا السماء الأولى فهي مساكن الأئمّة، وأمّا الثانية فللنطقاء، وأمّا الثالثة فللنجباء، وأمّا الرابعة فللمخلصين، وأمّا الخامسة فللأيتام، وأمّا السادسة فللحجب، وأمّا السابعة فللأبواب»[٥٦].

---

(٥٥) كتاب الأسوس، ص ٣٣ب.

(٥٦) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٨٦.

الفَصل الرّابع

رتبة تسليم الدّين

أولاً : رتبة التعليق

ثانياً : رتبة السماع

ثالثاً : رتبة التسليم بحسب الأذني،

رابعاً : دور الإمام عند النصيريّين



أوّلاً – رتبة التعليق

يحتـفل النصيـريّون برتبة «التعلـيق»، أو تسليم الدِّين، لمن بلغ منهم الثمانية عـشرة، وكان مؤهَّلاً لذلك، ومعَدًا له إعـداداً لائقاً. وجرتِ العادة أن يتسلّم الدِّينَ شـيخٌ عن شيخٍ، فـتبقى تعـاليمُ الديانة محصـورةً في عائلاتٍ دون غيرها. على هذا، ينقسم النصيريّون إلى فئـتين: خاصّة وعامّة، أو عقّال وجـهّال. وتسـمّى رتبـة تسليم الدين «مـعرفـة التعلـيق»، أي تعليق الطالب بالفئة الخاصّة، أو أيضاً: تعليق الإمامِ الدينَ للطالبِ.

هذا التعليق يكون على درجات ويقوم على ما يلي[1]:

يقف النقـيبُ، بعـد إيراد الخطبـة، والولدُ عن يمينه مكشـوفَ الرأس، ويأمره أن يرفعَ علـى رأسه مدَاسَ سـيِّدِه، ويختصّ من مـداسات الجمـاعة بالوجه الذي تسـألون اللّهَ به، لأنّه وجهُ الكمال أن تسـألوا شيخي وسـيّدي (فـلان) الـدِّينَ أن يقـبلَنـي ولداً ومملوكـاً، ويـطهّـرَني من نجس الـشـرك والمشبّـهيّـة، وينقذَني من ظلمةِ الـضلال، ويهديَني إلى الصـراط المستـقيم، وفقّكم اللّه وجعلكم أهلاً لكلِّ خير.

ثمّ إنّ الجمـاعة ينهـضوا قـياماً بأسـرهم، ويقولوا له: يـا فلان، هذا التلميـذ سَألَنا بوجه الكمـال على أن نسألَكَ حـتّى ترضاه وتقبلَه. فـإذا قَبِلَ منهم، يَرفعُ النقيبُ[2] ما علـى رأسه ويُجلسُـه بين يدَي الإمام، ويجـتمـعوا حوله ما شاء مِن الحاضرين حولَه ليشهدوا له عليه.

---

(١) ننقل بتصـحيح بعض العبارات عن مخطوط المكتـبة الوطنيـة بباريس، رقم ١٤٥٠، ص ١٥٨ب – ١٦٧ب: «باب في معرفة التعليق».

(٢) الإمام والنقيب والنجيب هم رؤساء الدين عند النصيريين.

فيقول له الإمام: إعلمْ وفّقكَ اللّه، ومَا يَنطِقُ عنِ الهوى إنْ هو إلاّ وحيٌ يوحَى، علّمَه شـديدُ القوى[٣]. قال النبيّ: تَناكـحوا تَناسلوا أُباهي بكم الأمم إلى يوم القيامة والدِّين[٤]. الملائكة أولو العلم قائماً بالقسط[٥]. ولم يُرِدْ نِكاحَ الجِمَاع وانّما هو نِكاح السَمَاع[٦].

واعلمْ أنّ هذه الجماعة إنّمـا اجتمعوا إلاّ بسببِ عَـقْدِ نِكاحِك. وقد قال النبيّ: مَن عـرف ما يَطلـب هان عليه مـا يَبْذل، ومَن بـذلَ نفسـاً مَلكَ نفسـاً. وليس الناشئ بأنْفَسَ مِن قـدسِ المعرفة، ولا لك نفسٌ أنفسُ من نفـسِكَ، وما تشتـمل عليه صـورتُك. فإنْ بذلتَ ذلك زوّجـتُك بكريمةِ مـولاي هذا (فلان) الذي أعني السيِّد، فإنْ أبيتَ فهذا إليك.

فإنْ وُجِـد منه مَنْعٌ فيـأمرُ (الإمام) يُقـيمُه ويحـصَلُ له من الجمـاعةِ المتمرِين (أي الذين دفعـوا النفقة) ما أخرجَه من النفقة، فـيعاد إليه. وإن طاع فيلـزم يدَه اليمين (أي يقـبّل يدَ الإمام). ويقـول (الإمامُ): زوّجتُك بأمـر اللّه ومشيئتـه متّبعٌ لسنّة رسولِه كريمةِ مولاي (فلان) إلى مـا استودعه اللّهُ لكَ عنده، وهي أمانةٌ مُبلَّغةٌ إليّ أمرَ اللّه...

وإنّ اللّهَ أثبتَ لكَ أمراً لا شكّ فـيه، وهو نور المعرفة وحقـيقة الإيمان. ولم يزل ذلك النور ينمو ويتربّى في نفسه، وتقـوى حرمتُه وإرادتُه لاتّصال مستحقِّـه وظَمَا نفسِه لطالبه، وحصل الاستعـدادُ لقوله، وهو: وقوع النطفة

---

(٣) سورة النجم ٥٣/ ٥.

(٤) حديث نبوي.

(٥) آل عمران ٣/ ١٨.

(٦) ألنكاح هو الجمـاع الشـرعي بين الرجل والمرأة. هنا هو نكاح الدين أي جمـاع بين الإمـام والطالب، أو بين العـالم والمتـعلّم. وفي مخطـوط ٥١٨٨ من المكتبـة الوطنيـة ببـاريس، ص ١٣٢، هذا التـوضيح: «يكون العـالم ذكـراً والمتعـلّم أنثى. والنكاح هو مطارحة العلم أي أشراك العلم وإعطاؤه».

وتربيةُ الجنين، لقوله تعالى: حملتْه أمُّهُ كرهًا ووضعَتْه كرهاً[٧]، وهو إيضاع نور قدس المعـرفة، وهي تربية نفـسه، وهو بدء نورٍ أقرّه الـلّه تعالى لك في هذا التكمّل في زمان يحصره مدّةٌ أقلّها ستــة أشهر، وأوسطها تسعة أشهر وأكثرها أربع سنين. فيرجى ما بين ذلك.

فقد قيل: إنّ لكلّ قضاء قـدَراً، ولكلّ قدَرٍ أجَل، ولكلّ أجَل كتاب، يمحو اللّه ما يشـاء ويُثبت ما يـريد، وعنده أمُّ الكتاب[٨] على صدق مبـلغه إسمك وجســمك وروحك ونفسك وعقلك ودهنك وفـهمك وعلمك واعتـقادك ودينك ودنياك ومعادك وسرّك وجهرك وجملة ما يشتمل عليه هيكلُه ظاهراً وباطناً

أَقَبِلْتَ هذا النِكاح ورضــيتَ به؟ فإذا قال نعم، فـيقبّل (الإمــامُ) ما بين عينيه، ويقول له: باركَ الـلّه فيك ولك وفيما أنتَ طالبُه، وسَيَّـر لكَ الاستعدادَ لقبوله. ثمّ يتلو عليه: إنّ اللّه اشتــرى من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأنَّ لهم الجنّة[٩].

ثمّ يُقيـمه النقيبُ إلى سيِّـده ويقبّلُ (الطالبُ) يدَه ورجلَه والأرضَ بين يديه. فإذا فعل ذلك فيقول له السيّد: قم وفقّك اللّه. وأمرَه بشرب سرِّ الإمام. فـيعـتزل ويقـف بطرف المجلس، ويشرب ســرَّ الإمــام وسرَّ ســيّده وســرّ الجمــاعة: «سـِرُّكم أحْسَنَ اللّهُ مَعَـادَكم، وسرُّ دينِكم وســرُّ اعتـقادكم، وأنا عبدُكم وتحت طاعتكم».

بعـد أن يشرب، يقـبّل أياديَهم وأقدامَــهم. أوّلاً الإمام، ثمّ الجـماعـة. والجماعة بأسرهم يَشربون سرَّ القَـبول لسيّده، ويقولون: «سرُّك (يا فلان) وسرّك وســرّ قبولك. ويا أيُّها الـتلميذ هُنّئتَ بالوصــول». ثمّ إنّهم يجلسون حيث ما كانوا ويحضر ما تيسّر مِن الطيب والبخّور[١٠].

---

(٧) سورة الأحقاف ١٦/ ٤٥.

(٨) أنظر السور القرآنية التالية: ٣/٧؛ ١٣/٣٩؛ ٤٣/ ٤.

(٩) سورة التوبة ٩/ ١١١.

ثمّ يكتبُ النقيبُ التـاريخ: الوقت الذي هم فيه، واسم الشهـر لئلا يقع خـلاف في المدّة، والشهـور إلى ليلة السماع. وإنْ حـضـر مَن حضـر، ولم يحضرِ التعليقَ، فلا بأس أن يقلّد الحـاضرين ويشهدوا على شهادتكم. وان لم يؤثر ذلك فلا أكراه في الدين.

فهذا معنى التعليق. تمّ وكمل».

نضيف إلى هذه الرتبة بعضَ التوضيح والملاحظات:

إنّ معرفـة الدّين منوطة بالرجال من دون النساء، وبالرجـال المُعدّين لذلك.

وعلى مَن يتسلّم الدّين أن يولد من أبٍ وأمٍّ نصيريَّين.

والرجـالُ النصيـريُّون الذين يتـزوّجـون نساءً غـيـرَ نصيـريّات لا يستطيعون أن يسلِّموا الدِّينَ إلى أولادهم.

ثمّ إنّ الوالدَ لا يسـتـطيع ان يسلّم الدِّينَ إلى ولده، بـل على الوالدِ أي يدبّر لولده والداً روحيًا يقوم بهذه المهمّة.

يخلق تسلّمُ الدِّين قـرابةً روحيّةً بين الطالب و«العمّ السـيّد»، بنوع أن الطالب لا يستطيع أن يتزوّج بناتِ مرشدِه اللّواتي أصبحن أخواتِه بالروح.

وعلى «العمّ السيّد»، اذا ما سـافر وترك الطالب، أن يُعلِمَ الإمامَ بذلك، ليدبّر للطالبِ «سيِّدًا» آخَر يكمّلُ تدبيرَه، أو يُحلُّه من الدِّين.

«ولا يجوز للولد أن يتخلّى عن السيّـد إلاّ بإذنه. فإنّ منزلتَه من سيّده بمنزلة الزوجة من البعل. والطلاق للرجال لا للنساء»[١١].

---

(١٠) ألطيب والبخور من مقوّمات «القداس» عند النصيريين. تراها في مكانها..

(١١) المخطوط ١٤٥٠، ص ١٦٠ أ.

ثانيًا – رتبة السَّمَاع

رتبةُ السَّمَاع معناها السَّماع المتبادَل بين الإمامِ وتلميذه. هذا يسمعُ النصائحَ ويقومُ بوفاء العهدِ والميثاق، وذاك يُسمِعُ تلميذَه الوعظَ والارشادَ ويأخذُ عليه العهدَ والميثاق. وهي تجري كما يلي:

ينهضُ النقيبُ وينبِّهُ كلَّ نائمٍ للقيام، ويُجري الرتبةَ في وقتِ السَحَر، ويَجلسُ الإمام، وتحضَرُ الجماعة، ويُحضِرُ النقيبُ الطالبَ بين يدَي الإمام. ويضعُ الطالبُ يدَه في يدِ الإمام، ويتلو الإمامُ هذه الآيةَ من القرآن: «إنَّ الذين يُبايعونك إنّما يُبايعونَ اللّه. يدُ اللّه فوقَ أيديهم. فمَن نكثَ فإنّما ينكثُ عن نفسه. ومَن أوفى بما عاهَدَ عليه اللّهَ فسيؤتيه أجرًا عظيماً»[١٢]، واعلم، وفّقك اللّه، أنّك قد أهَّلتَ نفسك لطلبِ أمرٍ عظيمٍ وخَطْبٍ جسيمٍ، لا يحملُه إلاّ كلُّ مَلكٍ مُقَرَّبٍ أو نبيٍّ مرسَلٍ، أو مؤمنٍ امتحنَ اللّهُ قلبَه بالعلمِ والإيمان.

فأخبِرْني ما الذي قد ثبتَ عندَك وتصوَّرَ في ذهنِك؟ وما أنتَ طالبه؟

وبعد أن يُفهِمَه النقيبُ ما يجبُ أن يُجيبَ بهِ الإمامَ، وإذا ما حَسُنَ عنده جوابُه، يقول الإمامُ عليه قولَ اللّه: «إنّا سَنُلقي علَيكَ قَولاً ثقيلاً»[١٣] فإذا قال: «سَتَجِدُني إنْشاءَ اللّهُ مِنَ الصابِرين»[١٤] يقوُل الإمام: إعلمْ، وفّقكَ اللّه، إنّك طالبُ أمرٍ عظيمٍ تحتاجُ معه إلى أنْ تُقيمَ الصلاةَ بأوقاتها، وتؤدّي الزكاةَ إلى أربابها، وتواظبَ على المفترَضَات، وتتجنَّبَ الباطلَ والمحذورات، وتعتمدَ على

(١٢) سورة الفتح ٤٨/ ١٠.

(١٣) سورة المزّمّل ٧٣/ ٥.

(١٤) سورة الصافات ٣٧/ ١٠٢.

الحقِّ وتفعلَه. وإيّاكَ الكَذبَ، فـإنّه شَيْنُ الرجال وجلبابُ أهلِ المَـحال وسِلاحُ المنافقين؛ وتَجَنَّبِ الفسقَ... ويجبُ أنْ لا تتكبَّر على أحدٍ من المؤمنين...

بعد هذا يأخذُ الإمامُ على الطالبِ العهدَ والميثاق...

ثمّ يقول له النقيبُ: جعلتَ على نفسك عهدَ اللّه ومـيثاقَه وعَقْدَه وذمَّتَه وذمّةَ رسـولِ اللّه... واللّهِ واللّهِ واللّهِ، وباللّه، إنّك وكيلٌ على هذا العـقْدِ أنْ لا تهدمَه ولا تذيعَـه... قلْ نعم على أنّك لا تُذيعُ علينا شيئًـا من هذا العقْدِ، لا في حيـاتنا ولا بعدَ وفـاتِنا، ولا على حالِ غـضبٍ، ولا على حالِ رِضـا، ولا على حالِ مناوءةٍ، ولا على حالِ رَهبةٍ، ولا على حال رعبةٍ، ولا على حالِ شدَّةٍ، ولا على حالِ طَمَعٍ، ولا على حالِ حرمـانٍ... فإنّي، واللّهِ واللّهِ واللّهِ، إنّي لا أذيعُه إلى مخلوقٍ بلسان، ولا أكتبُه في صحيفةٍ، ولا بيدي، ولا أسعَى في حقٍّ هذه الطائفة بسوءٍ، ولا أكـشفُ ما أوعزتموه إليّ وَاستَكْتُـمُوني إيّاهُ إلى مخلوق. فـإنْ خالفتَ مـا أمـرناك به وأنتَ على مـا ذكرتَه، فـإنّك بريءٌ من اللّهِ خـالقِ السماواتِ والأرضِ الذي خلقَكَ وأحسَنَ إليكَ في دينِكَ ودنياك...

وبعـد حلفان مـعظّم، يقول النقـيب: إفهمْ مـا يجب لسيّـدك عليك. ثمّ يعظه: إعْلَم، وفـقَّك اللّه، إنّ سيّـدَك هو ربّك ونبيّك ورسـولك. ليس هو إلهك وخالقك... وعليك ان تكـون داعياً لسيّـدك شـاكراً مـتودِّدا، وأنْ تغفـرَ زلّتَه، وترحمَ عبـرتَه، وتسترَ عـورته، وتقيلَ عثـرته، وتقبلَ معـذرته، وتعودَه في مرضـته، وتردَّ غيـبتَه، وتصـدقَ نصيحـته، وتقبلَ هـديته، وتشكرَ نعمـته، وتحفظَ خليلتـه، وتشهدَ مَوتتـه، وتجيبَ دعوته، وتحسنَ نصـرته، وتقضي حاجتِه، ولا تهتكَ له ستراً، ولا تكشف له سرًا، ولا تحفر لأخيك بئراً...

وبعد انتهاء النصائح، يُقيمه النقيب إلى بين يدي الإمام الذي يتلو عليه من القرآن: «وأخَـذَ ربُّكَ ميثاقَ الذينَ أُوتُوا الكتـابَ ليُبَيِّنَه للناسِ ولا يَكتُـمُوه فنبذُوه وراءَ ظهورِهم واشتَرَوا بها ثمناً قليلاً»[١٥].

---

(١٥) سورة آل عمران ٣/١٨٧ ببعض التصرّف.

ثمّ إنّ سيِّده يفتح عليه الفـتح. ويقبّل بعد ذلك الطالب، ثمّ يقبّل الطالبُ الأرضَ بين يدي سيّده، ويقبّل رأسَ الإمام ويدَه.

ثمّ يأمـر الإمامُ النقـيبَ أنْ يناولَ الطالبَ قدَحـاً من الخمـر، فيـشرب الطالبُ سرَّ الإمام، ثمّ قدحـاً ثانياً ليشرب سرَّ سيّده مرشـدِه، ثمّ قدحاً ثالثاً ليشرب سرّ الجماعة.

ثمّ ينهض كلٌّ واحدٍ من الجماعة ويشـربُ سرّ القَبول، ويُقبّلوا الإمام إلى أن ينتهي الجميع. ثمّ يأمرُ الإمامُ الجميعَ بالانصراف[١٦].

(١٦) ترى «معرفـة التعليق» و «رتبة السـماع» في مخطوط مكتبـة باريس الوطنية رقم ١٤٥٠، في كتاب المناظرة ص ١٦٠-١٦٧. وقد نقلناها بايجاز، رغم كونها غير كاملة بالنسبة الى ما يفيدنا فيه الأذني.

ثالثًا – رتبة التسليم بحسب الأذني

يروي سليمانُ الأَذَنيّ طريقة تسلّمه الدينَ النصيري، وقد بلغ الثامنة عشرة، قال:

«إنّي وُلِدْتُ في مدينةِ إنطاكية سنة ١٢٥٠ هجرية (١٨٣٤م)، وأقمتُ فيها نحو سبعَ سنين، ثمّ انتـقلتُ إلى أَدَنَه. ولمّا بلغتُ الثامنةَ عشرة من العمرِ أخذ بنو طائفتي يُطلعـونني على أسرارِهم الباطنيّة التي لا يكشـفونها إلاّ لمن بلـغَ هذا السنَّ أو سنَّ العشرين.

١. جمعيّة المشورة :

«وفي ذاتِ يوم اجتمعَ منهم جمهورٌ من الخاصَّةِ والعامَّةِ واستدعوني إليـهم، وناولوني قدحَ خـمرٍ. ثمّ وقفَ النـقيبُ بجـانبي، وقال لي: قلْ بسِـرِّ إحسانِك يا عَمّي وسيّدي وتاجَ رأسي، أنا لك تلميذٌ وحذاؤُكَ على رأسي.

ولما شـربتُ الكأسَ التَـفتَ إليّ الإمـامُ قائـلاً لي: هل ترضى أنْ ترفعَ أحذيةَ هؤلاءِ الحاضرين على رأسِك إكرامًا لسيّدِك؟

فقلتُ: كلاّ، بل حذاءَ سيّدي فقط.

فَضَـحِكَ الحاضـرون لعدمِ قـبولي القـانون. ثمّ أمروا الخـادمَ فأتى بحذاءِ السـيّدِ المذكورِ، فكشفـوا رأسي ووضعُوهُ عليه. وجـعلوا على الحذاءِ خـرقةً بيـضاءَ. ثمّ أخـذَ النقـيبُ يصلّي عليَّ لكي أقْـبَلَ السرَّ. ولمّا فـرغَ من الصلوةِ رفعوا الحذاءَ عن رأسي وأوصوني بالكتمانِ وانصرفوا.

فهذه الجمعيّة يسمّونها: المشورة.

٢. جمعيّة المَليك :

«ثمّ بعد أربعين يومًا اجتمعَ جمـهورٌ آخر، واستدعوني إليهم. ووقفَ السيّدُ بجانبي، وبيدِه كأسُ خمرٍ، فسقاني الكأسَ، وأمرَني بأن أقولَ "سرّ عَ مْ س" . أمّـا العينُ فـهي علِيّ، ويسـمّـونه المَعْنَى. وأمّـا الميم فـهي محـمّـد، ويسمّـونه الإسم والحجاب. وأمّا السين فـهي سلمانُ الفارسـي، ويسـمّونه الباب.

ثمّ بعد ذلك قـال لي الإمامُ: إنّه فُـرِضَ عليكَ أنْ تتلوَ هذه اللّفظة، وهي سرّ عَمْسْ كلَّ يومٍ خمسمائة مرّة. ثمّ أوصوني بالكتمانِ وانصرفوا.

وهذه الجمعية الثانية يسمّونها: جمعية المَليك.

٣. تسليم السرّ:

«ثمّ بعدَ سبعةِ أشهر (والمدة للعامّة تسعة أشهر)، اجتمع جمهورٌ آخر أيضاً واستدعوني حسبَ عـادتهم، وأوقفوني بعيدًا عنهم. ونهضَ وكيلٌ من بين الجماعـة، والنقيبُ عن يمينهِ، والنجيبُ عن شَمـاله، وبيدِ كلٍّ منهم كأسُ خمرٍ واستقـبلوا نحوَ الإمام مترنّمين الترنيمـةَ الثالثة، التي هـي للحُسين بن حَمدان الخُصَـيبي... وبعدِ ذلك توجّهوا نحو المرشدِ الـثاني مترنّمين له هذه الترنيمة:

سَألتُ عن المكارِمِ أينَ حَلُّوا ... بعضُ الناسِ دلُّوني عَلَيكـا

بحقِّ محمّـــد مع آلِ بيتِـه ... إرحَمْ مَن أتَى يُقبِّلُ يَدَيْكَـا

قصدتُكَ لا تُخَيِّبْ فيكَ ظَنّي ... نحنُ اليومَ مَحْسُوبينَ عَلَيكا.

ثم وضعوا أيديَهـم على رأسِه وجلسوا. وأمّا هو فنهضَ قـائماً، وأخذَ القـدحَ من الوكـيل، وخـرَّ سـاجدًا، وقـرأ سـورةَ السـجـود، وهي الفـصلُ السـادس[١٧]، ورفع رأسَه وقرأ سورةَ العَين، وهي الـفصل التاسـع، ثم شربَ الكأسَ وقرأ سورةَ السلام، وهي الفصل السابع.

ثم قام متوجِّهاً نحوَ الإمــام قائلاً: نعم نعم نعم يا سيّدي الإمام. فقال له الإمام: ينعم عليك وعلى مَن حــواليك. لقد علمتَ ما لم تعلمْه هذه الجـماعةُ لأنّك أخذتَ القــدحَ بيدِكَ وشربتَ وسـجـدتَ وسلّمتَ وللّهِ السجود. فـما هي حاجتُكَ ومــاذا تريد! فقال: أريدُ أن أتمسّى بوجهِ مــولاي. ثمّ انصرفَ ونظر نحــو السمــاء ورجعَ إليــهم قائلاً: نعــم نعم نعم يا سيّــدي. فــأجابه الإمــامُ كالأوّل: مــا حاجتك وماذا تــريد؟ فقال لي: حاجــةٌ أريدُ قَضَاهَا. فـقال اذهبْ اقضِـها. ثمّ انصرفَ عنهم.

ودنَا مِنّي لكي أقبّلَ يديه ورجلَيـه. فقبّلتُهما ورجعَ إليــهم أيضاً وقال: نعم نعم نعم يا سيّدي الإمــام. فقال له الإمام ما مُرادُك ومــاذا تريد؟ فأجابه أنّه تراءى لي شخصٌ بالطريق فقال: ألمْ تسمعْ مــا قال سيّدُنا المنتجَبُ الدَّيِّنُ العاني: الليلُ يجزع منه كلُّ صنديد.

فأجابَ: لي قلبٌ قويٌّ ولا خوفَ عَلَيَّ.

ثم نظر إليّ أيضاً والتفتَ إليهم وقــال: هذا الشـخصُ اسمُه فلان، وهو قد أتى ليتأدّبَ أمامكم.

فقال: مَنْ دلَّه علينا؟

فــأجاب: ألمَعــنى القديم، والإسمُ الــعظيم، والبــابُ الكريم. وهي لفظةُ عَمْس.

فقال الإمام: ائتِ به لنراه.

فأخذ المرشدُ بيدِي اليمنى وذهبَ بي إلى الإمام. فلمّا دنوتُ منه مدَّ لي رجلَيه فقبّلتُهما ويدَيه أيضاً. وقال لي: ما حاجتُك وماذا تريد أيّها الغلام؟

ثمّ نهض النقــيبُ ووقفَ بجانبــي وعلّمني بأن أقول: بســرِّ الذي أنتم فيه، يا معاشرَ المؤمنين.

---

(١٧) هذه السور موجودة في كتاب المجموع. تراها في ملحق الكتاب.

ثمّ نظرَ اليّ بعبوسَة وقـال: ما الذي حَمَلك على أن تطلبَ منّا هذا السرَّ المكَلَّل باللؤلؤ والدرِّ ولم يحـملْه إلاّ كلُّ ملاكٍ مـقرّب أو نبيٍّ مـرسل؟ إعلمْ يا ولدي أنّ الملائكة كثيرون ولا يحملُ هذا السرَّ إلاّ المقـرَّبون. والأنبياءَ كثيرون وليسَ منهم مَن يحـمل هذا السرَّ الاّ المرسَلون. والمؤمـنون كثيـرون وليسَ منهم مَن يحمل هذا السرّ الا الممتحَنون. أتقبلْ قَطْعَ الرأسِ واليدَين والرجلَين ولا تبيحُ بهذا السرِّ العظيم؟

فقلتُ له: نعم.

فقال لي: أريدُ منك مائةَ كَفيل.

فقال الحاضرون: القانونُ يا سيِّدَنا الإمام.

فقال إكرامًا لكم ليكنْ اثنا عشر كَفيلاً.

ثمّ قامَ المرشدُ الثـاني وقبّلَ أيدي الإثني عشر كفيـلاً، وأنا أيضاً قبّلتُ أيديهم. ثمّ نهضَ الكفلاء وقالوا: نعم نعم نعم يا سيّدي الإمام.

فقال الإمام: ما حاجتُكم أيّها الشرفاء؟

قالوا: أتينا لنكفلَ فلانًا.

فقال: إذا باح بهذا السرّ أتأتوني بهِ لكي نقطّعَه تقطيعًا ونشربَ دمَه؟

فقالوا: نعم.

فأجـاب وقال: لستُ أكـتفي بكفـالتكم فقط؛ بل أريدُ اثنَين مـعتَـبَرَين يكفلانِكم.

فـجرى واحـدٌ من الكفلاء وأنا وراءَه وقـبّلَ أيدي الكفـيلَين المطلوبَين وقبّلتُهما أنا أيضاً.

ثمّ نهضا قـائمَين وأيديهما موضوعة عـلى صدرَيهما، فالتفتَ إليـهما الإمام وقـال: ألله يمسِّيكمـا بالخير أيّهـا الكفيـلان المعتَبَـران الطاهرَان أهلَ البَرشِ والكَرْشِ فماذا تريدان؟

فأجابا: إنّنا قد أتَينا لنكفلَ الإثني عشرَ كفيلاً وهذا الشخصَ أيضاً.

فقال: فإذا هربَ قبلَ أن يُكْمِلَ حفظَ الصلوة أو باحَ بهذا السرّ، هل تأتياني به لِنُعْدِمَ حياتَه؟

فقالا: نعم.

قال الإمام: إنّ الكفلاء يَفْنون وكفلاء الكفلاء يَفنون، وأنا أريدُ منه شيئاً لا يَفنى.

فقالا له: إفعلْ ما شئتَ.

فالتفتَ إليّ وقال: ادنُ منّي يا غلام. فَدَنَوْتُ منه، وحينئذٍ استحلفني بجميعِ الأجرامِ السماويّة بأنْ لا أبيحُ بهذا السرّ. ثمّ ناولني **كتابَ المجموع** في يدي اليُمنى وعلّمني النقيبُ الواقفُ بجانبي أن أقولَ: تفضّلْ حلّفْني يا سيّدي الإمام على هذا السرِّ العظيم، وأنت بريءٌ مِن خطيئتي.

فأخذ الكتابَ منّي وقال: يا ولدي! أُحلّفُكَ ليسَ لأجلِ مالٍ ولا جوارٍ بل لأجل سرّ اللّه فقط، كما حلّفَنا مشايخُنا وساداتُنا.

وهكذا تكررَ العملُ والقولُ ثلاث مرّات. ثمّ وضعتُ يدي على (كتاب) المجموع ثلاثَ مرّاتٍ، حالِفًا به له أنْ لا أبيح بهذا السرِّ ما دمتُ حيًا...

ثمّ قال الإمام: إعلمْ يا ولَدي أنَ الأرضَ لا تَقبلُكَ فيها مدفونًا إن أبحتَ بهذا السرّ ولا تعودُ تدخلُ القمصانَ البشريّة؛ بل حينَ وفاتِكَ تدخلُ قمصانَ المسوخيّة وليس لك منها نجاة أبداً.

ثمّ أجلسوني بَيْنهم وكشفوا رأسي ووضعوا عليه غطاءً. ثمّ إنّ الكفلاء وضعوا أيديهم على رأسي، وأخذوا يصلّون، فقرأوا أوّلاً سورةَ الفتحِ والسجود والعَيْن، ثمّ شربوا خمرًا وقرأوا سورةَ السلام، ورفعوا أيديَهم عن رأسي وأخذني «عَمٌّ الدخول»، وسلّمني إلى مرشدي الأوّل، ثمّ أخذَ بيدِه كأسَ خمر وسقاني وعلّمَني أن أقول: «بسم اللّهِ، وباللّهِ، وسرِّ

السيِّدِ أبي عـبدالله، العارفِ بمعرفـةِ اللهِ، سرِّ تذكارِه الصالحِ سـرُّه أسعدَه الله».

ثمّ انصرفتِ الجماعـة، وأخذني السيِّدُ إلى بيته، واسـمُه أحمد أفندي بن رضوان آغـا، مِن أعيان مدينةِ أدنه؛ والمرشـدُ الثاني إسمُه الشـيخ صالح الجَـبَلي رئيسُ الرمّالين. ثمّ ابتـدأ السـيّدُ يعلّمني أوّلاً التـبرّي، وهو سـورة الشتائم[18]. وحينئذ أطلعني على صلاتهم المشهورة»[19].

***

يرى القـارئُ بعضَ الفـروقـات بين رواية الأذنـي ورواية المخطوط ١٤٥٠. ومردّ ذلك إلـى كون الأذني ينقل إلينا مـا عند الشَمـاليّين، والمخطوطُ ينقل ما عند الحـيدريّين. ألشمالـيّون والحيدريّون همـا فريقان كبـيران في الديانة النصـيـريّة، لكلٍّ منهـما نظرة مـخـتلفـة في الديانة وفي العـقيـدة، وممارسات خاصّة للعادات والاحتفالات الدينيّة ، نراها في أبوابها.

---

(١٨) أنظرها في ملحق الكتاب.

(١٩) كتاب الباكورة السليمانيّة في كشف أسرار الديانة النصيريّة ٢–٧.

رابعًا – دور الإمام عند النصيريّين

يرئس الجماعةَ المؤمنةَ إمامٌ، يتّصفُ بصفاتٍ روحيّةٍ وخُلُقيّةٍ وعقليّةٍ كبيرة، وتقعُ عليه مستلزماتُ الإيمانِ وفروضُه، ويترتّبُ عليه واجباتٌ نحو جماعته تَضَعُهُ في منتهى المسؤوليّة. فهو سيّدُ الجماعة، ورئيسُهم ومربّيهم، والمسؤولُ عنهم، ومحقّقُ طموحهم. وهو القيّم على أمورِ الدّين، وكتمانِ سرِّ الديانة، ومعلّمُ فروضِها وواجباتِها، وكاهنُ أسرارِها، ومنشّئُ رجالِها، ومدرِّبُ عقّالِها... وبكلمة: الإمامُ هو نائب اللّه على الأرض.

جاء في «شَرْحِ الإمام»[٢٠]: إنّ «الإمامَ يحتاجُ إلى الصبرِ والأناةِ والعلمِ والرأيِ والفطنةِ والذكاءِ والعفّةِ والمرّوةِ والشجاعةِ والسَخاءِ والتدبيرِ والسياسةِ والأدب...

«وينبغي أن يجمَع شروطَ العدالة، وشروطَ المؤذّنِ الذي يدعو إلى الصلاةِ والفلاح، وشروطَ الأمناءِ والثقاة، لأنَّ عندَه دينَ اللّه وسرَّه وخزائنَه، وينبغي أن يجمعَ شروطَ المجاهدين... فإنّه هو الطبيبُ للأرواح. وينبغي ان يكونَ فيه شروط المنجّم فإنّه هو منجّمُ الدّين ومهندسُ العقول. وشروطُ التأليف، فإنّه هو مؤلّفُ الكلماتِ العقليّة.

«وينبغي أن يكونَ فيه حِرصٌ للزرّاعين ومعرفتُهم في الأراضي وأوقاتُ الزراعة وسقايتُها، فإنّه يحرثُ الدِّينَ ويعمرُ الدّينَ بالحقيقةِ ويحفرُ الأنهارَ ليجريَ فيها الماءُ الحقيقي الذي هو علم الباطن...

---

(٢٠) «شرح الإمام» مخطوط المكتبة الوطنية في باريس، رقم ١٤٥١، صفحة ١٥٥ب – ١٥٨ب.

«وينبغي أن يكونَ فيه شروطُ الرعـاةِ في حفظِ الأغنامِ ورعيتِها، لأنّه هو الرّاعي بالحقيقة. وقد قال جعـفر الصادق: كلٌّ مسؤولٌ عن رعيّتِه والحقُّ موجودٌ لِطَالبِه.

«هذه هي شروطُ الإمامة وفضائلُ الإمام. ولا يليقُ لإمامٍ أنْ يكونَ فيه نقصٌ من دنيا ولا من دين، بل يكونَ كـاملَ الخُلْقَةِ والخَلقِ والدّين. ولا يكونُ هَمّـازاً لَمّازاً، ولا غَـمّازاً ولا نَمّـاماً، ولا فاسِـقاً ولا مُـرتاباً ولا مُرائـياً، ولا صاحبَ ضحكة، ولا ميّالاً ولا صاحبَ وجهَين...

«ومَن لا يكونُ بهـذه الفضـائل والصّفـاتِ لا يجوزُ له أن يتـأمّمَ –أي يصبح إماماً– في جماعة»...

وفي كتاب «المناظرة»[٢١] ذكرُ ما يجبُ انْ يقـومَ به الإمام، اذ لا يتقدّم أحدٌ على جماعـةٍ إلاّ بعد أن يتبيّنَ علمَه، ويُظهرَ فعـلَه. والعلماء وَرَثَةُ الأنبياءِ والأوصياء. وهم أنوارُ اللّه في عالَمه.

وممّا في كتب النصيريّة من أعـمالِ الإمام ودوره بعضُ ما يجب عليه من واجبات. فـ«واجبٌ على الإمام، إذا حضرَ مجلسَ الحكم والعدل، أن يأمرَ النقيبَ أن يأمرَ الجماعةَ قبل إشراعِ الطعام أن يتفقّدَ مَن كانَ حاضراً وغائباً. ويُساوي بين الغنيِّ والفقير. ومَن كـان له دعوةٌ على أحدٍ من الإخوان، فيقف هو وخصمُه بين أيدي الإمام ويتحـاققوا على أخذِه وإعطاه. فـمَن ثبتَ عليه الجريمةُ والخطأ والظلمةُ فيقطعوه، إماماً كـان أو نقيباً. فإن كان إمامًا فيُنَيَّبُ مكانَه نائبٌ وكذلك الـنقيب. ولا يقولُ الحاكـم ما صحّ عندي لأنّ الحكمَ له لا لغيره؛ ومتى بدا من أحدٍ من الجماعة ذنبٌ فيوجب المقاطعة فيقطعوه ليتأدّب به غيره.

---

(٢١) كتاب «المناظرة»، مخطوط باريس ١٤٥٠، ص ٦٧–١٥٥.

«وبعد أداءِ الفريضة يأمرُ الإمامُ للنقيبِ أن يأمرَ الجماعة: مَن كان له سؤال واجب فيقوم إلى بينِ يدَي الإمام ويشربُ سرَّه ويقبِّلُ يدَه، ويسأله عمّا بدا له، فإن كان السؤال ممّا لا يمكن لضَعفِ الجماعة فيورَدُ على الجميع، وإنْ كان السائل لا يحملُ جوابَ ما سَأل عنه لقصرِ فهمه وسقوط درجته، فلا بأس أن يقول له: أللّه وملائكته وأولو الأمر من المؤمنين، ما عندي جواب ما سألتَ عنه. وإنْ كانتِ الجماعة لا تحملُ الجوابَ فيردّ منه إليه عند حركة الشهوة، ويُحضروا مَن كان مِن المتعلّقين، وطلاّب العلم، ويَذكرون أخباراً تحرّضهم على المعرفة، وأشعاراً تشوّقهم. فإذا غلب عليهم الشرابُ فيَصرِفون مَن كان من الضعفاء. فيتذاكروا في ذلك اليوم. وبعد ذلك يأمر النقيبُ الجماعةَ بالمسائلِ والمباحثةِ والمطارحة في العلم والتمتّع بالنظر بعضهم ببعض.

«وهكذ تكون مجالسُ المؤمنين وسيرة الموحّدين»[٢٢].

***

ونقل إلينا سليمانُ الأذني نظرةَ العامّة إلى أئمّتهم فقال: وهؤلاء الأئمّة مهما رسموا من الطقوس أو غيرها، فالعامّة تُصَدِّقه وتَقبلُه بكلِّ رضىً لظنّها بأنّهم لا يَغلطون. ثمّ بعد وفاةِ هؤلاء الأئمّة تنتقلُ وظيفتُهم إلى خلفائهم. وكثيرون من العامّة يعتقدون بأنّ الشيوخَ لا يَغيطون، كما كنتُ أعتقدُ بهم. كذلك، لّما كنتُ حديثَ السنّ وصار بيني وبين بعضِ الناس شروطٌ بشأن ذلك. ثمّ أتانا إمامٌ منهم اسمه (فلان)... فراقبتُه ورأيتُ أنّه لا يفرق عن بقيّةِ الناس بشيء من هذا القبيل. وما شاهدتُ شيئاً يثبت فكري بهذه القضيّة، فاطّلعتُ على غيره فكان منه كما كان من الأوّل»[٢٣].

---

(٢٢) أنظر مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٤٥٠ ص ٧٨ب-٧٩ب.
(٢٣) الباكورة، ص ٥٦.

ويثبت قولَ الاذني مخطوطُ برلين. قال: «والنصـيريّة، بوجه العموم، يعتـقودن بمشـايخهم أنّهم يفهـمون المسـتقبل. ولا بدّ لكلّ إنـسان منهم أن يستشيرَ الشيخَ في كلِّ عملٍ يَصنعه. حتى إذا أحد منهم أراد أن يبني بيتًا لا بدّ من أن يستدعي الشـيخَ يحسَبُ له إن كان يوضـعُ البابَ غـرباً أو شرقاً أو قِبلة أم شمـالاً. وإذا أراد أحدٌ يتزّوجَ بنتاً فَقَـبلَ أن يخطبَها يستشـيرُ الشيخَ عنها إن كـانت هي ذاتُ سَعْدٍ أو نحس. وإذا أحدٌ أراد أن ينتـقلَ من قريةٍ إلى قرية أخرى أو من محلٍّ لمحلّ آخر لا بدّ من أن يستشيرَ الشيخَ إن كانتِ النقلةُ توافقُه بأوّلِ القـمرِ أم بآخره أم بنصفـه. وعلى حسبما يـرشده ذلك الشيخ يفعل الرجل»[٢٤].

ثمّ لا يكون عيد أو احـتفال أو اجتمـاع أو مناظرة إلاّ برئاسة إمام، أو مَن ينوب عنه. ويعـاونُ الإمامَ في إدارةِ الجمـاعةِ المؤمنة ومجـالسِ المؤمنين نقيبٌ ونجيبٌ. هذان يقومان بخدمة المؤمنين لقاء جَعْلٍ مُعَيّن، ويعلّمان العامّةَ حفظَ الشريعـةِ، من دون العقيدةِ التي هي من شـأنِ الخاصّة. وعبءُ تسليم الدين يقعُ على الثلاثة مـعًا الذين يَختارون لهـذه المهمّة الأساسـيّة مَن ينوب عنهم كـ«العمّ السـيّد» و «المرشد» و «الوكـيل». فالإمامُ يمثّل عَلِيًـا، والنقيبُ محمّداً، والنجيبُ سَلمان. وللنقيب إثنا عشر تلميذًا يُسمَّون: الناجي، الحامِد، الدليل، الغـافِر، الراجي، البـشيـر، النذير، الكافِل، المُجيـب، الحامِد، المحـيي، الراهِب.

(٢٤) مكتبة برلين الملكية رقم ٤٢٩١، ص ٥٦.



الفصل الخامس

مراتب النصيريين

أوّلاً : مراتب العالم النّوراني

ثانياً : مراتب العالم البشري

ثالثاً : التدرّج في المراتب

أوّلاً – مَرَاتبُ العَالَم النُّورَانيّ

جاء في تعليم الديانة النصيريّة: «إنّ العوالِمَ هي كثيرة، لا يعلمَ عدَدها إلاّ خالقُها. ومنها العالَم الكبيرُ النّـوراني، والعالَمُ الصغيرُ البـشريّ التّرابيّ الجنس»[1].

أمّا العـالَمُ الكبيـرُ النورانيّ فهـو السمـاء التي هي نورُ الأنوار. وهو يحتـوي على سبع مراتب قـبل ظهورهم في العالَم البـشري. وهم: الأبواب، والأيتام، والنُّقَباء، والنُّجَباء، والمختصُّون، والمخلِصون، والممتحَنون.

هذه المراتب ظهرتْ مـع ظهور اللّه في الطبيـعة البـشريّة، وتجلّت في أشخاصٍ معيّنين معروفـين في التاريخ النُّصَيري. كلٌّ مرتبة من هذه المراتب لها عَمَلُها. ولها معارفها. وعددُها، حتى الظهورِ الإلهي الأخير، محدود.

١ – **مرتبة الأبواب**. يستـمِدّ البابُ نورَه من الاسم. كـان ظهوره في التجلّي الإلهي الأخير في سَلمان الفارسي. النّصيريُّ المؤمن يستطيع، إذا ما علا في تجوهره، بلوغَ هذه المـرتبة الإلهيّة والاستـقرار فيها مـغبوطاً. ولكن دون الحصول عليها، لأنّها مرتبةٌ إلهيّةٌ لا بشريّة.

وفي حالِ بلوغ المرتبة الإلهيّة «يكونُ معايِنًا لها بالنّظر. يكونُ إنْ شاء غائبًا، وإنْ شـاء حاضراً وشاهداً وثابـتاً ومعايِناً ومـستمعاً، لا يغـربُ عليه شيء من طلبـته وإرادته وبغـيتـه. ويكون عند ذلك سـببٌ من أسبـاب اللّه، وحجـةٌ على أوليائه، ونقـمةٌ على أعـدائه، وسراجًا يُسـتضـاء به... فإنّه إذا تكاملت به السبع العقاب[2] فإنّما وراءها ظهورُ مولاه، وعَيانُه إيّاه، وسماعُه

---

(١) كتاب تعليم الديانة النصيرية، السؤال ٥٢، ص ١١٣.

لخطابه، وبلوغُه إرادته... فإنّه، إذا صار إلى ذلك العقبة السابعة وحصل فيها، فقد خرج عن التعبّد[٣]، وصار حرًّا محرّراً»[٤].

«فاذا صار إلى العقبة السابعة وحصل فيها... وصفا... فعند ذلك يظهر له الاسم، وهو الحجاب، فيعاينه ويشاهده، ويشهد أفعاله، ويُطلعه على علم تكوينه... فإذا أرادَ حضورَه حضر، وإن أحبَّ أقامَهُ بمكان من الأماكن، وإنِ أنِسَ إلى البشريّة باشَرهم ويؤنسهم بنفسِه... يجلسُ بين أقوام فيحادثهم ويكلّمهم بلسانٍ من الألسنِ الجارية فيما بينهم، وينصرفُ عنهم فلا يروه ولا يعلمون به»[٥].

عدد الأبواب أربعمائة، لا يتغيّر، لا يزيد ولا ينقص.

٢ – **مرتبة الأيتام الخمسة**. تظهر الأيتام مع كل ظهور إلهي عبر التاريخ. وقد ظهروا، في الكشف العلويّ الأخير في أشخاص خمسة هم: المقداد الذي يستمدّ نورَه من نور الباب الذي هو سَلمان الفارسي، وأبو الذرّ الغفاري يستمدّ نورَه من المقداد، وعبد الله بن رَواحة يستمدّ نورَه من أبي الذرّ، وعثمان يستمدّ نوره من عبد الله بن رواحة، وقنبر يستمد نوره من نور عثمان.

كلّ واحد من هؤلاء الأيتام الخمسة يتولّى مهمّةً معيّنة في الخليقة، ويهتمُّ بمرتبة من المراتب التالية: فالمقداد يتولّى مرتبة النُقباء، وأبو الذرّ مرتبةَ النجباء، وعبد الله بن رَواحة مرتبة المختصّين، وعثمان مرتبة المخلصين، وقنبر مرتبة المتحَنين.

---

(٢) العقاب جمع عقبة، وهي منزلة من منازل الصراط
(٣) التعبّد يعني العبودية ضد الحريّة
(٤) كتاب الصراط، ص ٩٣ب – ١٩٦آ.
(٥) المرجع نفسه، ص ١٩٨آ وب.

سمّاهم البابُ أيتاماً لأنّهم «أيتموا بالباب وأيتم بهم مَن كان بعدهم من أهل المراتب»[٦]. يعني: أليتيم هو مَن لا شبيه له، ليس له أب ولا أمّ، لا أخ ولا أخت، ولا أيّة صلة مع أحد. من ذلك "يتيمُ عصره"، أي فريدُ عصره، لا يشبهه أحد بما هو عليه.

عدد الأيتام «خمسمائة. ولها سبعة من الدرج، وهم المشارق والمغارب والأقمار والأهلّة والنجوم والرعود والبروق»[٧].

٣ - **مرتبة النقباء**. وهم أثنا عشر نقيباً، وإنّما سمّوا نقباء، لأنّهم نقّبوا عمّا في الصدور، من قول اللّه: "نَقَّبُوا فِي البِلاد هل مِن محيص"[٨]، أي ليس ثمّة شيء يحيص عن معرفة النقيب، أعني بذلك أنّ جميع المراتب التي من دون النقباء لا يخرجون عن معرفة النقيب.

«عدد النقباء ستمائة، ولها سبعة من الدرج، وهم الصلاة والزّكاة والحجّ والصيام والهجرة والجهاد والدعاء»[٩].

٤ - **مرتبة النجباء**. يستمدّون نورَهم من نور النقباء. سُمّي النَّجيب نجيباً لأنّه نجبَ وسعى إلى معرفة باريه واسمِه وبابِه ومَن يليهم من المراتب.

«عددهم سبعمائة. ولها سبعة من الدرج وهم: الجبال والمعصرات والبحار والأنهار والرّياح والسحاب والصواعق»[١٠].

٥ - **مرتبة المختصّين** تستمدّ نورها من النجباء. سمّي المختصّ

---

(٦) رسالة البيان، ص ١٥٥ - ٥٨ب.

(٧) تعليم الديانة النصيريّة، سؤال ٥٨.

(٨) سورة ق ٥٠/٣٦.

(٩) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٥٩.

(١٠) المرجع نفسه، سؤال ٦٠.

مختصًا لأنّه اختصّ ابتداءً، أيّ أوّل مَن اختصّ بمعرفة الباري واسمه وبابه ومَن يليه من أهل المراتب بعده.

عددهم «ثمان مائة. ولها سبعة من الدرج، وهم: اللّيل والنّهار والغداء والعشاء والغدو والأصيل والسيل»[١١].

٦ - **مرتبة المخلِصين** يستمدّون نورهم من المختصّين. سمّي المخلص مخلصاً لأنّه أخلص لباريه واسمه وبابه.

عددهم «تسعمائة. ولها سبعة من الدرج وهم: الأنعام والدّواب والإبل والنّحل والطّير والصوامع والبيع»[١٢].

٧ - **مرتبة المتحَنين** يستمدّون نورَهم من المخلِصين. سمّي الممتحَن ممتحَناً لأنّه كان سابع سبع مراتب، فامتُحن فيها فثبتَ، وحمل أمر الامتحان، ولحق مَن تقدّمَه من المراتب.

عددهم «ألف ومائة. ولها سبعة من الدرج وهم: البيوت والمساجد والنّخل والأعناب والرّمّان والزّيتون والتّين»[١٣].

«فهذه السبعة مراتب. وكلُّ مرتبة لها سبع درجات. ألجملة تسعة وأربعون درجة»[١٤].

عدد المراتب جميعها : خمسة آلاف مرتبة في العالم النوراني العلوي. يليها سبع مراتب في العالم البشري السفلي.

---

(١١) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٦١.

(١٢) المرجع نفسه، سؤال ٦٢.

(١٣) تعليم الديانة، سؤال ٦٣.

(١٤) المرجع نفسه، سؤال ٦٣.

ثانياً - مراتب العالَم البشري

جاء في تعليم الدّيانة النّصيريّة: «أمّا العالَم الصغير البشريّ الترابيُّ الجنسِ فهو الأرض»[١٥]. وهو يحتوي على سبع مراتب. هي:

١ - **المقرَّبون**. سُمّوا كذلك لأنّ اللّه قال فيهم: " والسَّابِقُون السَّابِقُون، أولئكَ المقرَّبُون "[١٦]، ولأنّهم سبقوا جميعَ المراتب البشريّة إلى معرفة باريهم واسمِه وبابِه ومَن سبقهم من المراتب النّورانيّة. عددهم أربعة عشر ألفاً[١٧].

٢ - **الكاروبون**. سُمّوا كذلك لأنّهم رُفِعَ عنهم كَرْب البشريّة لمّا عرفوا باريهم واسمَه وبابَه ومَن سبقهم من المراتب. عددهم خمسة عشر ألفاً[١٨].

٣ - **الروحانيّون**. سُمّوا كذلك لأنّهم رَاحُوا إلى النّورانيّة لمّا عرفوا باريهم واسمَه وبابَه ومَن سبقهم من المراتب. عددهم ستة عشر ألفاً[١٩].

٤ - **المقدَّسون**. سُمّوا كذلك لأنّهم قُدِّسُوا بروح القدس، ولأنّهم عَرفوا باريهم واسمَه وبابَه ومَن سبقهم من المراتب. عددهم سبعة عشر ألفاً[٢٠].

---

(١٥) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٥٥.

(١٦) سورة الواقعة ٥٦/ ١٠.

(١٧) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٦٥.

(١٨) المرجع نفسه.

(١٩) المرجع نفسه.

(٢٠) المرجع نفسه.

٥ - **السائحون**[٢١]... عددهم ثمانية عشر ألفاً[٢٢].

٦ - **المستمعون** سُمّوا كذلك لأنّهم سمعوا النداء فاستجابوا إليه لمّا عرفوا باريهم واسمَه وبابه ومَن سَبقهم من المراتب. عددهم تسعة عشر ألفاً[٢٣].

٧ - **اللاّحقون**. سَمّى اللّهُ لاحِقًا لأنّه لحق بالمراتب المتقدّمة قبله لمّا عرف باريه واسمَه وبابه ومن سبقه من المراتب. عددهم عشرون ألفاً[٢٤].

وبالجملة يكون عددُ العالَم البشري مائة وتسعة عشر ألفا[٢٥]. وهو العدد الذي نجده في رسالة البيان: «أمّا العالَم العلوي والسفلي فمائة ألف وأربعة وعشرين ألف، منها خمسة آلاف العالم العلوي ومائة ألف العالم السفلي وتسعة عشر ألف العالم السفلي البشري»[٢٦].

ألفرقُ بين مراتب العالَم العلوي ومراتبِ العالم السفلي هو أنّ الأولى مراتبُ روحيّة والثانيةَ مراتبُ بشريّة أرضيّة، والتدرّج بين العالَمين ممكن ٌبحسب ما وردَ في كتاب الصراط، على ما نرى بعد حين. ويبدو أيضاً أنّ عددَ المخلَّصينَ من البشريّة في النهاية لا يزيد عن ١٢٤ ألفاً، الذين هم أوّلاً وآخرًا النّصيريّون العلويّون. أمّا سائرُ البشر فيتحوّلون بالتناسخ إلى غير ما هم عليه.

---

(٢١) ينقص في رسالة البيان التي عنها ننقل تعليل إسم السائحين.

(٢٢) تعليم الديانة النصيرية، سوال ٦٥.

(٢٣) المرجع نفسه

(٢٤) المرجع نفسه

(٢٥) المرجع نفسه.

(٢٦) رسالة البيان، ص ٦٠ب. لمجمل هذا الفصل أنظر الرسالة نفسها، ص ٥٥ أ-٥٨ ب، وما يليها.

ثالثاً - التدرّج في المراتب

«إنّ سبعة مراتب العالم الكبير النّوراني كان لها غير أسماء في السماء قبل ظهورها على الأرض وقبل أن تُسمّى عندنا هذه الآلات في الدنيا»[٢٧]. فالنُجباء مثلاً في النورانية كان اسمُهم «الشرطين» وفي البشرية «أبو أيوب خالد ابن زيد الأنصاري». وهكذا سائر النجباء[٢٨].

ألإنتقال من النورانيّة إلى البشريّة، أو التدرّج فيما بين المراتب العلويّة والسفليّة، يكون على الشكل التالي:

يجيء العارف ويأخذ بيد الطالب، ويُعدّه لسلوك عقبةِ الممتحَن. وإذا سمع الطالب المزيدَ يُبلغه مولاه ويُزْلِفُه إلى العقبةِ الثانية وهي عقبةُ المخلص... فإذا حمل علمَ المخلص وقَبِلَهُ ولم يشكَّ فيه يُعدُّه مولاه ويُبلغُه إلى مرتبةِ المختصّ... وإذا حملَ علمَ المختصّ وما يلقيه إليه ويُظهرُه عليه يَرفعُه مولاه إلى العقبةِ الرابعة ألنجيب... وإذا سمعَ علمَ النجيب وحمله وصبرَ عليه ولم يجحدْه ولم يشكَّ فيه، يجوزُ تلك العقبَة ويعلو إلى ما فوقها من العقاب (العقبات) ويصيرُ من أهل الصفا والتخلص ويعلو إلى سماعِ علم النقيب...

وإذا حمل علمَ النقيب ولم يشكَّ بجميع ما يورَد عليه وما يَظهر له وكان مسلّماً ويعلم أنّه لا يدعوه إلى الباطل ولا يورده إلى الضلال يعلو درجةً إلى سماعِ علم اليتيم... فإذا سمع علمَ اليتيم وقَبِلَه وسارع إليه يظهر

---

(٢٧) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٦٤.

(٢٨) المرجع نفسه، سؤال ٦٨.

له مولاه من اليـتيم الاختـبار العظيم... ويبلوه به... فـإذا ثبت عنده ذلك ولم يزلْ يشكّ استوجبَ ان يبلـغ بفضل مولاه عليه وإحســانِه إليه أن يسمع من الباب علمَ مولاه صراحاً وكشفاً وعياناً».

ثم يتـدرّح المؤمنُ ويتـرقّى في البشـرية من مـرتبةٍ إلـى مرتبـة على الشكل الآتي: «من مـرتبة اللاّحقِ إلى المسـتمِع إلى السائحِ إلـى المقدَّسِ إلى الروحاني إلى الكروبي إلى المقرَّب إلى الممتحنِ إلى المخلص إلخ... حتى يصل إلى درجة اليتيم. فيعلِّمه علمَه ويتسـبّبُ به إلى الباب فيَظهرُ له البابُ فيعرّفه بحقِّه ويُعلِّمــه ويؤدِّبه ويوجده معرفتَـه ويتسببُ به إلى الحجـاب، فيَظهَر له ويوجد معرفَته، فعند ذلك يكون قد بلغ إلى درجة الصفا».

«والشاهد بذلك قولُ اللّه تعالى: «فَإذا بَلَغَ الأجَلَـين لا يَتَقَدَّمُونَ سَاعَةً ولا يَتَأخَّـرُونَ سَاعَة»[٢٩]، و«الأجَلَين»: الباب والحجـاب. فإذا بلغ المؤمن إلى الحجاب أوصله الحجابُ إلى المعنـى، فيَظهر له المعنى، ويمكّنه من النظر إليه بحسب ما يستحقّه. ولا يكونُ يغيب عنه ساعةً واحدة. ويكشف له عن نظرِه حتى ينظرَ حـسناتِه وسيِّئاته،. فإذا نـظرها وجدَ سيِّئاتِه قـد تمحّصتْ عنه، وحسناتِه توفّرتْ عليه.

«فـيـذكـر في ذلك الوقت أخًـا من إخـوانه في دار الدنيـا كـان يودّه ويصافيه، فـيقول له: يا ربّ! قد تفضّلتَ ولخّصتَ وصـفّيتَ وخلّصتَ عبدَك من دارِ الدنيا والحـقيقـة في عالَم سمـائِك، ووفرّتَ على عبـدٍ حسناتِه. وأنا أسـألـكَ أن تهبَـها لي أهبُـها لأخي فـلان في دار الدنيا ليـصيـر بها مـثلي، فـيضـحَكُ مولاه منه ويقـول: تكرّمتَ علينا يا عـبدَنـا سنخلّصه ونصـفّيـه ونخلصــه من دار الدنيـا، ونجعله مـثلك، ونرفـعُـه، ونوفّرُ عليـه حـسناتِه، فيصفِّي اللّهُ عزّ وجلّ ذلك العبدَ بسؤالِ أخيه».

---

(٢٩) لا وجود لهذه الآية في القرآن؛ بل فيه ما يشبـهها: «فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» (٧/ ٣٤؛ ١٠/ ٤٩؛ ١٦/ ٦١؛ ٣٤/ ٣٠).

«فـيـبـقى على المؤمن أن يسـأل باريه أن يكـشفَ له عن نظره حـتى يشاهدَ العـالَمَ العلوي والسفلي والسـموات والأرضَ حتى لا يغـيب عنه منه شيء، ولا قليل ولا كثـير، ويهبَ له نفسَه ويحكِّمَـه فيها حتى يـصيرَ المؤمنُ عند ذاك يرقى إلى السمـاء متى شاء ويهبط إلى الأرض مـتى شاء، ويشرق إلى الشرق ويغـرب إلى الغرب متى شاء، ويرتفع عنه مـؤنةُ الأكلِ والشرب والاهتمام بشيء من الأشـياء، ويصير كـوكباً درّيًا مُعَرّى من جـميع ما في البشريّة، ويصير له المشيئةُ في نفسه.

«والشـاهد بذلك قول اللّـه تعالى: " وقـالُوا: الحَـمدُ للّهِ الذي صَـدَقَنا وعدَه وأورَثَنا الأرضَ نَتَـبَوَّأ مِن الجَنّةِ حـيثُ نَشاء، فنِعْمَ أجْـرُ العَامِلِين»[٣٠]. فبيّنَ إذًا لهم المشيئة في نفوسهم لا في غيرها»[٣١].

وفي «كتابِ الهفْتِ والأظلّة» أيضاً وصفٌ لترقّي المؤمنِ من مرتبة إلى مرتبة، وتعـيينٌ للحدّ الذي ينتهي إليه. يقول: «حـدُّ انتهاءِ المؤمن... إذا ارتقى المؤمنُ في درجةِ الأبواب حتى يصيروا ملائكة، ويرفع عنهم الأكلَ والشربَ والاهتمام بـتلك الأشياء ويرتقون إلى السـماءِ وينزلون إلى الأرضِ على أي صـورة شاء.

«وإنَّ في الأرضِ عددًا كثيراً تخاطبونَهم ويخاطبونكم ولا تعرفونهم، وقد رفعَ اللّه عنهم القـيودَ والأغلالَ التي كـانتْ عليهم، وكفـاهم مؤنة الأكلِ والشـرب، وهم يسعـون في الأرضِ على صـورةِ بني آدم، لا يَهـتَمُّـون ولا يغتمُّون، وإنّهم يحضرون في مجالسِ الذّكر، ويكلّمون الناسَ ولا ينكرونهم. فإذا شـاؤوا أن يصعدوا إلى السـماء صعـدوا، أو يبقـوا في الأرضِ فلهم ما يشاؤون. وإنّ الرجل منهم ليُـرى اليومَ في المشرق ويُرى كـذلك في المغرب. قد أعطاه اللّه من القدرة كلّ هذه المعاجز.

---

(٣٠) سورة الزمر ٣٩/ ٧٤.

(٣١) رسالة البيان، ص ٥٨ب-٦٠ب.

«فـعلى هذا يرتقي المؤمنون درجـةً درجة، وفـضيلةً فـضيلة، حـتى يصيروا في السماء ملائكةً وينـزلوا إلى الأرض ويرجعوا إلى السماء... فإنّ المؤمنَ، إذا بلغ الدرجاتِ في العلم والعمل، انتـهى وصفا وخلص، وارتفع من الأكلِ والشربِ والاهتمام والآفاتِ مـن الطبائع، وصار مَلَكًا من الملائكة. كلّما أحبَ أن يُرفعَ إلى السماء عـرج، وكلّما أحبَّ أن ينزل إلى الاض نزل. ويقول المترقّي في الدرجـات: «نعمْ أنا، لا تعجب من تنقّلي من صـورة إلى صورة، فإنّني مؤمن مثلك، لكنّني قد بلغت وانتهيت»[٣٢].

***

يبدو من هذه النصوص أنّ المؤمن يستطيع الترقّي من آخر درجة في البشـرية إلى أعلاها في النورانيّة. يبـقى أنّه لا يستطيع الوصـول إلى رتبة المعنى نفسه، بل يستطيع أن يتـأمّل في المعنى وأن يطلبَ منه أيَّ شيء، مهما كان ذلك صعباً مستصعباً. ويقال له عند ذلك إنّه أصبح مشيئةً في نفسه، أي أنّه يسأل ما يريد، ويحصل على ما يريد.

وعندما يصل إلى رؤية نفسه كمشـيئة تكون عندئذ المشاهدةُ الإلهيّة. وهذا الترقّي يعتمد على تأويل آية قرانيّـة تقول: «وَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ»[٣٣]، أي أسبابِ السموات والأرض.

---

(٣٢) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٦١–٦٥.

(٣٣) سورة ص ٣٨/ ١٠؛ وسورة غافر ٤٠/٣٦–٣٧.

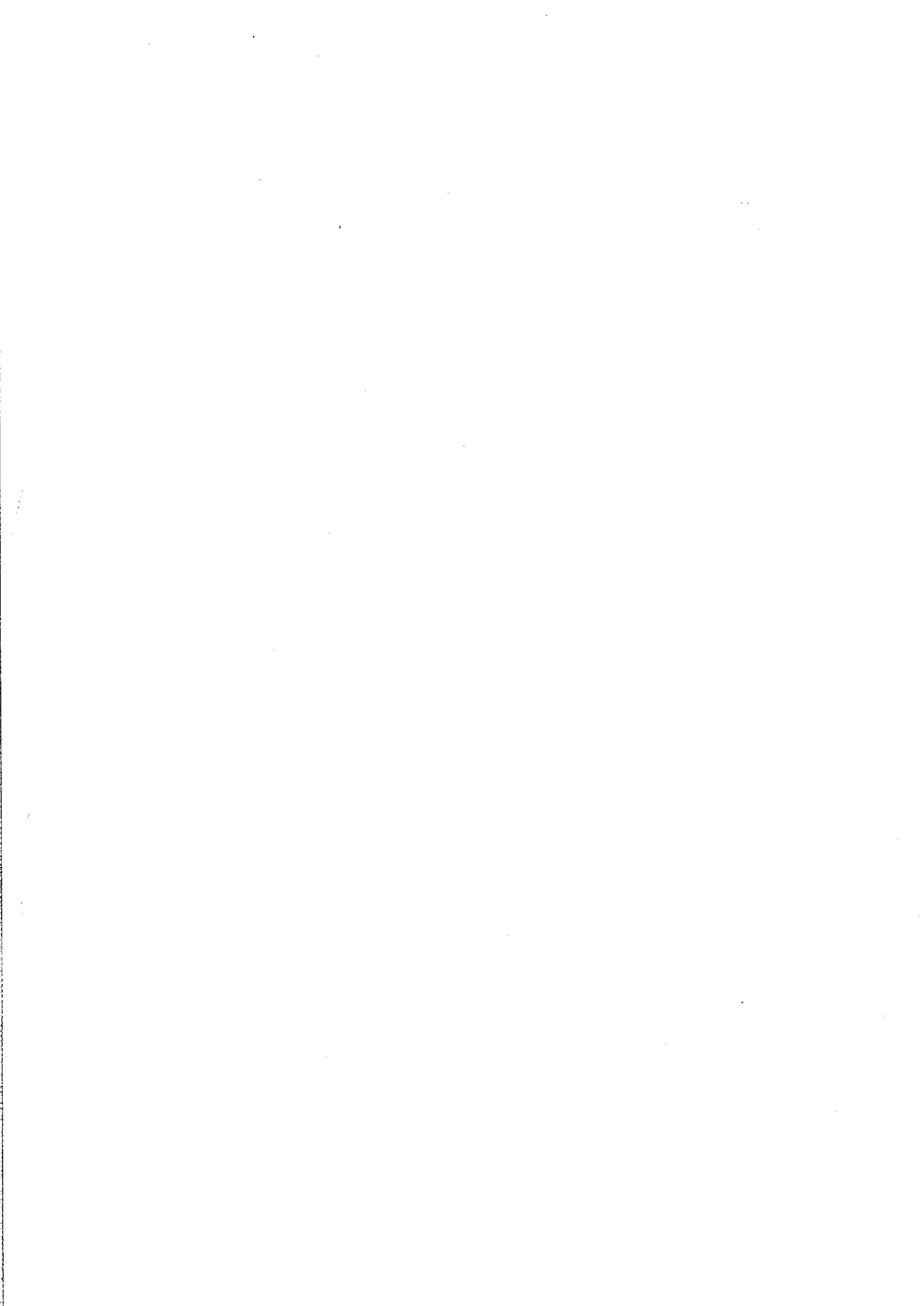
الفَصل السَادِس

النَصَيرِيّة والبَاطِنيّة

أوّلاً : الباطنيّة بوجه العموم

ثانياً : علم الباطن وعلم الظّاهر

ثالثاً : التقيّة



أوّلاً – الباطنيّة بوجه العموم

الباطنيّـة، في الأساس، حـركةٌ فكريّة إسلامـيّة تميّـزُ في القرآن بين عِلْمين: علم الظاهر وعلمِ البـاطن، أي علم التنزيل وعلم التـأويل. وهي تأخذ بالثاني من دون الأوّل، إذ تعتبرُ علمَ التنزيل والظاهرِ لـعامّة الناس، فيما علمُ التأويلِ والباطن للخاصّة. والباطنيّة من الخاصّة، أو تعتبر نفسَها كذلك.

والشّيعة عامّة، في مختلف فـرقهم، يعتبرون أنفسَهم من أهل الباطن. ولهـذا يعتـمدون اعـتمـادًا كلّيًـا على تأويلِ القـرآن وتفسـيره والعـمل في استخلاص مـعانيه الحقيقـيّة. وهذا العلمُ عندهم، منوطٌ بالإمام، الذي أُعطِيَ له، وحدَه، بعلمٍ خاصٍ وبوحيٍ إلهيٍّ، مهمَّة تفسيرِ القرآن وتأويله، أي العودة به إلى المعنى الأوّل، أي الحـقيقي. فـإذا كانتْ مهـمّةُ النبيّ تنزيلَ الشـريعة، فمهمّةُ الإمامِ أن يكونَ عليها وصيًا، ولها حافظاً، ومفسِّراً، ومؤَوِّلاً.

والقـرآن نفسُـه أوجبَ هذين العِلْمَين، لأنّ فيـه آياتٍ مُحْكَمَـاتٍ يُدرِكُ معانيها عامّةُ الناس، وآيات مُتَـشَابِهَات لا يدركُها إلاّ العلماء. قال: «هُوَ الّذي أنْزَلَ علَيكَ الكتابَ، منهُ آياتٌ مُحكَمَاتٌ هُنّ أمُّ الكتَابِ، وأُخَـر مُتَشَابِهَاتٌ. فأمّا الذين في قلوبِهم زَيْغٌ فيَـتّبِعُونَ مَا تَشَـابَهَ مِنهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَة وابْـتِغَاءَ تأويلِهِ. ومَا يَـعلَمُ تأوِيلَهُ إلاّ اللّهُ. والرَّاسِخُـون في العِلْم يَقُـولونَ آمَنَّا بهِ كُلٌّ مِنْ عندِ رَبِّنَا. وما يَذَّكَّرُ إلاّ أُولُو الألْبَابِ»[١].

والبـاطنيّـة هم الذين يـدركون «الآيـاتِ المُتَـشَـابهـات» التي هي من خصـائصِ الأئمّة. وهؤلاء أعطَوا مهمّتـهم هذه للعلماء من شيعتهم. حدث، في

(١) سورة آل عمران ٣/٧.

تاريخ المسلمين، خـلافاتٌ عظيمـةٌ حول هذه المتشـابهات: فالّذين أخـذوا بها على ظاهـرِها لا يَخْلُون من وصـمـة الكفـر؛ والذين أدركـوا باطنَـهـا هم «الخاصّة» أصحابُ التوحيد، وأهل الحقّ واليقين.

هذا الخلافـات أدّت إلى محنٍ كادتْ تقضي على الإسـلام. وليس شرٌّ شرّاً من مـحنةٍ تعمل في الداخـل. فالمعتـزلةُ، حفْظًا لعـدلِ اللّه ووحدانيّـته، أخذتْ بتـأويل «المتشـابهات» كلّهـا؛ وأهلُ السلَف، حفْظًا لقـدسيّـة الحرف، أخذوا بالآياتِ على ظواهرها؛ والأشعريّـةُ، حِفظًا لوَحدةِ الصفِّ، عرجتْ بينَ بينَ، أي: بين الباطنِ والظاهر.

وراح بعضُ الشيعـةِ بعيدًا جدّاً في التأويل، ورأى في القـرآن معانيَ لم تخطرْ ببـال. لكأنَّ القرآن أصبحَ قُـرآنَين: قرآنٌ للعـامّة، وقرآنٌ للخـاصّة. و«الخاصّةُ»، في التاريخ، هم الشيعة كلّهم. و«العامّة» أهل السنّة كلّهم.

مَن يمتهنُ التأويلَ لا يعجزه أن يجدَ في القرآن ما يَشاء. فهو يجد فيه، مثلاً، كلاماً على ألـوهيّةِ عليّ بن أبي طالب في آيةٍ من سورة يس تقول: "أو ليسَ الذي خَلَقَ السمـواتِ والأرضَ بقادرٍ **عَلَى** أنْ يخلقَ مثلَهم"؟[٢]، فلفظة «**عَلَى**» يقرأونـها «**عَلِيّ**»، بالياء، لكـي يستنتجـوا منها أنّ عليّـاً قادر على أن يخلق مثلَهم»[٣]. ويجد أيضاً عقيدتَه في التناسـخ في قوله: "مِنْكم مَن يُتَوفَّى ومِنكُم مَن يُرَدُّ إلى أرذَلِ العمْر"[٤]. وغير ذلك من تأويلاتٍ تبعد كلَّ البعد عن مفهوم العامّة.

هذا التأويل البـاطنيّ المتطرِّف دفع بأهل السنّة إلى الدفـاع عن القرآن دفاعاً مـستميتاً. فـالقرآن كلام اللّه. ويستحقّ المـوت للدفاع عنه. وبالمقابل،

---

(٢) سورة يس ٣٦ / ٨١.

(٣) الباكورة السليمانية، ص ١١١-١١٢.

(٤) سورة الحج ٢٢ / ٥، أنظر كتاب الهفت والأظلّة، ص ٥٧.

دَفَعَ بالقائلين به، لحماية أنفسِهم من الاضطهاد والقهر، إلى الذهاب بعيداً في فهم عقائد الإسلام. لقد اشتدّ القهر على الباطنيّين، واشتدّتْ عصبيّة المقهورين، فراحوا يتستّرون ويكتمون تعاليمَهم، ويتعاملون بالرموز، ويتفاهمون بالألغاز، فنشأتْ من جرّاء ذلك فرقٌ باطنيّة وعلومٌ باطنيّة وحركاتٌ باطنيّة، تارةً تعلنُ عن نفسها، وطوراً تختفي وراء غيرِها، حتى ملأتْ مذاهبُهم أرضَ الإسلامِ.

فكانَ منهم السبئيّة والكامليّة والعلبائيّة والمغيريّة والمنصوريّة والخطابيّة والكياليّة والهشاميّة والنعمانيّة والنصيريّة والإسحاقيّة[٥]... وزد عليهم الحربيّة والجناحيّة والغرابيّة والذمّية والشريعيّة والنميريّة والبيانيّة والرزاميّة والمقنعيّة والحلمانيّة والحلاجيّة والعذافرة والسمنيّة[٦] وغيرهم، ممّا يضيق بنا ذكرهم...

بعضٌ من هؤلاء اشتدّ عليهم القهر فزالوا، وآخرون مارسوا «التقيّة» فقاوموا. ومِن الذين قاوموا واستمرّوا: الإسماعيليّة والنصيريّة والدرزيّة واليزيديّة والإثناعشريّة.

و «الذين أسّسوا دعوةَ الباطنيّة جماعةٌ: منهم مَيمون بن دَيصان المعروف بالقدّاح (٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) وكان مَولى لجعفر بن محمّد الصادق. وكان من الأهواز. ومنهم: محمّد بن الحسين الملقّب بدندان، اجتمعوا كلّهم... في سجن والي العراق، فأسّسوا في ذلك السجن مذاهبَ الباطنيّة، ثم ظهرتْ دعوتهم بعد خلاصهم من السجن... فدخل في دينه جماعةٌ من أكراد الجبل... ثم رحل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب... وادّعى أنّه من ولد محمّد بن إسمعيل... وأولاده اليوم مستولون على أعمال مصر»[٧].

---

(٥) الشهرستاني، الملل النحل ١/ ١٧٣-١٩٨.

(٦) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٣٠-٣٠٧.

(٧) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٨٢.

وهكذا استمرّ الباطنيّون واستمرّ عملهم، وانشقّوا عن المسلمين وانشقّوا هم أيضاً بعضهم عن بعض، فكان خطرُهم على المسلمين وعلى بعضهم بعضاً جسيماً جدًّا، حتى أبدع البغدادي في وصف خطرهم، فقال: «إنّ ضررَ الباطنيّة على فِرَق المسلمين أعظمُ من ضررِ اليهودِ والنصارى والمجوسِ عليهم، بل أعظم من مضرّة الدهريّة وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجّال الذي يظهر في آخر الزمان... وفضائحُ الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر»[٨].

لئن خرجت النصيريّة، في تاريخ الإسلام، عن الباطنيّة، واقتصر إسم «الباطنيّة» على الإسماعيليّة دون سواها. ولكنّ ذلك، لم يمنعها من أن تعتمد كغيرها على تأويل القرآن والأخذ بباطن الآيات دون ظاهرها؛ حتّى اعتُبِرت، بسبب خروجها عن الإسلام، ديناً مستقلاً، ذا عقائد وتعاليم خاصّة.

(٨) المرجع نفسه، ص ٢٨٢.

ثانياً – علم الباطن وعلم الظاهر

يعتمد النصيريّونَ في القولِ بالباطن والظاهر على القرآن الذي يُجيزُهما معاً. فهو يقول: «ومِن كلِّ شيءٍ خَلَقنا زوجَين اثنَين»[٩]، أي إنّ اللّه خلقَ من كلِّ شيءٍ ذَكَرًا وأنثى، وخلقَ من العلوم ظاهِرًا وباطنًا. ويقول أيضاً: «وأسبَغَ عليكم نعَمَهُ ظاهِرةً وباطنةً»[١٠]، أي عند اللّه نِعَمٌ باطنة يعطيها للخاصّة، ونِعَمٌ ظاهرة يعطيها للعامّة.

ويقول أيضاً: «ضُربَ بينهم بِسُورٍ، له بابٌ، بَاطِنُه فيهِ الرحْمةُ، وظاهِرُه مِن قِبَلِهِ العَذاب»[١١]. في هذا القول تفضيلٌ واْضحٌ للباطن على الظاهر، أي مَن يأخذ بالظاهرِ يصيبُه العذاب، ومَن يأخذ بالباطنِ يجدُ الرحمة. ثمّ مَن لا يكمّل علمَ الظاهرِ بعلمِ الباطن يبقى دونَ رحمةِ اللّه، أي دونَ معرفتِه معرفةً حقيقيّةً[١٢].

---

(٩) سورة الذاريات ٥١/ ٤٩.

(١٠) سورة لقمان ٣١/ ٢٠.

(١١) سورة الحديد ٥٧/ ١٣.

(١٢) كثيراً ما يستشهد الدروز بهذه الآية ليستدلّوا منها على ثلاثةِ مذاهب أو ثلاثة علوم: مذهب أهل التنزيل (السنّة) وعلمُهم الظاهر، ومذهب أهل التأويل (الشيعة) وعلمُهم الباطن، ومذهب أهلِ التوحيد (الدروز) وعلمهم التوحيد. يقول الدروز في تفسير هذه الآية: «باطنه فيه الرحمة»، فدلّ بان الرحمةَ غيرُ الباطن... الناطق (محمّد) صاحب الظاهر والاساس (علي) صاحب الباطن، والقائم (حمزة) صاحب الرحمة» (رسالة الشمعة، رقم ٣٨ من رسائل الحكمة، ص ٢٧٩).. وفي مكان آخر من رسائل الحكمة يقول الدروز في تفسير هذه الآية: «فدلّ بانّ الظاهر من قِبَلِه العذاب، وأنّه وصاحبه (محمد) عذاب، والباطن فيه الرحمة. ولم يقل هُو الرحمة... فدلّ بأنّ الباطن يدلّ على الرحمة، وهو القسم الثالث في الدين» (كتاب فيه تقسيم

فالـباطن والظاهر إذاً همـا شرطان أسـاسيّـان في الدِّين. وبالنسـبة إليهمـا يتوزّع المؤمنون بين خاصّة وعـامّة، وبين عقّال وجـهّال. شروط أهل الباطن العرفانُ والتـفرّغ لعبادة اللاّهوت في حقيـقتهِ، وشروط أهل الظاهر القيـام بما توجبـه الشريعـة والممارسـات الخارجيّـة. وليس على هؤلاء أن يطمعوا بما لأولئك من علم وعبادة؛ لأنّهم غير مؤهّلِين لذلك.

يصـعـب على أهل الظاهر أن يـصـبـحـوا من أهل البـاطن. فـعند الإسمـاعيليّة مثـلاً يقتضي عبـور تسع مراتب[١٣]، أو «سبع دعوات يندرج الإنسان فيـها حتى ينحلَّ عن الأديان كلِّهـا، ويصير معطِّلاً إباحـيًّا، لا يَرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً، ويرى أنّه وأهلَ نحلتـه على هدىً، وجميعَ مَن خالفهم أهلُ ضلالة»[١٤]؛ وعند الدروز لن يتسلّم الـدِّينَ إلاّ من بلغ الأربعين، ومارس على نفسـه القهر والعـزلة والتقشّـفات؛ وفي النصيـريّة يسلَّم الدِّين لمن بلغ سنّ الرشـد، أي الخامسـة عشـرة أو الثامنة عـشرة[١٥]، بحسب اخـتلاف العشائر.

أمّا مفهوم الباطن والظاهر، عند النصـيريّة، فكما جاء في كتاب تعليم الديانة:

سؤال: ما هو الباطن وما هو الظاهر؟

جـواب: إعلَم أنّ لفظة البـاطن تدلّ على لاهوت مـولانا، والظاهر يدل على إنسـانيّتـه. ففـي الظاهر نقول: مـولانا عليٌّ بن أبي طالب؛ ومـعناه في

العلوم، رقم ٣٦ من رسائل الحكمة، ص ٢٦١).

(١٣) أنظر البـغدادي الذي يعدّها كـما يلي: ألتـفرّس، والتـانيس، والتشكيك، والتـعليق، والربط، والتـدليس، والتـأسـيس، والمواثيق بالايمان والـعـهـود، وآخـرها الخلع والسلخ» (الفرق بين الفرق، ص ٢٩٨ وما يلي).

(١٤) ألمقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار...

(١٥) أنظر في هذا البحث الفصل الخاص بـ «تسليم الدين».

الباطن: ألمعنى والإسم والباب، وهو اللّه الرحمن الرحيم»[١٦].

ألظاهر إذاً هو القول بأنّ علياً هو أمير المؤمنين، وُلدَ من أبي طالب، وتزوّج من فاطمة بنت النّبيّ، وله منها ثلاثة بنون: ألحسن والحسين والمحسن... والباطن هو القول بأنّ عليًا هو اللّه، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له زوجٌ أو صاحبة، ولا ضدّ ولا نَدّ.

هذان الموقفان من عليّ نجدهما في كتاب المجموع الذي يخاطب عليًا على طريقته، فيقول: «ظاهرك إمامي ووصيّة، وباطنُك معنوي ولاهوت»[١٧]. وبحسب قول الصادق: «مَن عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر»[١٨]، أي من عرف علياً إلهاً معبوداً، لم يعد بحاجة إلى معرفته إنساناً مخلوقاً. بل مَن توصّل إلى معرفة اللاّهوت كفاه ذلك من كلّ قولٍ أو عملٍ في الظاهر.

فالعقيدة الأساسيّة عند النصيريين إذاً هي أن تقول مع عامّة المسلمين: «اللّهُ الرّحمنُ الرّحيم»، وتفهم بها: «ألمعنى الإسم الباب». فاللّه هو المعنى، والرّحمن هو الاسم، والرحيم هو الباب. وهكذا يتمّ الاعتقاد بـ «عمس»، ألثالوث النصيري. والحجّة على هذا التأويل أنّ كلا التعبيرَين يتألّف من عددٍ متساوٍ من الحروف، أي كلاهما ١٦ حرفاً.

وعن محمّد بن سنان عن الصّادق وقد سأله عن حروف «لا إله إلاّ اللّه»، قال: «أنْحلَها المعنى لاسمِه، وأنْحلها الاسمُ لسَلمان. وأنّه (أي سلمان) أوّل مَن قالها عند نظره إلى مولاه (علي) بالصورة الذّاتيّة الأنزعيّة... لمّا أراد مولانا إظهارَ قدرته عَقَدَ ذاتيَّته وأقام سَلمانَ مثل ما أقام إسمه. وقال: يا

---

(١٦) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٩٨.

(١٧) السورة السادسة واسمها السجود من كتاب المجموع.

(١٨) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٥٩.

سلمان تعرفني؟ وقد ظهر له بالصورة الهاشميّة العَلَوية. قال: نعمْ، أنتَ اللّه، لا إله إلاّ أنت، الأزَل القديم، ربيّ وربّ الخلائق أجمعين.

ثمّ ظهر بصورة الحَسَن وسائر الصور الإماميّة، فكان كلّما ظهر المولى لسَلمان يقول: يا سلمان تعرفني؟ يقول: نعم يا مولاي، أنتَ أنتَ يا مولاي، لا إله إلاّ أنتَ الأزَل. ويسجد عند كلِّ ظهورٍ سجدةً حتّى سجدَ اثنتَي عشرة سجدة. وكان كلّما سجد سجدة أنْحَله حرفًا، فتمّتْ إثنا عشر حرف لإثني عشر سجدة، وهي حروف: لا إله إلاّ اللّه (١٢حرفا) وهي واقعة على: علي محمد سلمان (١٢ حرفاً)، و أمير المؤمنين (١٢ حرفاً). و لا إله إلاّ اللّه فهو المعنى... فمن عرف: لا إله إلاّ اللّه بهذه المعرفة ظاهراً وباطناً فهو من أصحاب أمير المؤمنين».(١٩)

بهذا يكون القول بالظاهر، أي الأخذ بالقرآن، ضروريًا للإيمان بالباطن. أي إنّ الاعتقاد بإمامة علي ضروريٌّ للاعتقاد بألوهيّته. فالواحد يكمّل الآخر. ومن وجدَ خلافاً فهو، لا محالة، يتّبع هواه. والقول بهما معاً يحتّم الأخذ بمبدأ «التّقيّة»، وهي العقيدة الأخرى الناجمة عن الباطنيّة. قال الصادق: «وجدنا الباطن ممازجاً ملائماً للظاهر، لا اختلافَ بينهما إلاّ باتّباع الهوى والميل إلى الرأي والقياس»(٢٠).

---

(١٩) كتاب المناظرة، ص ١٣٠ أب.

(٢٠) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٢٩.

ثالثاً - التقيّة

«في لبنان (قضاء عكّار) يوجد ألوفُ العلويين، ولكنّهم قيّدوا أنفسهم في إحصاءِ النفوس، سنِّيِّين، وذلك بناءً على نصيحةِ بعض رؤساء العلويّين (في محافظة اللاّذقية) لهم، كما كان ذَكَر لي ذلك هذا الرئيس بوقته»[٢١]. هذا التصرّف هو قمّة السلوك النصيريّ. وهو يستند إلى ما عند الشيعة، عامّة، من «تقيّة»، التي هي شرطٌ واجبٌ في الدّين.

ألتقيّة، بحسب الشيعة، «نطَقَ بها القرآنُ الكريم، وجوّزها الشارعُ الحكيم، في أفظعِ وأعظمِ شيءٍ يُتَصوّر في موالاةِ الكفّار، وإظهارِ كلمةِ الكفر، ومدحِ الأصنام، وسبِّ الرسولِ الأعظم... وعيبُ التقيّة ليس على الشيعة الذين حَفِظوا بها دماءَهم وأموالَهم وأعراضَهم؛ بل عارُها وشنارُها وَوَبالُها على مَن اضْطُرَّ الشيعةَ إليها»[٢٢].

واعتمدَ الشيعة في وجوبِ التقيّة على آياتٍ من القرآن واضحة؛ لا تحتمل تأويلاً ولا تعليلاً.

قال الحسن الأمين: «التقيّة... عبارةٌ عن إظهار خلافِ المعتقَد، بقولٍ أو عمل، عند الخوفِ على النفس أو العرضِ أو المالِ. وهذا ممّا قضى به العقل، وحكم بجوازه الشرع، حتى جوّز إظهارَ الكفر، بقوله تعالى: «إلاّ مَن أُكْرِهَ وقَلْبُه مُطمئنٌّ بالإيمان»[٢٣]، وقوله: «إلاّ أنْ تَتَّقُوا منهُم تُقَاةً» [٢٤]، وقوله:

(٢١) منير الشريف، المسلمون العلويّون، مَن هم وأين هم؟ ص ١٢٣.

(٢٢) الحسن الامين، الشيعة بين الحقائق والأوهام، ص ١٨٥.

(٢٣) سورة النحل ١٦/١٠٦.

(٢٤) سورة آل عمران ٣/٢٨.

«وَقَالَ رَجلٌ مؤمِنٌ مِن آلِ فِرعَون يكتُمُ إيمَانَهُ»[٢٥]، وقوله: «وَلا تُلقُوا بأيدِيكُم إلى التَّهْلكَة»[٢٦].

معنى الآية الأولى: إنّ مَن كان مؤمناً، وأُكرِه على التلفّظ بالكفر فتلفّظ به، وكان قلبُه مطمئنًا بالإيمان، فال خوفَ عليه من الكفر. ومعنى الآية الثانية: إنّ المؤمنين الذين يوالون غير المؤمنين خوفاً منهم، يجوز لهم موالاتهم باللّسان دون القلب. ومعنى الآية الثالثة: إنّ الرجل المؤمن يستطيع، خوفاً من رجلٍ ظالمٍ، أن يكتم إيمانَه، ويُعلِنَ الكفر. ومعنى الآية الرابعة: إنّه على المسلم ألاّ يُلقي نفسَه إلى الهلاك، إذا ما استطاع أن يردّه عنه؛ بل عليه، في هذه الحال، أنْ لا يقاوم الشرَّ الذي يقوى عليه.

وسببُ التّقيّة كثرةُ الاضطهادات التي لحقتْ بالشيعة. قال الأمين أيضاً: «وإنّما اشتهرَ الشيعةُ بالتقيّة دونَ غيرهم لكثرة ما جرى عليهم من الظلم والاضطهاد، وحصل لهم من الخوف، فكثر عندهم استعمالُ التّقيّة، واشتهروا بها دونَ غيرهم»[٢٧].

والأخذ بالتقيّة لمَا يجوّزُه العقلُ: «إنّ الاضطرارَ يُبيحُ المحرَّمات بضرورة شرع الإسلام، فيُحِلّ للمضطرّ أكلَ الميتة لحفظِ حياته، ويحلّ لمسَ بدنِ الأجنبيّة لإنقاذها من الغرق، ويسوّغ الكذِبَ –وهو من الكبائر– لمصلحةٍ لا تبلغ الاضطرار، كالإصلاحِ بين الناس. ويجب (الكذبُ) لحفظِ نفسٍ محترمة، إلى غير ذلك ممّا لا يحصى.

«وليستِ التّقيّة إلاّ نوعاً من الضرورات لحفظِ الدمِ والمال والعرض. ومن العجب أنَّ خصومَنا (السنِّيّين) يتّقون إذا ابتُلوا بما دون الخوف على

(٢٥) سورة غافر ٤٠/ ٢٨.

(٢٦) سورة البقرة ٢/ ١٩٥. الحسن الأمين، ص ١١–١٢.

(٢٧) الحسن الأمين، ص ١٨٥.

النفس، ويشنّعون علينا إذا اتّقَينا عند الخوفِ على أنفسنا»[٢٨].

هذا عند الشيعة بالعموم. أمّا عند النصيريّينِ فربّما يكونُ الأخذُ بالتّقيّة أشدَّ وأخطر. فهؤلاء يعتبرون إفشاءَ الحقيقة «سُمٌّ قاتل»؛ وهتكُ حرمةِ سرّهم يؤدّي بهم إلى المسوخيّة. ومنَ لا يتّق سرَّه وحقيقَته يكن بريئاً من اللّه والدين.

جاء في كتاب تعليم الديانة النصيريّة عن ضرورة التقيّة ما يلي:

«سؤال: ما هو سرّ إيمان الموحِّدين الذي هو سرّ الأسرار وعقيدة الأبرار؟

جواب: هو سرّ التِنْتَين، وهو معرفة اللّه بالحقيقة، وهو سرٌّ كريمٌ، وخطابٌ عظيمٌ، وعِلمٌ جليلٌ، وخطر ثقيل؛ فلا تحمله الجبالُ لعظم محلّه وشرفه، وهو الترياقُ الشافي لمن حفظه أو دان به واتّقاه، والسمُّ القاتلُ لمن إلى غير أهله كشَفه وفشاه، وهو سرُّ احتجابِ مولانا في النّور، أعني عينِ الشمس وظهورِه في عبده عبدِ النور[٢٩].

سؤال: ماذا يحلّ بالذي يعرفه ويداخله به شكّ أو ريب؟

جواب: يكون من المبدِّرين الذين هم الكافرون إخوان الشّياطين، ويستحق المسوخيَّة والسلوكَ في القمصان الرديّة الدِّنيَّة، ويُذيقه اللّهُ حَرَّ الحديد وبردَه.

سؤال: ما هم الشروط الواجب على المؤمن حفظهم عند قبوله سرّ الأسرار؟

جواب: الأمر الأوّل الواجب عليه هو أن يُفرِغ جهدَه بمحافظة إخوانه ومراعاتهم ومداراتهم والمواظبة على تفقّدهم وبرِّهم وصلاتهم. وجميع ما

---

(٢٨) الحسن الأمين، ص ١٨٩.

(٢٩) «عبد النور» هي الخمرة التي بها يظهر علي ويتجسّد للنصيريين...

يرضاه لنفسه يرضاه لهم، ويجعل خُمسَ مالِه حلالاً مطلقاً لهم في كلِّ عام، ويُقيم الصلاةَ في أوقاتها، ويؤدّي الزَّكاةَ إلى أهلها، ويواظبُ على عمل المفترضات، ويسارعُ في إقامة الحقوق والواجبات، ويكون لسيّده مُجيباً داعياً شاكراً ذاكراً أميناً في جميع ما يقدر عليه ويرضاه، ويتجنّب كل ما يكرهه له من البواطل.

سؤال : ما هو الأمر الثاني الواجب امتناع المؤمن عنه عند قبوله سرّ الأسرار؟

جواب: إعلم أنّ مِن الواجب عليه التحرّص عن مظالم إخوانه، ولا يتعدّى على أحدٍ منهم، ويتجنّب خطأهم، ولا يخالف رضاهم، ويحذر إساءتهم.

سؤال: هل يمكن للمؤمن أن يبدي لأحد بسرّ الأسرار؟

جواب: إنّه لا يمكنه أن يبدي به لأحد من الناس سوى لأخٍ من إخوانه، وإنْ فعل غيرَ ذلك يكون بريًا من اللّه وكتبِه ورسلِه»(٣٠).

وفي كتب النصيريّة جميعها هذه الوصية لكلِّ نصيريّ: «لا تكاشفْ به أهلَ الضّلال. وكن لهم حزراً. ولا تكتم إخوانَكَ ما تعلمه، ولا تضنّ عليهم ما تفهمه»(٣١)... وأيضاً: «أُوصي نفسي بكتمان سرّ اللّه تعالى، وباطنِ مكنونه، فهو لبّ الألباب، إلاّ مِن إخوانك الموحِّدين المقرَّبين بمعرفة العليِّ الأعلى»(٣٢). وقال الصادق: «يرحمك اللّه. أُكتُمْ سرَّ ما أودعتُك مِن مكنونِ سرِّ اللّه وحدَه»(٣٣). وقال أيضاً: «أُسترْ ما كشفناه إليكَ مِن علْمِ اللّه الذي ستَره من ملائكته. يرحمك اللّه»(٣٤).

---

(٣٠) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٨٢-٨٥.

(٣١) رسالة التوحيد، ص ٤٨ ب.

(٣٢) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٦٥.

(٣٣) المرجع نفسه، ص ١٧٢.

وأقوال الصادق في وجوب ممارسة التقيّة عديدة. قال ممّا قال: «التّقيّة دينُ اللّه، والتحصينُ سيفُه، ولولاهما ما عُبِدَ اللّه». وقال: «ما عُبِدَ اللّه بأحسن من التقيّة». وقال: مَثَلٌ طالبِ الآخرةَ كَمَثَلِ أهلِ الكهف ستروا الإيمانَ وأظهروا الكفرَ فآتاهم اللّه أجرَهم مرّتين». وقال: «ألتّقيّةُ واجبةٌ على كلِّ مؤمن، كما جاء بالقرآن الكريم: «أن يَصبروا وَيَتَّقُوا فإنَّ ذلكَ مِن عزْمِ الأمور»(٣٥)، وجاء أيضاً: «إصبروا وصابروا ورابِطوا وَاتَّقُوا اللّهَ لعلّكم تُفلِحون»(٣٦).

وقال الصادق أيضاً: «حصْنُ المؤمن التّقيّة، وسيفُه التخلّص من وسواسِ النفس». وقال: «مَن لم يسترْ سرَّنا فإنّه لم يحفظِ الأمانة». وقال: «ألمؤمنُ لا يُرفَع إلى المقام الأعلى إلاّ بأربع خصال: الأمانة والأدب والصدق والتَّقِيَّة»(٣٧).

فالتقيّة، إذاً، بمفهوم النصيريين، هي: دين اللّه، وحصن المؤمن، وضمانة الآخرة. وهي واجبة، لأنّها تحمي سرَّ العقيدة، وتكتمَه عن مدارك العامّة، وتؤدّيه كأمانة إلى أصحابها، كما جاء في القرآن: «إنّ اللّهَ يَأمُرُكُم أن تُؤَدّوا الأمانات إلى أهلِها»(٣٨). فكلُّ شيء، في النّصيريّة مغمورٌ بالسرّ، على ما جاء في أقوال الصادق: «قضيّتُنا سرٌّ في سرّ، سرٌّ أمرٍ دائمِ الستر، سرٌّ لا يَكشفُ عنه إلاّ سرٌّ آخَر، إنّه سرٌّ على سرٍّ، يكتفي بسرّ». وكما قال عليّ زَين العابدين الإمامُ الرابعُ شِعرًا:

إنّي لأكتُمُ مِنْ عِلْمي جَواهِرَهُ كيلا يَرَى الحقَّ ذو جهلٍ فَيَفْتُنَنا

---

(٣٤) المرجع نفسه، ص ١٧٥.

(٣٥) سورة آل عمران ٣/١٨٦.

(٣٦) سورة آل عمران ٣/٢٠٠.

(٣٧) كتاب «الحكم الجعفرية للإمام الصادق جعفر بن محمّد»، جمع وتحقيق عارف تامر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت سنة ١٩٥٧.

وأوجبُ ما في التّقيّة، لا سترُها وكتمانُها فحسب، بل التمويهُ والتدليسُ، أي الكذب. وقد يكونُ ذلك أخطرَ من إخفائها. أن تتفوّه بغيرِ الحقيقة أمرٌ أكثرُ جسامةً مِن أن تسكتَ عنها. والنصيريّون بارعون بذلك. وبراعتهم هذه أوقفتْ عنهم القهر والاضطهاد، عبر تاريخهم الطويل، مِن أعدائهم الدّينيّين والسياسيّين.

هذه التقيّة، بحسبهم، أمَرَ بها اللّهُ منذ البدء. منذ البدء، وقبل خلْق العالمين، «قال اللّهُ لمحمّد: إنزلْ إليهم (إلى المؤمنين) ثمَّ حذِّرْهم من إبليس وذرّيته، فإنّهم أضمروا عداوةً للمؤمنين. وتقَدّمْ على المؤمنين بأن لا يُخَبّروا إبليسَ بخَلقِهم، ولا مِن أي شيءٍ خُلِقوا. وأمَرَهُم بالكتمان».

ويعلّق الصادق على هذه القصة بقوله: «فمِن هنا أُمرْتُمْ بالكتمان. وهو امتحانُ الطاعة والمعصية، لأنّ التّقيّةَ دِيني ودِينُ آبائي وأجدادي. ومَنْ لا تَقيَّةَ لَهُ لا إيمانَ له»[٣٩]. وقال أيضاً: «فدَخل الكتمان في الميثاق الذي أخذَه (اللّه) على الأنبياء والأوصياء... فقال: أستروا ذلك واكتموه، لمّا علم ما في قلوب الأعداء»[٤٠].

ويعتبر النصيريّون أنّ الجهادَ، الذي أمَرَ به الإسلام، ما هو إلاّ «إخفاء مذهبِهم عن غيرهم، ولا يُظهرونه ولو أصبحوا في أعظم الخطر، ولو خطر الموت»[٤١].

ثمّ إنّ العمل بالتّقيّة يؤدّي حتماً إلى «التظاهر بمذاهب جميعِ الطوائف. فإذا لقوا المسلمين يَحلفون لهم ويقولون نحنُ مثلكم نصومُ ونصلّي. (ولكنّ) الصوم يوجّهونه على الرضاعة. وإذا دخلوا المسجدَ مع المسلمين فلا

---

(٣٨) سورة النساء ٤/ ٥٨.

(٣٩) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٤٥-٤٦.

(٤٠) المرجع نفسه، ص ٥٢-٥٣.

يتلون من الصلاة شيئاً، بل يخفضون ويرفعون مثلَهم، ويشتمونَ أبا بكر وعمر وعثمان وغيرَهم، ويسمّون التظاهر في الطوائف بمَثَل وهو قولهم: إنّنا نحنُ الجسد وباقي الطوائف هم لباس، فأيَّ نوع يلبسُ الإنسانُ لا يَضُرّه، ومَن لا يتظاهر هكذا فهو مجنون، لأنّه ليسَ عاقلٌ يمشي عريانًا في السُّوق... متى باح (النصيري) بصلاته فقد خرجَ من مذهبه، لأنّه، هكذا يقول سيّدُهم الخُصَيبي: "مَن باح بشهادتنا فحُرِّمَتْ عليه جَنّتُنا"»[٤٢].

هذه التّقيّة أمرَ بها الدروز ومارسوها ولا يزالون[٤٣]. وسببها عند النصيريّين كما عند الدروز، هو، من دون شكّ، حِدّةُ الصّراع الذي كان بينهم وبين المسلمين. ولم يكن تمظهرهم بجميع الطوائف والأديان إلاّ للنجاة بنفوسهم من القهر والاضطهاد. ولهذا السبب بقيتْ في تقاليدهم وطقوسِهم وأعيادِهم بقايا من جميع الطوائف والملل.

بقي علينا أن نعرف كيف يعرف النصيريّون بعضهم بعضاً، إذا ما مارسوا التّقيّة بالدقّة والدراية المطلوبتَين.

ينقل إلينا سليمان الاذني العلامات التي بها يعرفُ بعضُهم بعضا:

ألعلامة الأولى:

---

(٤١) الباكورة السليمانيّة، ص ٢٥.

(٤٢) الباكورة السليمانيّة، ص ٨٢. يرد تشبيه «العاقل الذي يمشي عريانا في السوق... «في رسالة الردّ علي النصيري الفاسق رقم ١٥ من رسائل الحكمة، ص ١٦٨، ممّا يدلّ على صحّة معرفة حمزة بالنصيريّة.

(٤٣) قال نبيُّهم حمزة: «صُونوا الحكمةَ من غيرِ أهلها، ولا تمنعوها لمستحقِّها. فإنّ مَن منعَ الحكمة عن أهلها فقد دنّس أمانَته ودينَه. ومَن سلّمها إلى غير أهلِها فقد تغيّر في اتّباعِ الحقِّ يقينُه. فعليكم بحفظِها وصيانتِها من غير أهلها، والاستتارِ بالمألوف عند أهله. ولا تنكشفوا عند مَن غَلَبتْ عليه شقوتُه وجهلُه. فأنتم ترونَهم مِن حيثُ لا يرونَكم. وأنتم بما في أيديهم عارِفون. وعلى ما ألِفوه من زخرفِ قولهم مطّلِعون. وهم عمّا في أيديكم غافِلون، وعمّا اقتبستموه من نورِ الحكمة محجوبون. لقد أُخرِسُوا ونَطَقتُم، وأُبكِموا وسَمِعتم، وعَمُوا وأبصرتم، وجَهِلوا وعَرَفتم... فاحمدُوا

«إنْ أتى غـريبٌ إلى بين النصيـريّة يَسـألُهم ويقـول: لي قريبٌ، فـهل تعرفونه؟ فـيجيبون: مـا اسمُه؟ فيقولُ لهم: إسـمُه الحُسَين. فيجـيبوه: ابنُ حمدان! فيقول: الخُصَيبي».

والعلامةُ الثانية:

«يقـولون للغـريب: شَاشْ عَـمَّكْ كَمْ دَوْز؟ فـإنْ أجاب سـتَـةَ عَشَـر، يقبَلوه».

ألعلامةُ الثالثة:

«إنْ عطشَ عمُّك مِن أينَ تَسقيه؟ ألجوابُ: من عَين العَلَويّة».

ألعلامةُ الرّابعة:

«إنْ غَاطَ عمُّك فماذا تهديه؟ ألجوابُ: لحية معاوية».

ألعلامةُ الخامسة:

«إنْ ضاعَ عمُّكَ فأين تُلاقيه؟ ألجواب: بالنِسْبة[٤٤]».

ألعلامةُ السادسة:

«أربعـة وأربـعـتَين وثلاثة واثنَـين وقَـدرُهم مـرَّتَين فـي دينِكَ أين؟ ألجواب: بالمسافِرة[٤٥]».

سؤال: أقسِمْ لي إيّاهم:

جواب: منهم سبعة عشر عراقي، وسبـعة عشر شامي، وسبعة عشر مَخْفي.

«سؤال: أين يوجدون؟

جواب: على باب مدينة حرّان.

«سؤال: ما يعملون؟

جواب: يأخذون بالحقّ ويعطون بالحقّ».

---

(٤٤) النسبة، عنوان سورة في كتاب المجموع

(٤٥) المسافرة، عنوان سورة في كتاب المجموع.

الفَصْلُ السَّابعُ

الأعيادُ النصيريَّة

أولاً : ذكر أعياد النصيريّين

ثانياً : طريقة الاحتفال بالعيد

ثالثاً : الصلوات والقداديس



أوّلاً – ذكر أعياد النصيريّين

عند النصيريّين أعيادٌ عربية، وأعيادٌ نَصرانيّة، وأعيادٌ فارسيّة. نعتمد في ذكرها وتعدادها ومعناها على جملة مصادر، أهمّها «كتاب مجموع الأعياد» للطبراني[١]، ومخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ٦١٨٢[٢]، وكتاب «الباكورة السليمانيّة»، فنكوّن بذلك فكرة واضحة عن أعياد النصيريّين واحتفالاتهم وصلواتهم.

***

أمّا **الأعياد العربيّة** فمنها سنّيّة ومنها شيعيّةومنها خاصّ بهم. أهمّها:

١ – **عيدُ غدير خُمّ** في ١٨من ذي الحجّة، و«هو اليوم الذي أظهر السيّد محمّد فيه معنويّةَ مولانا أمير النحل منه السلام، للخاصّ والعامّ. فأقرّ مَن أقرّ، وأنكر مَن أنكر»[٣]. هذا العيد هو أكبر الاعياد عندهم، يحتفل به عادةً كبارُ الشيوخ. قال فيه الطبراني: «أمّا بعد يا ولدي، فَضْلُ يومِ الغدير وما جعل الله فيه من التشريف وما يجبُ على المؤمنين من العمل فيه. إعلمْ أنّه في شهر ذي الحجة وهو اليوم الثامن عشر في كلِّ سنة، وله فضلٌ كبير وشرفٌ عظيم، وأنّ السيّد محمّد دعا في هذا اليوم إلى مولاه و معناه، وهو يومٌ عظيمٌ شريفٌ كبيرٌ محلُّه. وفي هذا اليوم يقوم قائم آل بيت محمّد، وهو اليوم المشهود، يظهر المولى فيه ويكشف الغطاء ويعظمُ فيه الجزاء»[٤].

---

(١) عن هذا الكتاب أنظر في لائحة المصادر والمراجع.

(٢) عن الأعياد النصيريّة في ملحق على «كتاب تعليم الديانة النصيرية».

(٣)المخطوط ٦١٨٢، ص ٣٨ أ، أنظر الباكورة ، ص٣٤.

(٤) مجموع الأعياد، ص ٢٠ب.

في هذا العيـد يمتنع النصيريّون عن السـجود: «في كل اجتمـاعاتهم عند تلاوتهم سـورة السـجـود، يركعـون على الأرض. ولكن في يـوم عيـد الغدير، حين تلاوتها، يرفعون رؤوسَهم نحو السماء»[٥].

ذكَرَ اللّهُ في كتـابه هذا العيدَ يومَ قال لمحمّد: «يا أيُّهـا الرسول! بلّغْ ما أُنزل إليكَ مِن ربّك، فإنْ لمْ تفـعلْ فما بُلّغتْ رسـالاتُ ربّك. واللّهُ يَعـصمُكَ من الناس»[٦]. فقـال: فعند ذلك عمـدَ رسولُ اللّه إلى الأقـتاب[٧]، فجـعلها، وهو بغـدير خمّ، وصعـدَ على الأقتـابِ وخطب بالناس ثم قال: مَنْ كنـتُ مولاه – وقبضَ على عَضَدَي أميرِ المؤمنين ورفعَه حتى بانَ بياضُ إبْطَي رسولِ اللّه– ثمّ قـال: مَن كنتُ مولاه، فـعليٌّ مـولاه. ألّلهمَّ وَالِ مَن وَالاه وعَادِ مَن عـاداه، وانصُرْ مَن نَصَرَهُ واخذلْ مَن خَذَلَهُ»[٨].

«هذا برواية الشيعة المقصِّرة، وأمّا برواية أهلِ التوحيد[٩]، فرأوا قوله وتحقّـقوه: مَن كنتُ مَولاه فـعليٌّ مَعْناه. فَبَـيَّنَ وأوضحَ معنويّةَ مولانا أمـيرِ المؤمنين، لأنّه يومُ ظهـورٍ وكشفٍ، وهو ندَى من الأنديةِ في القـبّةِ المحـمَّدية، لأنّ فـيه كـان المعنى عَزَّ عـزُّهُ ظاهِراً بذاته، واسـمُه ظاهراً بينَ يدَيه، يدعـوه ويرشدُ العالَمَ إليه وشاهِدًا لهم وعليهم».

هذا العيـد هو «يومُ كشفٍ وظهـور، فاستـعملتْ فيـه الأكلُ والشرب والأفـراح والمصافـحة والدعـاء إلى اللّه تعـالى والشكر على مـا أنعم به من فضله. يؤيّد ذلك ما قاله سيّدُنا أبو عبداللّه الخُصَيبي في قصيدته الغديريّة:

إنّ يومَ الغديرِ يومُ السروري بَيَّنَ اللّهُ فيهِ فضلَ الغديري[١٠]

(٥) الباكورة السلميانيّة، ص ٥٤.

(٦) سورة المائدة، ٥ / ٧١.

(٧) الاقتاب هي الأجلال، جمع جلال، والبرادع.

(٨) راجع في شأن غدير خمّ وعظة محمد ما ورد سابقاً في هذا البحث.

(٩) اهل التوحيد هم، هنا، النصيريّون، بمقابل الشيعة المقصّرة.

٢ - **عيد الفِطْر** «وهو اليوم الذي يُؤْذَنُ فيه للمؤمنين بالنطق وإظهارِ أمرِ اللّــه عزّ وجلّ»[١١]. يقــول فــيه الطبــراني: «إنّ أوّل الأعــيــاد، في السنة العربيّــة، عيد الفطر، وهو السيّــد محمّد أوّل الأعداد؛ وهــو الواحِد، والأعداد بدؤها منه، وعَوْدُها إليه. والســيّدُ محمّد يثني ويدخل في الأعداد والـقسمة. فلمّا كان السيّد محمّد أوّل الأعداد وجب أن يكون عيدُ الفطر أوّلَ الأعياد»[١٢].

أمّا المعنى الحقـيقي لهذا العيد عنـد النصيريّين فهو، كـما تُظهره هذه الصلاة: «إنّي أشــهد أنّ محـمّد اسمُك ومكانُك المقـصودُ، وحجـابُك الموجودُ المعبودُ، وأنّه شخصُ هذا اليومِ الذي أعلنتَ ظاهرَه وعظّمتَ باطنَه، وهو الذي أظهرتَ فـيه نفسَكَ ومحلَّ قـدسِكَ، فَحَقَّـقتَ الإسلامَ، وفطرتَ فيه الصــيامَ، وهو عيدُ المؤمنين وَبَخاتُ العارفين»[١٣].

٣ - **عـيد الأضــحى**، أو الأضـحيـة، «وهو يوم خـروج القـائم منه السلام بـالسيف وإهراقـه الدماء»[١٤]، يقع في ١٠ من ذي الحجّـة «تذكاراً لإسمعيل بنِ هاجر»[١٥].

٤ - **عيد المُبَاهَلَة**[١٦]، وهو اليوم الذي جادل فيه النبيُّ آلَ نَجران في شأنِ المســيح[١٧]، يقع في ٢١ من ذي الحــجّـة. وهو يومٌ عـزيزٌ على قلوب النصيريّين، لأنّ محـمّداً كان فيه مع «أصحاب الكَساء» الخـمسة، أي: فاطمة وعلي والحسن والحسين والمحسن[١٨].

---

(١٠) مجموع الأعياد، ص ١٧ب.
(١١) مخطوط ٦١٨٢، ص ١٣٨أ.
(١٢) مجموع الأعياد، ص ٦ ب.
(١٣) المرجع نفسه، ص ٧ب. «بخات جمع «بخت»: الحظّ.
(١٤) مخطوط ٦١٨٢، ص ١٣٨أ.
(١٥) الباكورة، ص ٣٤، ومجموع الأعياد، فصل ٣-٥.
(١٦) مخوط ٦١٨٢، ص ١٣٩أ.
(١٧) انظر سورة آل عمران ٣/ ٥٤. كان ذلك في عام الوفود سنة ٦٣١.

٥ – **يوم الفراش**، أي الفراش الذي نام فيه عليٌّ مكان محمّد ليخلّصَه من كفّار قريش، ليلةَ الهجرة من مكّة إلى المدينة سنة ٦٢٢. يقع في ٢٩ من ذي الحجّة. فيه جاء كفّار قريش «وكَبسوا دارَه (دارَ النبيّ) لقتلِه، وقالوا: اقصدوا فراشَه حتى نقتُلَه فيه. فقال رسول اللّه لمولانا أميرِ المؤمنين: يا أخي إنّ مشركي قريش يَكبسوني في هذه الليلة، ويَقصدون فراشي، فما أنتَ صانعٌ يا عليّ؟ فقال له أميرُ المؤمنين: أنا، يا رسول اللّه، أتْضَجِعُ في فراشكَ... واصْطَحِبِ اللّهَ إلى حيثُ تأمنُ على نفسِكَ. فقال رسولُ اللّه: فديتُكَ يا أبا الحَسَن، أَخْرِجْ لي ناقَتي الغَضباء حتى أركبَها، وأَخْرُجُ إلى اللّه هارباً من مشركيّ قريش»[19].

٦ – **عيد عاشوراء**، «فيه معرفة يوم كربلاء واستشهاد الحُسين. يقع في العاشر من شهر محرّم. أنشده الخُصَيبي جملة من قصائده. يَعتبر النصيريّون أنّ الحسين كالمسيح في القرآن، لم يُقتَلْ ولم يَمتْ، بل غاب»[20]. فالحسين «كانت سيرته تقاربُ سيرةَ سيّدنا المسيح وما أظهره من القتل والصلب وسائر سيرته»[21]. وفي مكان آخر، هذا الدعاء: «أَشْهَدُ أنّكَ ما قُتلتَ ولا غُلِبتَ ولا قُهِرتَ ولا مُتَّ ولا تموتُ، بل أظهرتَ الغَيبةَ بقدرتِك، واحتجبتَ عن عيون الناظرين بحكمتِكَ، وأنتَ يا مولاي حاضرٌ غائبٌ غيرُ بعيد تسمعُ الكلامَ وتَردُّ الجوابَ عليكَ يا مولاي. أَتَيتُكَ يا مولاي زائرًا بفضلِك، مُقِرًا بظهورِكَ، لائِذًا عابِدًا صُوَرَكَ»[22].

وفي عقيدة النصيريّين أنّ الحسين ذُبح في الظاهر مراراً كثيرة، أمّا في الحقيقة فهو يتعالى عن أيّة إساءة. «وكان الحُسين بن عليّ أكرمَ على اللّه

---

(١٨) مجموع الأعياد، ص ٢٧ ب.

(١٩) المرجع نفسه، ص ٣١ ب، مخطوط ٦١٨٢، ص ١٣٩ أ. لا تذكرُه الباكورة.

(٢٠) سورة النساء ٤/١٥٧–١٥٨: «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبِّه لهم».

(٢١) مجموع الأعياد، ص ١٣٥ أ.

(٢٢) مجموع الأعياد، ص ١٤١ أ.

من أن يُذيقَه القـتلَ على أيدي الكفرة الظالمين، وحـاشا أن يُذيقَه حـرٌّ الحديد، وإنّ عند اللّه من لطفِ التدبيـر ما يتلطّفُ بأوليائه وينقـذُهم من أهل عداوته، ويهلكُ أعـداءَه وأعداءَ أوليـائه بالحجّـة البـالغة... ولقـد فعل اللّه سـبحـانه بالحسين فـعلةً لم يفعلْهـا بالمسيح ولا بزكريّا ولا بـيَحيَ ولا بأحد الأنبـياء. وإنّ الذبحَ في الظاهر كان إلى إسمعـيل الذي فُدِيَ بذبحٍ عظيم، وهو الحسين الذي هو عينُه واسمُه ونَسَبُه، وليس بينهما فرقٌ كأنّهما واحد. ولقد ذُبح في الظاهرِ أكثر من ألف مرّة»[٢٣].

وكيـفيّـة ذلك أنّ الكفّار «لمّـا اجتمـعوا علـى الحسين ليـذبَحوه، كـما يقولون، خـرج من بدنِه ورفعَه اللّهُ إليـه، ومنعَ الأعداءَ الظالمين منه»[٢٤]، لأنّ «الإمامَ يدخلُ في الأبدانِ طَوعاً وكَرهًا، ويَخـرج منها إذا شاء طَوعاً وكَرهاً، كما ينزع أحدُكم جبّتَه وقميصَه بلا تكلّفٍ ولا ريب»[٢٥].

وقصّة ذلك أنّ «الحـسين، لمّا خرجَ إلى العراق وكانَ اللّه محتـجِبًا به، وصـار لا ينزل منزلاً، صلواتُ اللّه عليه، إلاّ ويأتيه جبـريل فَيُحَدِّثُه، حتّى إذا كان اليوم الذي اجتمعتْ فيه العـساكرُ عليه، واصطفّتِ الخيولُ لديه، وقامتِ الحربُ، حينئذٍ دعا مولانا الحسـينُ جبريلَ، وقال له: يا أخي مَن أنا؟ قال: أنتَ وليُّ اللّه، لا إلهَ إلاّ هو الحيُّ القـيّومُ المُمـيتُ المحـيي، أنتَ الذي يا ابنَ الزّهراء تأمرُ السماءَ فتُطيعُك، وأنتَ الذي لا يصلُ إليكَ كيدُ كائدٍ، ولا ضررُ ضارّ»[٢٦]

تأتي أهميّـة هذا العيد في الدرجة الأولى من الأعـياد النصيريّـة. فيه تُلْبَسُ الثـياب البيـضاء الطاهرة، ويُدعَى عـلى الذين عَذَّبُوا رسـولَ اللّه. قال الصـادق: «يا عـبدَ اللّه بن سَنان، إنّي أفضلُ ما يُأْتَى به في يـوم عاشوراء أن

---

(٢٣) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٩٨.

(٢٤) المرجع نفسه، ص ١٠١.

(٢٥) المرجع نفسه، ص ١٠١.

(٢٦) كتاب الهفت والأظلّة، ص ١٠٢. أنظر الفصل كله ص ٩٧-١٠٧.

تعـمدَ إلى ثيـابٍ طاهرة وتلبـسَهـا وتحلّلَ أزرارَك وتكشفَ عن ذراعَـيك ثمّ تخرجَ إلى أرضٍ مقـفرة حيثُ لا يراك أحد، أو في منزلكَ أنـتَ وإخوانك حتى يرتفعَ النهار، ثمّ تـقول: أللهمَّ عَذِّبِ الذين حـاربوا رسُلَك وشاقّوهم وعـبدوا غيرَك»[٢٧].

٧ - **أليوم التاسع من شهر ربيع الأوّل** في كل سنة وهو مقتل دَلام لَعَنَهُ اللّه[٢٨]، واسمه غدير الثاني[٢٩]. فيه ذكرى تعريف محمّد برسالة أولادِ عليّ. في مثل هذا اليوم دخل حُذَيْفَـة بن اليَمان على رسول اللّه وقال: «رأيتُ سيِّـدي أميـرَ المؤمنين مع ولدَيه الحَـسَن والحُسَين يأكلون مع رسـولَ اللّه، ورسولُ اللّه يتبـسّم في وجه الحسن والحسين ويقول لهـما: كُلا[٣٠]. هنيئاً لكما. على بركة اللّه وبـركة هذا اليوم وسعادته. فإنّـه اليومُ الذي يَقبضُ اللّه فيه عـدوَّه وعدوَّ جَدِّكمـا. ويستجيبُ فـيه دعاءَ أمِّكما. كُلا. فـإنّه اليومُ الذي يُقتل فيـه عدوُّكما، ويُقبَل فيـه أعمال شيعـتِكما ومحبِّيكما. كُـلا. فإنّه اليومُ الذي يَصدقُ فيـه قولُ اللّه: "فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَـاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا"[٣١]. كُلاَ. فإنّه اليومُ الذي كَسَرَ اللّه به شوكةَ مبغضة[٣٢] جَدِّكُما، وناصرَ عدوِّكما. كُلا»[٣٣].

٨ - **ليلة نصف شـعبـان**. فـيهـا أيضاً ذكـرُ الحـسين. «يجب على المؤمنين الاجتماعُ فيها، ثمّ إحـياؤها بالفرح والسرور والمذاكرة الحسنة على عبـد النور (أي الخـمرة) والثّناء على اللّه وعلى أسـمائه ومـقامـاته وأبوابه ومراتب قدسه»[٣٤].

---

(٢٧) مجموع الأعياد، ص ٣٩ ب–٤٠ أ.

(٢٨) مخطوط ٦١٨٢، ص ٣٩ أ.

(٢٩) الباكورة السليمانيّة، ص ٣٥.

(٣٠) انظر سورة الطور ٥٢/ ١٩.

(٣١) انظر سورة النمل ٢٧/ ٥٢.

(٣٢) انظر سورة الأنفال ٨/ ٧.

(٣٣) مجموع الأعياد، ص ٤٩ ب.

وأعياد كثـيرة أخرى، أقلّ أهمّيّةً، أو هي خاصـّة بعشـيرةٍ من العشائر النّصيريّة من دون غيرها، مذكورة في المراجع النصيريّة التي عنها ننقل.

***

أمّا **الأعياد النّصرانيّة** فكثيرة أيضاً. نذكر أهمّها:

١ - **عيد الميلاد**، أي ميلاد السيّـد المسيح ليلةَ الرابع والعشرين من كـانون الأوّل. في هذه الليلة إنّ «السـيّد المسـيح أظهـر الولادةَ من السيـدة العذراء مريم ابنة عِمران الطّاهرة الزكيّة، وقد ذكرها اللّه في كتابه[٣٥]، ولكن مريم ليستْ إلاّ آمنة بنت وهب أمّ سيّدنا محـمّد. وكثيرٌ من أهل ملّتنا يقولون إنّها هي فاطمة عليها السلام. ويستـندون في ذلك إلى قول سيّدنا محمّد لها حين دخلتْ عليـه: "أُدخلي يا أمَّ أبيكِ"، في رواية أخرى: "مـرحبـاً بكِ يا أمَّ أبيكِ". ولم يقل النـبيُّ هذا القـول إلاّ ليـشيـر إلى أنّهـا أمّ الحـاآت الثـلاثة: الـحـسن والـحـسين والمـحـسن. أمّا أمّ سيّدنا مـحمّد فهي آمنة بنت وهب التي باسم مريم ولدت عـيسى كما ظهـر سيّدنا محمّـد بولادته من أمّه آمنة بنت وهب»[٣٦].

وفي مكان آخر يقول الطبراني: «إنّ مريم بنت عمران هي بعينها آمنة بنت وهب بالنسبة إلى سيّدنا محـمّد، وإنّ اللّه تعالى أشار إلى ذلك في كتابه العزيز، فقال: "واذكُـرْ في الكتَابِ مَريَمَ إذِ انتَبَذَتْ مِن أهلِهـا مَكَاناً شَرقيّاً... ألخ" [٣٧]. ثمّ يورد أبيـاتاً من الخُـصَيـبي أنشدَهـا لمريم. ويقول إنّه لمّا كـان سيدنا عيـسى قد تكلّم في هذه الليلة وظهر، فإنّ هذه الليلة صـارتْ مباركةً،

---

(٣٤) المرجع نفسه، ص ٥١ أب.

(٣٥) أنظر سورة التحريم ٦٦/١٢ فيها نصّ الآية التي ينقلها كتاب المجموع.

(٣٦) أنظر «مذاهب الإسلاميّين، لـعبد الرحمن بدوي، ج ٢ ص ٤٤٦.

(٣٧) أنظر سورة مريم ١٩/١٦-٣٠، يستشهد مجموع الأعياد بها.

ومن واجب المؤمنين إذن الاحـتفال بهـذه الليلة كمـا تستحـقّ، وذلك بتلاوة الأدعية الموجّـهة إلى اللّه تعالى. ثم يورد الدعـاء الذي ينبغي تلاوته في هذه المناسبة»[٣٨].

٢ - **عيد الغطاس** في ٦ كانون الثاني[٣٩]، أو عيد القدّاس، وهو اليوم الذي فيه تعمّد المسيح على يد يحيى السابق في نهر الأردن. لهذا العيد مكان مرموق في سوريا، فيه تغسل النساءُ أولادَهنّ تيمُّناً بعمادِ المسيح[٤٠].

٣ - **عيد البربارة** في ١٦ تشرين الأوّل[٤١]، وهو عيد شعـبي كبير، فـيه تُعَدّ الحلوى ويُسلَق القمـح وتُقَدَّم المآكل الشـهيّـة. ويَختـارُ أصحـابُ الاحتفال فـيه شخصًا يسمّونه «عَرندسَ». و«العـرندس قالوا هو من أسماء الأسد»[٤٢]. يَدهنون وجـهه بالدّخـان الأسود ويُلبسـونه ثياباً هزلـيّة، وهم يقولون: «بِسيِّه برباره، بسيِّه برباره...»[٤٣].

٤ - **عيد السـابع عشر من آذار**[٤٤] «ممّا استخرج مـن كتاب الأكوار والأدوار النورانيّة»[٤٥].

٥ - **عيد رأس السنة** المسيحية أو الروميّة، وفيها يتزيّنون ويطربون بالمآكل والشراب والسهر والرقص.

---

(٣٨) مذاهب الإسلاميّين، ٤٦٧-٤٦٨.

(٣٩) الباكورة السليمانيّة، ص ٣٥.

(٤٠) R. Dussaud, *Histoire et Religion des Nosairis*, 149...

(٤١) تضعه الباكورة في ٤ ت ٢، ص ٣٤؛ وهو الأصحّ؛ لأنّ في هذا التاريخ عيداً آخر هو «عيـد المهرجان» الفـارسي. أمّا في التـقليد المسيـحي فعيـد البربارة يصـير في ٤ كانون أوّل.

(٤٢) شيخو، المشرق، عد ١ ص ١١٣٤.

(٤٣) المرجع نفسه.

(٤٤) الباكورة السليمانيّة، ص ٣٥.

(٤٥) كتاب مجموع الأعياد، فصل ٤٥-٤٦.

٦ - عيد الشعانين.

٧ - عيد العنصرة.

٨ - عيد مريم المجدليّة.

٩ - عيد يوحنا فم الذهب.

١٠ - عيد القديسة كاترينا.

وأعياد خاصّة أخرى تحتفل بها كلُّ عشيرة أو عيلة أو شيخ(٤٦)...

«أمّا في أعياد نيسان، و ١٧ من آذار، و ١٦ تشرين الأوّل، على ما يقول الأذني، فيضعون قدّام الإمام طستَ ماءٍ كبيرًا، فيه أغصان زيتون أو رَيحان أو صفصاف... وبعد انتهاء الصلاة يكشفون رؤوسَهم جميعاً ويقوم النجيب ويرشّ عليهم من ذلك الماء، ويفرّق عليهم قليلاً من تلك الأغصان فيأخذونها ويضعونها في كوابرهم لأجل التبرّك»(٤٧).

***

أمّا الأعياد الفارسيّة فمنها:

١ - **عيد النوروز** «وهو اليوم الرابع من نيسان في كلّ سنة، وله شرف عظيم وفضل كبير»(٤٨)، وهو أيضاً عيد النور «سَمَّى اللّهُ ذلك اليوم النور، وسمّته الفرس: النوروز»(٤٩). إنّه «يوم عظيم مبارك، مجّده الأكاسرة وأقرّوا بفضله. وكانوا في ذلك اليوم يحملون تيجاناً من الرَيحان والشقائق، ويرشّون الماء. وكانوا يتبادلون فيه الهدايا... إنّ المولى تجلّى في شخص ملوك الفرس وتجلّتْ فيهم أسماؤه وأبوابه وأولياؤه النورانيّون. وذُكِرَ أنّ

---

(٤٦) الباكورة السليمانيّة، ٣٤-٣٥.

(٤٧) المرجع نفسه، ص ٥٤.

(٤٨) مخطوط ٦١٨٢، ص ١٣٩ أ. والسؤال ٩٠ من تعليم الديانة النصيريّة.

(٤٩) مجموع الأعياد، ص ٦٥.

الخُصيبي شرح هذه المسألة في إحدى رسائله، وينسب إلى الفرس الحكمة، لأنّ الاسم والمعنى يتجلّيان عندهم في مقامَين من ملوكهم: الأوّل، أردشير بن بابك، وسابور بن أردشير»[٥٠].

٢ – **عيد المهرجان**، وهو في ١٦ تشرين الأول [٥١].

٣ – **عيد أوّل نيسان**[٥٢].

٤ – **عيد ١٥ نيسان**[٥٣]...

***

إنّ سببَ هذا التنوع في الأعياد لهو بدون شكّ نوعٌ من «التّقيّة». فالنصيريّون، حفظًا لحياتهم، لَبسُوا، كما رأينا، لباسَ كلِّ الطوائف التي سيطرتْ عليهم وقهرتْهم في جبالِهم النائية. ولا يزالون، إلى اليوم، يحتفلون بها كعاداتٍ وتقاليد، يُقيمون بمناسبتها شركةَ السرِّ، أي: سرِّ الخمرةِ والقدّاس. واللّهُ يعلَم عمّا تعني لهم هذه الأعياد اليوم، إن كانت أكثر من تقاليد وعادات ومعانٍ اجتماعيّة وحسب.

(٥٠) أنظر «مذاهب الإسلاميّين»، ج ٢ ص ٤٦٩–٤٧٠.

(٥١) مخطوط ٦١٨٢ ص ٣٩ أ.مجموع الأعياد ،فصل ٤٧–٥٥. الباكورة، ص ٣٤.

(٥٢) الباكورة السليمانيّة، ص ٣٥.

(٥٣) الباكورة، ص ٣٥.

ثانياً – طريقة الاحتفال بالعيد

«والنّصيرية ليس لهم معابد مثل الإسلام والنّصارى، بل إنّهم، في كلّ مدّة، يجتمعون في بيوت معلومة لهم. وهذا الجمع يسمّونه عيد. وفيه تجتمع مشايخ ديانتهم، ويقرأون على جماعتهم بعض قصص وأخبار وخرافات. ولا بدّ لكلِّ إنسان متقدّم بينهم أن يخصّص لنفسه يوماً معلوماً يسمّيه بالعيد. وصاحب العيد يضحّي في ذلك اليوم بعضاً من مواشيه»(٥٤).

هذا الوصف المختصر سيتناوله سليمان الأذني في كتابه الباكورة، ويسترسل في توسيعه. وننقل بعضَ ما جاء فيه. يقول:

«إنّ كلَّ رجلٍ غنيّ ملتزم بعمل عيدٍ أو عيدَين أو ثلاثة، حسب طاعته لمذهبه»(٥٥).

في احتفالاتِ النصيريّين بالعيد نجد «الذبائح والطبائخ، والناس مجتمعين أفواجاً. كان أهل المدن يعملون أعيادهم غلَسًا لكي لا يَظهر عليهم أحد. وأمّا سكّان القرى فلا يُبالون. وعندهم أعياد الفرح في رمضان كالإسلام، وعيد الضحيّة... ثم عيد رأس السنة... فسكان القرى يعتبرونه أكثر من ذينك العيدَين. وأمّا سكّان المدن فلا يعتبرونه لئلاّ يَظهر عليهم المسلمون، بل يعتبرون ذينك العيدين للفرح فقط»(٥٦).

والاحتفالُ بالعيد يكون على الشكل التالي:

---

(٥٤) مخطوط المكتبة الملكية ببرلين، رقم ٤٢٩١، ص ٥٦ أ.

(٥٥) الباكورة السليمانيّة، ص ٣٤.

(٥٦) المرجع نفسه، ص ٣٦.

«متى حان يومُ عـيدِهم تجتمع الناسُ إلى بيتِ صـاحب العيد، ويأتي الإمامُ ويجلسُ، ويضعون أمامـه خرقةً بيضاءَ فيها مـحلب وكافور وشموع وورق الريحـان أو الزيتون، ويقـدّمون إناءً مملوّا خـمراً، أو نقـيعَ العنب، أو الزبيب. ويجلس نقيبان، أحدُهما عن يمين الإمام والآخَر عن يساره، ثمّ يميّز صاحبُ العيد نقيباً آخر للخدمة. وبعد ذلك يتقدّم ويقبّل يدَ الإمام ويدَ النقيب الذي عن يمينه، ثم يدَ الذي عن الشمال، وبعد ذلك يدَ النقيب الممتاز للخدمة.

«ينهضُ النقيبُ، ويضعُ يدَيه على صدرِه قائلاً: "ألله يمسّيكم بالخير يا أسيادي، ويصبحكم بالرضى والسعادة. هل ترضَوني خادماً لكم في هذا العيـد المبارك على كِيس صاحبِ العـمل (فلان) أللهُ يبارك عليـه"؟ فيجيـبه الحاضرون: نعم. حـينئذ يُقبّل الأرضَ طاعةً للحاضـرين، ويأخذ بيديه ورقَ الريحان، ويفرّق عليهم، وهو يتلو هذه الآية، واسمها سطر الريحان:

«قـوله تعـالى: "فـأمَّا إنْ كـانَ مِنَ المقَـرَّبِين فَـرَوحٌ وَرَيحَـان وجَنّةُ نَعِيم"[٥٧]. أللّهمّ صلِّ على أسماء أشخاص الريحان، هم صعصعة، وزيد ابنا صوحان العـبدي، وعمّار بن ياسـر صاحب الفضل والمآثر، ومحـمّد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حديقه، صلوات الله عليهم أجميعن».

و«كذلك الحـاضرون يتلونه أيضاً، ويأخذون ذلك الورق ويفـركونه بأيديهم، ويشمّون رائحته.

«ثمّ بعد ذلك يأخذ طستَ ماء ويضع فيه محلَباً وكافوراً. ويقرأ قدّاسَ الطِّيب[٥٨]. ثمّ يسكب عـلى يد الإمـام ملعــقـةً من الطِّيب، ويـنـاول الطستَ للنجيـب، ليسكب على يد كلٍّ منهم ملعـقةً منه، فـيدور عليهم بـه، ويقرأ عند المناولة هذه الآية، واسمها سطر الطيب:

---

(٥٧) من سورة الواقعة ٥٦/ ٨٧-٨٨.

(٥٨) سيأتي نصّه بعد حين.

«قوله تعالى: "أوَ لَمْ يرَ الذينَ كَفَروا أنَّ السموات والأرضَ كَانتَا رَتْقًا ففَتَقْناهُما؛ وجَعَلْنا مِنَ الماءِ كلَّ شيءٍ حيٍّ. أفلا يُؤمِنون!»(٥٩). سبحان من أحيا الميّت بأرضِ صرصر بقدرة مولانا العلي الأكبر. ألله أكبر ألله أكبر.

«وكذلك الحاضرون يتلونها عند التناول، ويغسلون وجوههم. ثمّ إنّ النقيب يأخذُ مجمرةَ بخورٍ، وينهضُ قائماً، ويقرأ القدّاس الثّاني، واسمه قدّاس البخور(٦٠).

«ثمّ يبخّر الإمامَ وكلَّ الجالسين عن يمينه ويساره، ويناولُ النّجيبَ المجمرةَ ليبخّر الجماعةَ، وحينما يدور عليهم يتلو هذه السورة واسمها سطر البخور:

«أللهمّ! صلِّ وسلّمْ على سيّدنا محمّد المصطفى، والحسن والحسين إبنَي عليٍّ، وعليٍّ زَينِ العابدين، وابنه محمّد الباقر، وابنه جعفر الصادق (...) والحسن العسكري (...) صلوات اللّه عليهم أجمعين.

«والمبخّرون يتلونها أيضاً؛ ثمّ يأخذ النقيبُ بيده كأسَ خمرٍ ويقوم قائماً، ويقرأ القداسَ الثالث واسمه قداس الاذان(٦١).

«ثمّ يناولُ الإمامُ القدحَ ويملي كأسًا أخرى، ويناولُها للجالسِ على اليمنى، وكأسًا للجالسِ على اليسار، وعند المناولة يتلون:

«أشهد أنّ مولاي ومولاكَ أميرَ النحل عليّ بن أبي طالب الذي لا حالَ ولا زال، ولا ينتقلُ من حالٍ إلى حال. وأشهد بأنّ حجابَه السيّدَ محمّد، وبابَه السيّدَ سلمان، ولا منفصل بين المعنى والأسم والباب.

---

(٥٩) من سورة الأنبياء ٢١/٣٠.
(٦٠) سيأتي نصّه بعد حين.
(٦١) سيأتي نصّه بعد حين.

«بعد ذلك يقول المناوِل للمتناوَل:

«خذ يا أخي هذه الكأس بيمـينكَ، واستعنْ بمولاك عليّ بن أبي طالب يدبّرك ويُعينكَ. فـيجيـبُه المتناوَل: هاتِ يا أخي ما في يمينك واسـتعنْ بربّك وخالقـكَ، فهو يدبّـرك ويُعينكَ على أمـور دينكَ. أثمر اللّه من هذا من مـالهِ، بحرمةِ محمّد وآلِهِ. ثمّ يقبّلان أيادي بعضـهما.

«ثمّ يَنهض النقيب ويضـعُ يديه على صدره ويقول:

«ألّلهُ يمسّيكم بالخيرِ يا إخـوان، ويُصبحكم بالرضى يا أهلَ الإيمان، سامـحونا من الغلط والسـهيان، لأنّ الإنسـان ما سميّ إنـسـاناً إلاّ لأجل أنّه يُخطئ، وما تمّ الكمال إلاّ لمولانا علِيّ ذي الجلال، وهو بكلّ شيءٍ عليم».

ثمّ يقبّل الأرضَ، ويجلس. وبعده يتوجّه الإمام نحو الجماعة قائلاً:

«ألّله يمسّيكم بالخير يا إخـوان، ويصبحكم بالرضى يا أهل الإيمان، هل ترضونـي خادماً لكم في هـذا النهار المبارك عـلى كِيسِ صاحب الـعمل، بارك اللّه عليه؟ ثمّ يقبّل الأرض، وكـذلك الجماعة ويقولون: «قَـبِلْنَاكَ شيخَنا وسيّدَنا».

ثمّ يقول الإمام:

«قد روى الخـبر عن مولانا جعـفر الصادق الصـامت الناطق، الفاتق الراتق، أنّه قال في أوقـات الصلاة: لا يجوز أخـذٌ ولا عطَا، ولا بيعٌ ولا شرَا، ولا حديـثٌ ولا شوشره، ولا حـرج ولا مرج، ولا حـديثٌ فوقَ الرّيـحان، إلاّ الصمتُ والاستماعُ وكلمة آمين. إعلمـوا يا إخوان منَ كانت على رأسه عمامة سوداء، أو بأصبـعه كشتبـان، أو في وسطه سكّين ذات حدّين[٦٢]، فصلواته

---

(٦٢) «أصحاب العمامة» هم شيوخ المسلمين، و«أصحاب الكشتبان» هم أساقفة الكنيسة، و«أصحـاب السكين» هم الدروز، من قول حـمزة: «ولا يمشي أحد منهم الاّ ومـعه

غير جائزة. وأكبر الذنوب الخطأ فوق الرّيحان، وما على الرسول الاّ البلاغ المبين».

ثم يقبّل الأرضَ ويقول: هذه الطاعة لله ولكم يا إخوان.

ثمّ يخرّ الحاضرون ويقبّلون الأرضَ، ويرفعون أيديَهم على رؤوسهم ويقولون: "طاعتك للّه تعالى يا شيخَنا وسيّدَنا".

ثم يقرأ الإمام سورة التبرّي، أو سورة الشتائم(٦٣).

ثمّ يمسح يدَه على صدره قائلاً للحاضرين: نتبرّأ من هؤلاء الشياطين الخبثاء المارقين على فضل **ع م س**. وكذلك الجميع يقبّلون أيادي بعضهم يميناً ويساراً.

ثم يقرأ الإمام آيات من القرآن. وبعدها يتوجّه نحو الجماعة ويقول:

«إعلموا يا إخوان أنّ مثل هؤلاء (هذه الآيات) شواهد وآيات كثيرة تدلّ على معرفة العليّ الكبير. أسألكَ يا أميرَ النّحل، يا علي، يا عظيم، بحرمة هؤلاء الشواهد والسُوَر والمعاجز والقُدَر، وبحرمة السيّد محمّد الذي هو من نور ذاتك انفطر بانْ تحلف وتبارك لأصحاب هذا الخير وهذا الإحسان وهذا الأثر، ويجعل محلّكم معمّر وفرعكم أخضر وعدوّكم مدمّر. يبارك عليكم مولاكم العلي المقتدر النافخ في الصُّور. أللهمَّ صلّي وسلّم على سيّدنا الخضر الأخضر، ونبيّ اللّه الإسكندر، والملك جعفر الطيّار والسلطان حبيب النجّار، وسيّدي ميثم الثمار، ويقدّسُ ويرحمُ روحَ سيّدي الشيخ حسن الأسمر، والشيخ إبرهيم بن قشمر، والشيخ خليل مُتَوَّر، والشيخ علي في الصنوبر. ويجعلها مَساةً وليلةً مباركة علينا وعليكم. يا إخوان يا من حضر

شيء من السلاح وأقلّه سكّين» (تقليد الرضى، رقم ٢١ من رسائل الحكمة، ص ١٢٠) والإسماعيليّة، من قول ابن بطوطة فيهم: «ولهم سكاكين مسمومة يَضربون بها مَن بُعثوا إلى قتلِه» (رحلة، ص ٧٦).

بحرمة العزيز المقتدر، يا أمير النحل يا عليّ يا عظيم».

ويتلو الإمام صلوات كثيرة وقداديس أخرى تقيم المجد والعبادة لعلي. وينتهي كلُّ ذلك بقدّاسِ التمام أو قدّاس الإشارة[٦٤]، ثمّ سورة الاشارة من كتاب المجموع.

وبعد الفراغ من كل هذا يأخذ الإمام بيده قدحَ الخمرِ ويقرأ خبراً عن الحُسين بن حَمدان الخُصَيبي.

ثمّ يأمر الجماعة بتلاوة سورة السجود من كتاب المجموع.

ثمّ يأخذ الإمام القدحَ الذي بيدِ الجالس عن يمينه ويمزجه مع الكأس الذي بيده، ويقول عند مزجه: "أرأيتَ ثمّ أرأيتَ نَعيماً ومُلْكاً كبيرًا عَلَيهم ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وإسْتَبْرَقٌ، وَحُلُّوا أسَاوِرَ مِن فِضَةٍ وسَقَاهُمْ رَبُّهُم شَرَاباً طَهُوراً! إنّ هَذا كَانَ لَكم جَزاءً وَكَان سَعْيُكُم مَشْكُوراً"[٦٥].

ثمّ ينشد الإمام هذه الترنيمة للخُصَيبي:

حِكَمٌ سَاقَها إليكم أخيكُم عبدُ عبدٍ لثاني عشَر بدوُرِ
جَنبلانِيُكم سليلُ خُصَيبِ يَستقيها من فيضِ بحرِ الزُخورِ
مِن عيونِ التسنيمِ يُسقَى رحيقاً سلسَلِيًا مختَمًا بعبيرِ

ثمّ يشرب من الكأس قليلاً، ويناوله للجالس عن يمينه ويأخذ الكأس الآخر من الجالس عن شماله ويشرب منه قليلاً، ويناوله إيّاه أيضاً. ويناول الكأس الذي معه إلى النقيب الخادم، فتدور الكؤوس بينهم من واحد إلى آخر. وعند المناولة يقبِّلُ الواحدُ أيدي الآخر، ويقولُ المناوِل للمتناوَل: "تفضّل اشربْ يا أخي وسيّدي سرّ ع م س.

---

(٦٣) سياتي نصّها بعد حين.
(٦٤) سياتي نصّه بعد حين.

ثمّ يأخذ المتناوَل فيشرب ويقول: "سقاكَ اللّه يا أخي وسيّدي".
ويجيبه المناوِل: "هَنَّاكَ اللّهُ في شرابك ومشروبك ويبلّغُك مقصودَك ومطلوبَكَ".

ثمّ يقرأ الإمام سُوَرًا من كتاب المجموع، ومن القرآن، ثمّ دعاء اليمين ودعاء الشمال(٦٦)، ثمّ ترنيمات من شعر الخُصيبي...

ثمّ يقبّل الأرضَ، وكذلك الجماعة.

ثمّ ينهضون جميعاً ويُقبّلون أيادي بعضِهم بعضاً يمينًا ويسارًا ومن يكون قريبًا إليهم. وحينئذ يُطفِئون الشموع.

ويأتي صاحبُ العيد ويفرّقُ الزّكاة، وهي دراهم، للإمامِ وللنقيبِ ولجميعِ القارئين.

ثمّ يأخذ الإمام كتابَ المجموع ويقرأ عليهم قليلاً، ويأمرهم بالركعةِ فيركعون. وبعدها يأمر بتلاوة الفاتحة وهي: "ألفاتحة يا إخوان في إبادة الدولة العثمانيّة واستظهار الطائفة الخُصَيبيّة النصيريّة". ويطلبون من ربّهم لأجل إبادةِ حكّام المسلمين.

ثمّ تُمَدُّ المآكل ويأكل الجميع. وأخيراً ينصرفون»(٦٧).

---

(٦٥) سورة الإنسان ٧٦/ ٢٠-٢٢.
(٦٦) سترى هذه الصلوات والأدعية في ما يلي.
(٦٧) الباكورة السليمانيّة، ص ٣٤-٥٩.

ثالثًا – القداديس والصلوات

يقيم النصيريّون، أثناء الاحتفال بأعـيادهم، صلوات كثيرة ومتنوّعة، وهي قداديس، وتوسّلات، وأدعـية، وترانيم... نشر بعضَهـا سليمان الأذني في «الباكـورة السليمـانيّة»(٦٨)، وبعضــها الآخر «كـتافاغـو» مع ترجمتــها الإلمانيّة(٦٩). ويوجد قـسم منها في مـخطوط المكتبـة الوطنيّة ببـاريس رقم ٦١٨٢(٧٠)، وقسم آخر في مخطوط رقم ٥١٨٨(٧١). ونلاحظ في جميع هذه المصـادر أخطاء لغوية ونحوية وإملائيّة عديدة، سنصلح بعضاً منها من دون النيل من معانيها.

١. القداديس النصيريّة

إنهّا كثيرة، نذكر منها أربعة. تقال في الأعياد كما أشرنا إلى ذلك. هذه الأربعة تشدّد على ألوهيّة علي، وتتوجّه مبـاشرة إليه. وقد حدّد كتاب تعليم الديانة النصيريّة «القدّاسَ» ومضمونَه، بشكلِ سؤالٍ وجواب، كما يلي:

س : ما هو القدّاس؟

جـ : هو تقديسُ الشراب، وشربُه بسرٍّ النقباء والنجباء.

---

(٦٨) كتاب الباكورة السليمانيّة، ص ٣٨-٥٩.

(٦٩) Catafago, ZDMG, II, pp. 388 - 384, année 1848......

(٧٠) في هذا المخطوط قسمان: القسم الأوّل في «كـتاب تعليم الديانة النصيرية»، والقسم الثاني حيث بعض القداديس والصلوات واسمه «التوجيه» و «المشيخة».

(٧١) في هذا المخطوط أيضاً قـسمان: قـسم ترجمة فـرنسية لتـعليم الديانة، وقسم فـيه بعض الصلوات والقداديس والخطب التي ألقاها علي في ألوهيّته.

س: ما هو القربان؟

جـ: هو الخبزُ الذي يقربه المؤمنون عن أرواح إخوانهم ويقال له القدّاس[٧٢].

س : مَن هو الذي يقدِّسُ القدّاسَ ويقرِّبُ القربان للمؤمنين؟

جـ : هو، إِمامُهم وخطيبهم العظيم.

س : ما هو سرّ اللّه الأكبر؟

جـ : هو سرّ اللّحمِ والدمِ الذي قال المسيح عنه لتلاميذه عليه السلام: هذا لحمي ودمي، فكُلوا واشربوا منه لأنّه حياة الأبديّة.

س : ما هو القدّاس الأوّل؟

جـ : هو الذي يقال قبل النوروز.

س : ما هو القدّاس الثاني؟

جـ : هو الذي يقال بعد النوروز.

س : ما هو النوروز؟

جـ: هو تقديسُ الشرابِ بالجام[٧٣].

س : قل لي ما هوالنوروز؟

جـ : إعلم أنّ النوروز هو هذا :

نوروزُ حقٌّ مستفيدٌ غانمٌ — متحقِّقٌ بمولايَ أكرمَ هاشمِ
يومَ أبانَ اللّهُ فيه ظهورَه — قبلَ الأعاربِ في قبابِ عاجمِ
وسما بها نحوَ السما فأبصروا — فيها مراجيحًا برايًا حازمِ
ولِسَلسَلٍ فيه ظهورٌ مهيمنًا — متابعٌ لقديمنا المتقادمِ
فاشرب من الخمر الزلالِ فإنّه — يومَ تجلّى نورُه بغمائمِ
يومَ الغديرِ قد أشارَ محمَّدٌ — بالقصدِ نحوَ إلهِ ربٍّ عالمِ

س : ماذا يُدعى الخمر المقدَّس الذي تشربُ منه المؤمنون:

---

(٧٢) ليس القربان من خبز قمح، كما عند المسيحيّين، بل من ورق الريحان.

(٧٣) الشراب بالجام هو الخمرة بالكأس.

جـ : يُدعى عَبْدُ النور.

س : لماذا يُدعَى عبدُ النور؟

جـ : لأنّ اللّهَ ظهـرَ به. ولهذا رُوِيَ عن سـيِّدِنا أبي عـبد اللّه الحـسين الخُصـيبي صاحب الرأي المصـيب، إذ كان يُحـضِرُ بين يديه عبـدَ النور كان يأخذُ القدح في يمينه وينهلُ منه ثلاثةَ نهلات ويترنّم عليه قائلاً:

أللهمّ إنّ هذا عبدَك عبدُ النور شخصٌ حلَّلتَـه وكرّمتَه وفضّلتَه لأولئك العارفين بكلِّ حلال طلقاً. وحرَّمتَـهُ على أعدائك الجاحدين المنكرين لك حرام نصّـا. اللّهم مـولاي كمـا حلَّلتَـه لنا أرزِقْنَا به الأمنَ والأمـان والصحـةَ من الأسقام، وانْفِ عنّا بهِ الهمَّ والأحزان»[٧٤].

ألقدّاس الأوّل

قدّاسُ الطيْبِ لكلِ أخٍ حبيْبٍ

«أيّهـا المؤمنون! أنظروا إلى مـقـامِكم هذا الذي أنتم به تجـتـمعـون، وانزعـوا الغلَّ من قلوبكم والشكَّ والحِـقـدَ من صدورِكم ليـكملَ لكم دينُكم بمعرفةِ مُـعينِكم ويستجـابُ منكم دعاؤكم ويُكَرِّمُ مثواكـم مولانا ومولاكم. إعلموا أنّ عليّاً بن أبي طالب قائمٌ معكم وحاضرٌ بينكم، ويسمعُ ويرى، ويعلمُ مـا فوق السـماوات السـبع وما تحـت الثرى، وهو عليمٌ بذات الصـدور[٧٥] والعزيزُ الغفور.

«إيّاكم إيّاكم يا إخوان مـن الضحِكِ والقهـقهة في أوقـاتِ الصلاة مع الجهّـال، فإنّهـا بئسُ الفِعالِ وتُقَـرِّبُ الآجال وتُهـبِطُ صَالحَ الأعـمال، ولكن

(٧٤) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٧٦–٧٩، ٨٧–٩٢.

(٧٥) ألقـــرآن: ٣/ ١٩ و ١٥٤، ٥/ ٧، ٨/ ٤٣، ١١/ ٥، ٤١/ ٢٣، ٣٥/ ٣٨، ٣٩/ ٧، ٤٢/ ٢٤، ٥٧/ ٦، ٦٤/ ٤، ٦٧/ ١٣.

اصغوا واسمعوا لمقالِ السيّد الإمام، لأنّه قائم فيكم كقيام الفرد الصمد العليّ العلاّم.

«إنّا مزجنا لكم هذا الطّيب على هـذه النيّة، كما مُزِجَتِ السماوات في السبعة الإماميّة، في خالصِ عقدِ النفوس الجوهريّة، تنزيهًا للصورة البشريّة المرئيّة الأنزَعيّة. طَيِّبوا بها أنفسكم الطاهرة الذكيّة من سائر الأفعال الرديّة. لقد خصّ بها من الميم للسين في كلِّ وقتٍ وحين، إليًا إليًا، فهو عَلِيًّا، إله له الدين الخالص. إنّما يدعون من دونه باطل، وعبادة المخلوقات هي الرأي العاطل، لأنّه تعالى عزّ شأنه في علوٍّ مكانه السميع العليم العلي العظيم».

ألقدّاس الثاني

قدّاسُ البَخُورِ

وروائحُ تدور في البيتِ المعمورِ

في محلِّ إلهنا الفرحِ والسرورِ.

«إنّه كان شيخنا وسيّدنا محمّد بن سنان الزاهي علينا سلامه يقوم إلى الصلاة الجامعة في كلّ يوم وليلة مرّة أو مرّتين ويأخذ بيده ياقوتة حمراء، تنزيهاً لفاطمة الزهراء، ويبخّر الأقداح، وتتمّ الأفراح، ويبخّر بها عبدَ النور، في وقت الزّينة والزهور.

«إعلموا يا مؤمنين أنّ النور محمّد واللّيل سلمان. بَخِّروا أقداحكم، وأنيروا مصباحكم، وقولوا بأجمعكم: ألحمدُ للّه، الحمد للّه الذي جعلَ لنا فضلَه تامِ، وسرَّه كاتِم. إنّه جَوّادُ كريم، عليّ عظيم. آمنوا وصدّقوا يا مؤمنين، إنّ شخص عبدِ النور حلالٌ لكم معَكم، حرامٌ علكيم معَ غيرِكم»[٧٦].

القدّاس الثالث

قدّاسُ الأذان وباللّهِ المُستَعَان.

«أللّه أكـبر. أللّه أكـبر. أللّه أكـبر. وجّـهتُ وجهي إلى السـيّد مـحمّـد المحمـود، وطالبِ سرّه المقـصود، وعينِه الـودود، مُقرًا بالمعـرفة والتـجلّيات والصفات، ومنزّهًا المعنى بالذّات. هو عين العَلويّة الذّاتـيّة الأنزَعيّة. هوالمعنى علِيّ المتعال، وأمّه فاطر ذو الجلال والحـسن ذو الكمال، ومحسن سرّ الخفيّ المفضـال. إنّي عبـدٌ يا مؤمنين مـقرٌ بما قرّبـه السيّد سلمـان، في وقت الندا والآذان. أذّن المؤذّن في المأذنة وبلّغَ القومَ في آذانه وهو يقول: أللّه أكبر. أللّه أكبر.

«أشـهدُ بأنْ ليسَ إله إلاّ عليّ أمير الـنحل والأصلع المعبود، ولا حجاب إلاّ السـيّد محـمّد الحـمد الأجَلّ الأعظم المحـمود، ولا باب إلاّ السـيّد سلـمان الفارسي المقصود. وأنّ محمّد حـجابه المتصل، ونبيّه المرسل، وكتابه المنزل، وعرشـه العظيم، وكرسّيه المتين. وأنّ السـيّد سلمان سلسل سلسـبيل، بابه الكريم، ونهـجه القـويم، الذي لا يؤتَى إليـه إلاّ منه، وسـفينة النجـاة، وعين الحياة.

«حيَّ على الصلاة، حيَّ على الصلاة. صلّوا يا معشرَ المؤمنين، تدخلوا الجنّةَ التي أنتم بها موعودين، حيَّ علـى الفلاح، حيَّ على الفلاح. تفلحون يا مؤمـنين، وتخلصون من كـثائف الأبدان، وظلمـة الأجسـام، وتسكنون بين الحُور والوِلدان، وتعاينون مولاكم الجليلَ، أميرَ النحل العليّ الكبير.

«أللّه أكبر. أللّه أكبر. مولاكم أمـير النحل عليّ أكبر ممّن تكبّر، وأعظم ممَّن تجبّر، صمدًا لا يرام، عزيزاً لا يُضام، قيّوماً لا يَنام. أللّه أكبر. أللّه أكبر. قد قامت الصلاة على أربابها، وثبتتِ الحجّة على أصحابها.

---

(٧٦) المقصود: إنّ الخمرة حلال للنصيريّين مع بعضهم بعضاً، وحرام مع غيرهم.

«أسألكَ يا أميرَ النّحل، يا عليّ بن أبي طالب، أن تقيـمَها وتديمها، كما دامتا السماء والأرض. واجعل السيّد محمّد ختامَها وصيامها وصلاتها، والسيّد سلمان سلامها وزكاتها، والمقداد يمينَها ومعينها، وأبو الذّر شمالَها وكمالها، والعالمين سبيلها، والمؤمنين دليلها إلى الأبد. آمين».

ألقدّاس الرّابع

قـــدّاس الإشـــارة

«ألحمد للّه على التمام، عَلي نورُ الأنام، عَلي ربُّ العزّة، علي فالق الحبّة، عليّ باري النسمة، علي ينبوع الحكمة، علي مفتاح الرّحمة، علي سراج الظلمة، علي جبّار الجبابرة، علي مبيدُ الأكاسرة، علي صاحبُ القباب الفاخرة، علي إمامُ المحراب، علي قالعُ الباب،

«علي مفرّجُ الكربات، علي صاحبُ المعجزات، علي داحِي الأرض، علي حُبُه فرْض، علي نزهةُ الشَيب، علي عالِمُ الغيب، علي مالك الدنيا، علي صاحبُ الآخرة والأولى، علي شقُ الصخر، علي نورُ الفجر، علي نهرُ الخمر، علي أبو الحسن، علي نهرُ اللّبن، علي معلّل العلل، علي مفني حركات الدول، علي نهرُ العسل، علي نهرُ الماء، علي رافع السماء، علي بديع الزمان، علي رفيع الشان، علي كثير العجائب، علي ربّ المشارق والمغارب.

«علي حيدرة الأصلع، علي البَطِين الأنزع، علي صاحب النون، علي السرّ المكنون، علي شجرة الزّيتون، علي عالِم ما في الصدور، علي البحر المسجور، علي صاحب القدرة، علي شقّ الصخرة، علي سورة البقرة، علي فارس الفوارس، علي محيي العظام الدوارس، علي مُنزِل الكتاب، علي مفرّق السحاب، علي ردّ الشمس، علي قابض على كلِّ نفس، علي العزيز الجبّار، علي قادر قهّار، علي ضارب بذو الفقار، علي حيدرة الكرّار، علي جبّار

الأرض، علي صاحب النوافل والفرْض، علي أحدٌ فرد، علي هابيل، علي شيث، علي يوسف، علي يوشع، علي آساف، علي شمعون الصفى.

«وإلى هذا المعنى نسبّح ونقدّس ونهلّل ونكبّر ونمجّد ونعظّم. إلى ما أشارت إليه الأوّلين، ودلّت على قِدَمِ معنويّتِه الأنبياءُ والمرسَلِين. ونشير إلى ما أشار إليه شيخُنا وسيّدنا الحسين بن حمدان الخُصَيبي، ونشير إلى ما أشار إليه جَدُّه محمّد بن نُصير العَبْدي البَكْري النُّمَيري، ونشير إلى ما أشار إليه سلمان الباب، ودلَّ على معنويّته السيّد محمّد الحجاب، في السبعة الأقباب، من هابيل الرضى إلى حيدرة أبي تراب.

«إعلموا يا إخواني أنّ إلهكم معنى المعاني، القديم الأحد الفرد الصمداني.. بولايته نرتفع إلى جنان الرضى، وزيادة الأنوار. إعلموا أنّ هذه صلاتُنا وحجُّنا وزَكاتُنا وإشارتُنا وعبادتُنا في سرّ سرّنا وخالصِ يقينِنا إلى علي بن أبي طالب الأنزع البطين، الذي لا يتجزّأ ولا يتبعّض، ولا ينثني في قسْم، ولا يدخل في عدد، ولا يحول ولا يزول، ولا تغيّره الأزمنة والدهور، المكنّى بحيدرة أبي تراب الذي له ولعظم جلال هيبته، وكبريا سنى برق لاهوته، تخضّعت له الرِّقاب، وذُلَّتْ له الأمورُ الشداد الصعاب».

***

٢ . سورة التَبَرّي أو الشّتائِم

«أستغفرُ اللّه العليَّ العظيم من كلِّ ذنبٍ عظيم من جميع الخطايا والبلايا والزلل، على نيّةِ الصلاة نصلّي إن شاء اللّه تعالى.

«أسألك يا أميرَ النحل، يا علي بن أبي طالب، أن تجعلَها منّا ساعةَ إجابةٍ وساعةَ غفران، وساعةَ رضوان، وتقبّلها بأحسن قبول، بحق السيّد الرسول، وفاطمة البتول، ومحسن سرّ الخفي، واللّيل الساجي السبدول، أن

تقبلَها منّا كما قبلتَهـا من أوليائك الصالحين، وأنبيائك المرسلين، وأهل طاعتك أجمعين من الأوّلين والآخِرين.

«رُوِيَ الخبرُ عن أبي شُعَيْب محمّـد بن نُصَير العَبْدِي البَكري النَّمَيْري أنّه قال: مَن أرادَ النَّجاةَ مِنْ حَرِ النِيرانِ. فليقلْ:

«أللهمّ! إلعَنْ فَـيْئةً أَسَّـسَتِ الظلمَ والطغيـان، الذين هم التسـعةُ رهطُ المفسدِين، الذينَ أفـسدوا وما أصلحُوا بالدِّين، الذين هم إلـى جهنّم سائرين، وإليها ضَالِّين، أوّلُهم أبو بَكْر اللَّعين، وعُمَـر بنُ الخَطاب الضدُّ الأثيم، وعُثمّان بن عَفّان الشّيطان الرَّجيم، وَطلْحَةُ وسَعْد وسَعيد، وخالد بن الوَليد، صاحبُ العمـودِ الحديد، ومعـاوية وابنُه يزيد، والحَجَّـاجُ بن يوسف الثقـفي النكيد، وعبدُ المَلِكِ بن مَروان البليد، وهارونُ الرشـيد. خلِّدْ عليهم اللَّعنةَ تخليدًا ليوم الوعيد، "يَومَ يُقالُ لجهنّم : هلْ أمْتَلَئْتِ؟ فَتَقُولُ: هلْ مِن مَزِيد "؟[٧٧].

«ثمّ إنّك يا عَـلي بن أبي طالب، تفـعُل مـا تشـاء، وتحكـمُ بما تريد، وأسـألك أن تنزلَ سخطَك وعذابَك على إسـحقِ الأحمرِ المخزول[٧٨]، وإسمعيل بن خـلاّد الجهـول، وَالْعنِ الشيخَ أحـمد البـدوي، والشيخَ أحـمد الرفـاعي، والشيخَ إبرهيم الدسوقي، والشيـخ محمّد المغربي، والشبلَ المرجان، والشيخَ عـبـد الـقـادر الكيـلاني، وكلَّ يَـهُـودي ونَصْـراني. وَالْعنِ المـذهبَ الحَنفي والشَافعي والمالكي والحَنْبَلي.

«وأنزِلْ يا أمـيـرَ النحلِ، يا علي بن أبي طالب، سـخطَكَ وعـذابَك على الجَلْنَد بن كَـركَر، وإسـحق الأحمـر، وعاقرِ النّـاقة قَيْـدَر، وحبـيبِ العطّار.

---

(٧٧) سورة ق ٥٠/ ٣٠.

(٧٨) إسحق الاحمر صاحب الفرقة «الإسحاقيّة» من جملة غلاة الشيعة. تميل «إلى تقرير الشركـة في النبـوة» بين علي ومحـمّد (الشـهرسـتـاني، ١/ ١٨٨) وتسمّى أيـضاً «الأحمرية». أمّا سائر الأسماء فهي من عشائر نصيريّة...

فأدْخلْهم " في سَـقَرَ، وَمَا أدْرَاكَ مَـا سَقَرُ، لا تُبْـقِي وَلا تَذَرُ، لوّاحةٌ للبَـشَرِ، عَلَيهم اللّعنةُ تِسْعَةَ عَشَرَ "(٧٩).

«وَالعَنْ لَعَّابي القُـرُود، ومَسَّاكي الحـيّاتِ السُود، وجمـيعَ النصَارى واليهـود، وكلَّ مَن يعتـقدُ في علي بن أبي طالب آكِـلاً أو شارباً أو ناكـحاً أو مولود. لعنَهم اللّه.

«واجعلِ اللَّعنةَ على يوحنّا مـارون، البطرَكِ الملعون(٨٠)، وعلى كلِّ مَن أكَلَ خيـرَك، وعبـد غيرَك. وأبـرِئْنا منهم براءةً تامّةً تبـرئةَ اللّحمِ عن العظمِ، بحرمةِ عليّ ومحمد وسلمان، وبفضل ع م س».

٣ . الادعية النصيريّة

١ . دعاء اليمن

«أسـألك يا أمـيرَ النحل يا علي يا عظيم، بحقِّ هذه الصلاة والسـجود، والزيارات والحدود، والبروق والرعـود، وبنوحِ وهُود، وبحقِّ توراة موسى وأنجيل عيـسى وقرآن محمّد وزبور داود، وبحقِّ صـورتك صورة الوجود، المرئيّة في الضـياء والظلِّ الممدود، وبحـقِّ يتيمك المقـداد بنِ الأسود الكندي، الذي قُـدَّتْ منه عالَـمُ الصفـا قـدوداً بعد قـدود، وبنورِك المشـتقِّ من باطن العامود(٨١) بأن تخلف وتبـارك لأصحابِ هذا الخـير وهذا الإحـسان وهذا

(٧٩) سورة المدّثر ٧٤/٢٧-٣٠، مع بعض التصرّف في آخـرها. والأصل: «علَيهَا تِسعَةَ عَشَرَ».

(٨٠) «هذه اللّعنة نراها أيضـاً، إلى اليوم، عند الروم الاورثوذكس، في سوريا، واحـتفظ بها الملكانيّـون. ورأيناها في مخطوطات عديدة... ويجب أن تكون قـديمة أيضاً عند النصيريّين الذين عرفـوا والمؤسّسات المارونيّة في جبل السمّـاق قبل الجيل التاسع للميلاد» أنظر مقالة: H. Lammens, Etudes, Août, 1899, p. 475 - 476.

الجود، ويجعل خيرَه علينا وعليكم موروود، والشرّ عنّا وعنكم مبعَداً مطرود، ويهلك عنّـا وعنكم شـرّ الأوباش والضـدود، ويرحم لنا ولـكم من هو تحت التراب ملحود.

«أللهمّ! صلّي وسلّم على سيّدي الخضرِ الأخضر والملكِ جعفر الطيّار، والسلطانِ حبـيبِ النجّار، الذي نَجَّرَ العودَ بـالعود، والسلطانِ إبرهيم وَوَلَدِه محـمود، ويقدّس ويرحم روحَ سيّـدي واستاذي الشيخ حـسن ماسِك وطَا العوجـة والشيخِ حَسَن الأجـرود، والشيخِ عليّ الصُّوَبـري والشيخ علي بن ممدود، والشيخ سَـعد وأخيـه الشيخ مـسعود، وبالسَـفْرَقيّـة الشيخ داود، ويقدّسُ ويرحم أرواحَ جـميعِ المؤمنين في أربع أركان الدنيـا والحدود. علينا وعليك السـلام من عليّ الأنزع المعـبود. سلّـموا تَسْلَمـوا من جـميع البـلاء والنكود».

٢ . دعاء الشمال

«ابتدأتُ وتوسّلتُ إليكَ يا أمير النحل، يا علي يا عظيم يا قديم الأيّام، يا صاحب العصـر والزمان، بحقٍّ أربعة عشـر مرتبة من مراتب السـلام، منها سبعة عدّت للعالم الكبير، وسبعة أخرى عدّت للعالم الصغير، بحقّ ما بينهما من التسبيح والتكبير والتعظيم والتقديس والتـذكير، بشبر ومشبّر وأشبير، بالإسكندر وأزدشير، بالجبّ والدلو وزليخة والصاع والعير، بأصحاب أهل الكهف وكلبـهم قطمـير، بالمغـارة والقنطرة والشَّبّ المسـجّى على السـرير، وبحقٍّ من غازَى وحـارب وقاتل الجانّ في قـرار البير، بأربع بَيـعات لمولانا العليّ الكبـير: بَيعـة دار الخَيـزران، وبيعـة أمِّ سلمى، وبيعـة رضوان تحت الشجرة، وبيعة خمّ يوم عيد الغدير، بأن تخلف وتبارك أصحاب هذا الجود والإحسان والخير، ويدبّر حالنا وحالكم بأحسن التـدبير، ومهما أمسكتموه

---

(٨١) «أي عامود الصبح الذي هو احمرار الشمس عند طلوعها وغروبها».

بأيديكم يُقْبَل وَيصير، ويتقبل عليكم الحنطة والشعير، والذرة والسمسم والقطن والحرير، ويقدّس ويرحم روح سيدّي الشيخ محمّد الكبير، والشيخ حيدر الكبير، والشيخ إبرهيم بضاش دامير، والشيخ يوسف القصير، ويقدّس أرواحَ جميع المؤمنين في أربع أقاطير».

***

بعد هذا الفصل الطويل في تنوّع أعياد النصيريين واحتفالاتهم وصلواتهم، نشير إلى اختلاف آراء الباحثين في معرفة انتماء النصيريين الديني: فهل هم من بقايا نصارى انقطعوا عن الكنيسة بسبب الاضطهاد والقهر، كما يقول هنري لامنس؟ أم هم من بقايا فينيقيّين وثنيّين، كما يقول رينيه دوّسو؟ أم هم من متطرّفي الشيعة الذين خرجوا على الإسلام، كما يقول لويس ماسّينيون والشهرستاني والبغدادي والنبوختي، وغيرهم من الباحثين في الفِرق الإسلاميّة؟ هذا ما سوف نجيب عليه في الفصل التّالي.

الفصل الثامن

النصيريّة وسائر الأديان

أوّلاً : النصيريّة والأديان عامّة

ثانياً : النّصيريّة والإســـلام

ثالثاً : النّصيريّة والدرزيّة

رابعاً : النّصيريّة والمسيحيّة

أوّلاً - النصيريّة والأديان عامّة

إذا كانت النصيريّة، كما رأينا، تعتمد على بعض ما في المسيحيّة والإسلام، وإذا كانت تعاليمُها مزيجاً من بعض تعاليم القرآن والتوراة والإنجيل، ومن الغَنوصيّة والوثنيّة القديمة، ومن عبدة الكواكب والنجوم، بحسب ما نقل الطبراني في كتابه «مجموع الأعياد»، فهذا لا يعني أنّ النصيريّة تقف من هذه الأديان والمذاهب موقف تسامحٍ وقبول. فهي تختلف عنها في جوهر عقيدتها، حتّى ولو كانت عقيدتُها تَلُمُّ مجملَ عناصرها مِن هنا وهناك. فموقف النصيريّة منها جميعها موقف عَداء ومناصبة.

في رأي النصيريّين، أنّ اللّه، عندما ظهر بعليّ، ألغى كلّ ما تقدّم من شرائع وأديان ومذاهب. وحجّةُ ذلك أنّ «المُقامَ العَلَويّ» هو أكمل المقامات الإلهيّة السابقة. وهو، بالتالي، ينسخها، ويُغني عنها جميعها. قالوا صراحةً :

«عند ظهوره بأنزَع بَطِين (أي عند ظهور اللّه بعليّ)، وظهورِ اسمه بالمحمّدية، نَسَخَ سائرَ الشرائعِ المتقدّمة... ولم يطالبْنا إلاّ بما قامَه لنا من حدودِ هذه الشريعة (النّصيريّة)، ولم يستعبدْنا في الشرائع المتقدّمة... وأمّا نحنُ فلم نطالَبْ إلاّ بما نعرفُه. وأمّا ما سَلف من المُقامات ما بَقيَ معنا منها إلاّ أساميها. وأمّا حدودُها وشرائعها فلم يُلزمْنا بها، إذ علمنا أنّ صاحبَها واحد. ولو ألزَمنا إقامةَ حدودِها لوجبَ أن نصلّي مع النّصارى، ونصومَ بصومهم، ونقومَ مع اليهود فيما هم فيه، ومع البراهيميّة، وغيرهم من أصحاب الشرائع»[1].

---

(١) كتاب المناظرة، ص ١٠٧ب، ١٠٨ب.

وحجّتُهم في نسْخِهم هذا، هو أنّ المقام الأخير أكملُ المقامات الماضية. فـ«إذا تحقّقتَ أنّ صاحب هذا المقام هو صاحب المقامات الماضية غُنيتَ عن عبادتك للسبع أسامي في وقتٍ واحد... (لكن) إذا عبدتَ سبعةً في وقتٍ واحد لزمك أن تقيمَ لكلٍّ اسمٍ منها معنى ناطق حتى تصحّ دعواك»[٢].

والسبب أيضاً، في رأي النصيريّين، أنّ الأمم، قبل موسى وقبل كلّ الشرائع، كانت تعتمد على حكمة العقل وفطنة القلب. ولم تكن يوماً بحاجة إلى شريعة، فلذلك يمكن الاستغناء عن الشرائع الماضية وعن أصحابها معاً.

«سائل سائل: أخبرْني عن الذين كانوا قبلَ زمان موسى، لا كتابَ لهم ولا رسول يأتيهم... أين كان لهم البصيرة، وكيف كانت لهم الحجّة؟ كيف عرفوا الحقّ والباطل؟..

«أجاب العالِمُ: بعقولِهم وفِطَنِ قلوبهم وآياتِ ربّهم»[٣].

ثمّ يعتبر النصيريّون أنّ كلّ ما جاءت به الرسل والأنبياءُ من أديان وشرائع هي صادقة وكاذبة في آن معاً. وقد حدثَ ذلك لحاجةِ الناس بحسب أوضاعهم وظروف حياتهم، تماماً كالثوبِ الذي تخيطُ منه عدّةَ ألبسةٍ لعدّةِ مناسبات. وكلُّ لباسٍ منها يُفيد بوقته، ولا يفيدُ لوقتٍ آخر.

«قال السائل: قد رأيتُ الوليَّ والعدوَّ يَعبدون اللّهَ ويتضرّعون إليه بكلّ شريعة مع كلِّ قبيلة، وكلُّهم يبتهلون ويبكون خوفاً وطمعاً، ويَرجُون لقاه؛ فإنْ كانوا كلُّهم مصيبين فكلّهم مخطئون، لأنّهم يكفِّروا بعضهم في بعض. ففي ذلك الكفرُ المحض إذا كفر من كان على الحق، وإن قال قائل كلُّهم على صدق.

---

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٩ أ.

(٣) كتاب الأسوس، ص ١٣٤ أ.

«قال العالِم: مَن قــال ذلك؟.. إنّ الأنبياء وكلاء اللّه، يريد أن يُـعبَدَ اللّه بكلِّ لسان في كلّ جهة ترابيع الأرض، كما يُعبد في ترابيع المساء، بكلِّ لسان آدمي كمـا يُعبد بكلّ لسان مَـلَكي على كلِّ جهة. وكلّهم يبنون له بيـوتً يُذكر فيها اسمُه، ويُعبَد إلى أن يشاء اللّه ما يشاء من تغيير وزيادة ونقصان، حتى لا أحد يَعبد إلاّ الربَّ بقـدرته؛ ويظنّ الجاهل أن تناقض ونفى بغير علم، وان الذي أرسل هؤلاء غير حكيم...

«ومَثَلُ ذلك مَثَلُ ثوبٍ قَطَع منه رَجُلٌ طيلســانًا يتجمّلُ به وينتفع منه. ثمّ خاط منــه خائطٌ جبّـةً لينتفع منهـا، وهي خلافُ الطيلســان، لا تصلح لما يصلح له الطيلسان، ولا أفضل منه. ثمّ جعل له مـن الثوب نفسهِ سراويل... بمثل هذا يعيش الناس بعض من بعض...

«فإنّ ربّنا خلقَ الخلقَ فعَلِمَ بصالحِهم في كلِّ زمان، فأرسل إليهم في كلِّ زمان نبيًا يصلحهم ويبطل شريعـةَ مَن كان قبلَه، ويُخرجهم من شريعة إلى شريعة، حتى يتمّم الحكمةَ ويبلغ الهمّة ويتمّ العلم والتقديم إلى آخر الأبد على انقطاع العلل. كلٌّ ذلك يـظهر فـيهم قـدرته، ويبيّن آياته. ولو كـانَ دينًا واحدًا لكانَ غيرَ حكيم، كما فصّل صــاحب الثوب... كذلك الخالق أظهر فيهم قدرتَه وبيّنَ آياته. ولو كـانت آيةٌ واحدة من رسولٍ واحد لكان غـيرَ حكيم لما يصلح العباد»[٤].

لكن، إذا كـان النصــيريّون يؤمنون بالـظهورات الإلهـيّـة السابقـة، ويعتبرونها ضروريّة للظهور الأخير في علي بن أبي طالب، فمعنى ذلك أنّهم يعتمدون في دينهم على الأديان السابقة، ويأخـذون بشرائعها وبأصحابها. علماً بأنّ الظهورَ الأخير جاء ليعتمد عليـها ويُلغيها في آن معاً؛ تماماً كما جاء على لسان المسيح: «أتيتُ لأكمّل الناموسَ لا لألغيه»، ولكنّ الناموس السابق، في المسيحيّة كما في النصيريّة، يجب تصحيحُه لأنّ فيه نقصاً.

---

(٤) كتاب الأسوس، ص ٣١-٣٢.

ولكن أيضـاً، إذا كـانت الدعوة النـصيـريّة مـغلَقة، لا تـسمح لأحـد بالدخول إليها والاطّلاع عليها، وبالتـالي، يكون عددُ النصيريّين، كما جاء ي كتـبهم مـائة وأربعة وعشـرين ألفاً، فـمعنى ذلك أيضـاً أنّ كلّ الخوارج عن النصـيريّة هالكون لا مـحالة. وبالـتالي، يكون هؤلاء كـفرة وملحـدين، ولا يستحقّون مـعرفة «سرّ الأسرار»، كما لا يستحقّـون الانتماء إلى النصيريّة، ولو أقنعتهم. إنّ أبوابَ النّـصيريّة، كالدّرزيّة، مغلَقـةٌ على كلٍّ ما عداهم. وهو أمـرٌ لا يدركه منطق، ولا يعـقله عاقـلٌ، إذ فيـه يمنع أصحـابُ هذه الديانات الخـيرَ والخـلاصَ والسعـادة عن سواهم. وهو طـعنٌ في صمـيم إنسانيّـة الإنسان وحقوقه.

في كلٍّ حـال، إنْ أُغلـقَ في وجـهنا بابُ الحقّ، أو فُـتـح، فـإنّ لنا في اكتشافِ سرِّه كلّ العزاء. ونحن نكتفي بالكشف عنه ففيه كلُّ الجزاء.

ثانياً - النصيريّة والإسلام

ليس من الصعب علينا معرفة العداء المستشري بين النصيريّين والمسلمين عامّة، على مختلف شيعهم ومذاهبهم: «لقد كانوا دائماً أعداءً للإسلام السنّي، دينِ قاهريهم»[٥]، فلازم القهر تاريخهم، وأفتى بعضُ الأئمّةِ المسلمين بكفرِهم، وحلّلوا دماءَهم وأموالهم، وأوجبوا الجهادَ المقدس ضدَّهم، ومنعوا على المسلمين الزواجَ بنسائهم. وذلك واضح في «فتاوى ابن تيميّة»[٦] الذي عنه ننقل. قال:

ألنّصيريّون هم القائلون «باستحلال الخمرِ، وتناسخِ الأرواح، وقِدَمِ العالَم، وإنكارِ وجودِ البعثِ والنشور، والجَنّةِ والنّارِ في غيرِ الحياة الدنيا. وبأنّ الصلواتِ الخمسَ عبارةٌ عن خمسةِ أسماء، هي: عَليّ وحَسَن وحُسَين ومُحسِن وفاطمة. فَذِكْرُ هؤلاءِ الخمسة يُغنيهم عن الغُسْلِ مِن الجَنابة والوضوءِ وبقيّة شروطِ الصلاةِ وواجباتِها. وأنّ الصومَ عندهم عبارةٌ عن اسمِ ثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة...

«... وأنّ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ هو علي بن أبي طالب، وهو عندهم الإلهُ في السماءِ والإمامُ في الأرض. فكانت الحكمة في ظهورِ اللاّهوت بهذا الناسوت، على رأيهم، إنّه لِيُؤْنِسَ خَلْقَهُ وعبيدَه، لِيعلِّمَهم كيفَ يعبدونه ويعرفونه. وبأنّ النّصيري عندهم لا يصيرُ نُصيريًا مؤمناً

---

(٥) H Lammens, Les Nosairis furent-ils chrétiens? dans Rev. de l'Orient Chrétien, 1900, p. 16....

(٦) تقي الدّين أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ /١٣٢٨م). تبدو معرفته بالنصيريين دقيقة؛ بالرّغم من أنّه يخلط أحياناً بينهم وبين القرامطة.

يجالسونه ويشربون معه ويُطلعونه على أسرارهم ويزوّجونه من نسائهم، حتى يخاطبَه معلّمُهم. وحقيقةُ الخطابِ عندهم أنّهم يحلّفونه على كتمانِ دينهِم ومعرفةِ مشايخِه وإكبارِ أهلِ مذهبه...

« فمن حقيقة الخطابِ عندهم والدِّين أن يَعْلَمَ أنّ عليًا هو الرّبّ، ومحمّد هو الحجاب، وسَلمان هو الباب، وذلك على الترتيب، لم يزل ولا يزال. ومن شِعر بعضِ فضلائِهم، المشهورِ عنه، قولُه الملعون:

أشهدُ أن لا إلهَ إلاّ	عَلِيٌّ الأنزَعُ البَطينُ
ولا حجابَ عليه إلاّ	محمّدُ الصادقُ الأمينُ
ولا طريقَ إليه إلاّ	سَلمانُ ذو القوّةِ المتينُ

وكذلك الخمسةُ الأيتام، والإثنا عشر نقيبًا، وأسماؤهم معروفةٌ عندهم في كتبِهم الخَبيثَةِ، لا يزالون يَظهرون مع الربِّ والحجابِ والبابِ في كلِّ كَوْرٍ ودَوْرٍ أبدًا سرمدًا، وإنّ إبليسَ الأبالسة هو عُمَرُ بن الخطاب، ودونَه في رتبةِ الإبليسيّة أبو بكر، ثمّ عُثمّان، رضي الله عنهم أجمعين، ونزّههم، وأعلى رتبهم عن أقوالِ الملحدين وانتحالِ الغالين المفسدِين، ولا يزالون في كلِّ وقت ملعونِين حيثمّا ذُكروا.

«ومذاهبهم الفاسدة، شِعَبٌ وتفاصيل، ترجعُ إلى هذه الأصول...

«وهذه الطريقة الملعونةُ استولتْ على جانبٍ كبيرٍ من بلاد الشام. فهم معروفون مشهورون يتظاهرون بهذا المذهب. وقد حقّق أحوالهم كلُّ مَن خالطهم وعرفَهم من عقلاءِ المسلمين وعلمائِهم وعامّةِ الناس أيضاً في هذا الزمان؛ لأنّ أحوالَهم كانت مستورةً عن كثيرٍ من الناسِ وقتَ استيلاءِ الإفرنج المخذولين على البلاد الساحليّة. فلمّا كان أيّامُ الاسلام[7] انكشفَ حالُهم وظهرَ ضلالُهم. والابتلاءُ بهم كثيرٌ جداً والحالةُ هذه.

---

(٧) يعني: «لمّا عادت دولة الإسلام إلى هذه البلاد». (عبد الرحمن، ٢/ ٤٤٧).

«وما حُكْمُ الجُبنِ المعمولِ من أنفحةِ ذبيحتهم؟

«وما حُكْمُ أوانيهم وملابسِهِم أيضاً؟

«وهل يجوزُ دفنُهم بينَ المسلمين، أم لا؟

«وهل يجوز استخلافُهم في ثغورِ الإسلام وتسليمها إليهم، أم لا؟

«وهل يجبُ على وليّ الأمر قطعُهم واستخدامُ غيرِهم من رجالِ المسلمين الكفاة؟

«وهل يأثمُ إذا أخذَ في طردهم واستخدامِ غيرهم؟ أم يجوز له التمهّل، مع أنّه في عزمه ذلك؟

«فإذا استخدمهم، ثمّ قطعهم أو لم يقطع، هل يجوز صرفُ أموال بيتِ المال عليهم؟

«وإذا صرفهم وتأخّر بعضهم بقيّة من معلومهم المسمّى فأخّره وليُّ الأمرِ عنه وصرفَه على غيره من المسلمين المستحقّين أو أرضوه لذلك، هل يجوزُ له فعلُ ذلك على هذه الصورة، أم يجب عليه؟

«وهل دماءُ النصيريّة المذكورين مباحةٌ، وأموالُهم حلالٌ، أم لا؟

«وإذا جاهدهم وليُّ الأمر، أيّده اللّه تعالى، لإخمادِ باطلهم وقطعهم من حصون المسلمين، وحذَّرَ أهلَ الإسلام من مناكحتِهم وأكْلِ ذبائحهم، وأمَرَهم بالصّوم والصّلاة، ومنعَهَم من إظهار دينهم الباطل وهو بعينه من الكفر، هل ذلك أفضلُ وأكثرُ جزاء من التصدّي والترصّد لقتالِ التتار في بلادهم وهجمِ بلاد الصين وبلادِ الزنج على أهلها، أم هذا أفضل؟

«وهل يُعَدّ مجاهدُ النصيريّةِ المذكورين مُرَابِطًا، ويكونُ أجرُه كأجرِ المرابِطِ في الثغورِ على ساحلِ البحر خشيةَ قصدِ الإفرنج، أم هذا أكثر جزاء؟

«وهل يجبُ على مَن عرفَ المذكورين ومذهبَهم أن يشهِّرَ أمرَهم ويساعدَ على إبطالِ باطلهم وإظهارِ الإسلامِ بينهم، فلعلّ أنّ اللّهَ يجعلُ ذرّيتهم وأولادهم مسلمين ، أم يجوزُ له التغافل والإهمال؟

«وما أجْرُ المجتهدِ على ذلك والمجاهد فيه والمرابطِ والعازمِ عليه؟

«وابسطوا القولَ في ذلك مثابين مؤيدين مأجورين.

«هؤلاء القوم الموصوفون المسمّون بالنّصيريّة، هم وسائر أصنافِ القرامطة الباطنيّة، أكفرُ منَ اليهودِ والنصارى، بل وأكفرُ من كثيرٍ منَ المشركين. وضررُهم على أمّةِ محمّد أعظمُ من ضرر الكفّارِ المحاربين، مثل كفّارِ الترك والإفرنج وغيرِهم. فإنّ هؤلاء يتظاهرون عند جهّالِ المسلمين بالتشيّعِ وموالاة أهلِ البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون باللّهِ ولا برسولهِ ولا بكتابهِ ولا بأمرٍ ولا بنهيٍ ولا ثوابٍ ولا عقابٍ ولا جنّةٍ ولا نار، ولا بأحدٍ من المرسَلين قبل محمّد، ولا بملّةٍ من الملل السالفة، بل يأخذون كلامَ اللّه ورسولِه المعروفَ عندَ المسلمين يتأوّلونه على أمورٍ يُقرّونها ويدّعون بأنّها علمُ الباطنيّة...

«ليس لهم حَدٌّ محدود فيما يدّعونَه من الإلحادِ في أسماءِ اللّه وآياته، وتحريفِ كلام اللّه ورسولِه عن مواضعه. إذ مقصودُهم إنكارُ الإيمان وشرائعِ الإسلام بكلِّ طريق، مع التظاهرِ بأنَّ هذه الأمورِ حقائقٌ يعرفونها...

«ولهم في معاداةِ الإسلامِ وأهلِه وقائعُ مشهورةٌ وكتبٌ مصنَّفة. فإذا كانتْ لهم مُكْنَةٌ سَفكوا دماءَ المسلمين، كما قتَلوا مرّةً الحُجّاجَ وألقَوهم في زمزم، وأخذوا الحجرَ الأسودَ وبقي معهم مدّةً، وقتلوا من علماءِ المسلمين ومشايخِهم وأمرائِهم وصدورِهم مَنْ لا يُحْصِي عَدَدَهُم إلاّ اللّهُ تعالى. وصنّفوا كتباً كثيرة فيها... وصنّفَ علماءُ المسلمين كتبًا في كشفِ أسرارهم وهتكِ أستارِهم، وبيّنوا ما هم عليه من الكفرِ والزندقة. وبالإلحادِ الذين هم فيه أكفرُ منَ اليهود والنصارى، ومن براهمةِ الهندِ الذين يعبدونَ الأصنام...

«ومن المعلوم عندهم (أي عند علماء المسلمين) أنّ السواحلَ الشاميّة إنّما استولى عليها النصارى من جهتهم (أي من جهة النصيريّين)، وهم دائماً مع كلِّ عدوٍّ للمسلمين. فهم مع النّصارى على المسلمين. ومِن أعظم

المصائبِ عندهم انتصارُ المسلمين على التتار. ومن أعظم المصائبِ عندهم فتحُ المسلمين الساحلَ وقهرُ النصارى. ومن أعظم أعيادِهم إذا استولى–والعياذ باللّه– ألنصارى على ثغورِ المسلمين. فإنّ ثغورَ المسلمين ما زالتْ بأيدي المسلمين حتى جزيرةِ قبرص فتحَها المسلمون في خلافةِ أميرِ المؤمنين عثمان بن عفّان، فتحها معاوية بن أبي سفيان، إلى أن أتت المائة الرابعة، فإنّ هؤلاء المحادّين (أي المُعَادين) للّه ورسولِه كثروا حينئذ بالسواحل وغيرها، فاستولى النصارى بسسببهم. ثمّ استولى على القدس وغيره. فإنّ أحوالهم كانت من أعظمِ الأسباب (المؤدّية إلى استيلاء النصارى على القدس والشام).

«ثمّ لمّا أقامَ اللّهُ ملوكَ الإسلام، كنورِ الدين الشهيد (نور الدِّين زنكي (ت ١١٧٤م) وصلاحِ الدِّين (ت ١١٩٣م) وأتباعِهما، وفتحوا الساحلَ من النصارى (الصليبيين) وممّن كان بها منهم، فتحوا أيضاً أرضَ مصر، فإنّهم كانوا مُتَوَلِّينَ عليها نحو مائتي سنة[٨]، واتّفقوا هم والنصارى. فجاهدهم المسلمون حتى إنّهم فتحوا البلاد. ومن ذلك التاريخ انتشرتْ دعوة الإسلام في البلاد المصريّة والشاميّة. ثمّ إنّ التتار إنما دخلوا بلاد المسلمين، وقتلوا خليفةَ بغداد وغيرَه من ملوك المسلمين بمعاونتهم ومؤازرتهم، فإنّ منجِّمَ هلاكو سلطانِ التتار[٩] الذي كان وزيرَه النصيرُ الطوسي بالألَمُوتْ، هو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء.

«وشرح مقاصدهم يطول، كما قال العلماء فيهم: ظاهرُ مذهبهم الرَّفض، وباطنه الكفرُ المحض، وحقيقةُ أمرِهم أنّهم لا يؤمنون بشيء من الأنبياء والمرسَلين، لا بنوحٍ ولا بإبراهيم ولا موسى ولا عيسى، ولا محمّد،

---

(٨) يقصد الفاطميّين الذين استولوا على مصر والمغرب.

(٩) هولاكو (ت ١٢٦٥م) فاتح مغولي أخضع أمراء الفرس والإسماعيليّة في قلعة ألموت ١٢٥٦م، وقضى على الخلافة العباسيّة في بغداد ١٢٥٨م، واحتلّ سوريا.

ولا بشيءٍ من كـتـبِ اللّه المنزلة، ولا التـوارةِ ولا الإنجـيل ولا القـرآن. ولا يُقرّون بأنّ للعـالَمِ خالقًا خَلَقَه، ولا بأنّ له دينًا أمـرَ به، ولا أنّ له داراً يُجزَى الناسُ فيها على أعمالهم غيرُ هذه الدار.

«وهم تارةً يَبنون قولهم على مذاهب المتفلسفة الطبيعيّة أو الإلاهيّين، فإنّهم تارة يبنونه على قولِ المتفلسفـة وغرضِ المجوس الذين يعبدونَ النورَ ويُضحـون إلى درك الكفر والرفض، ويحـتّجون لذلك من كـلام النبوّات... وقد دخل كثيرٌ من باطلهم على كثيرٍ من المسلمين... وفيه (في باطلهم) أيضاً جَحْدُ شرائعه (شرائع اللّه) ودينه، وجـحدُ ما جاء به الأنبياء، والدّعْوَىَ أنهم كانوا من جنسِـهم طالبين الرئاسة. فـمنهم مَن أحسنَ في طلبـها، ومنهم من أساءَ حتى قُتل... وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزّكاة والصوم والحجّ ومن تحليلِ نكاحِ ذواتِ المحارم وسائرالفرائض ما يطول وصفُه.

«وفيهم أشـارات ومخاطبات يَعـرف بعضُهم بعضـاً. وهم، إذا كانوا في بلاد الإسلام التي يكثر فيها أهلُ الإيمان، فقد يخفون على مَن لا يعرفهم. وقد اتّفق علماء الإسلام على أنّه مِثل هؤلاء لا تجوز مناكحتُهم، ولا يجوز أن يَنكح الرجلُ مـولاته منهم، ولا يتزوّج منهم امـرأةً، ولا تُباح ذبائحـهم. وأمّا الجُبن (فـمخـتلف فيـه بين المذاهب. منهم من ينجّـسه ومنهم من يسـمح به ولكن على حذر). وأمّـا أوانيهم وملابسـهم...فـلا تستعمل إلاّ بعـد غسْلها... ولا يجوز دفنُهم في مـقابرِ المسلمين، ولا يصَلّى على مَن مـات منهم... وأمّا اسـتخـدامُ مثلِ هؤلاء في ثـغورِ المسلمين أو حـصونِـهم وجندِهم فهـو من الكبـائر، بمنزلةِ مَن اسـتـخَـدم الذئابَ لرعي الغـنم، فإنّـهم من أغشِّ الناسِ للمـسلين ولولاة أمرهم، ومن أحـرصِ الناس على فسـادِ الملّة والدولة، ومن أحرصِ الناس على تسليم الحصون إلى أعداءِ المسلمين...

«لكن دماؤهم وأموالهم مباحة، واذا أظهروا التوبةَ، ففي قَبولِها منهم نزاع بين العلماء... ولا ريبَ أنّ جهادَ هؤلاء من الحدود عليهم أعظم الطاعات

وأكبر الواجبات... ولا يحلّ لأحد أن يكتم ما يعرفُه من أخبارهم. بل يفشون أخبارَهم ويظهرونها ليعرف المسلمون حقَّ حالهم... ولا يحلّ لأحد أن يعاونهم على بقائهم في الجند والمستخدمين. ولا يحلّ لأحد أن ينهي عن القيامِ عليهم بما أمرَ اللّه ورسوله. فانّ هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد في سبيل اللّه تعالى»(١٠).

***

بعد هذه الفتوى بوقت قصير مرّ الرحالة ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) ببلاد الشام وأخبر عنهم ما أخبر. فكتب:

«وأكثر أهل هذه السواحل هم الطائفة النصيريّة الذين يعتقدون أنّ عليّ بن أبي طالب إله. وهم لا يصلّون ولا يتطهّرون ولا يصومون. وكان الملك الظاهر (ت ١٢٢٦م) ألزمهم بناءَ المساجد بقراهم. فبنوا بكلّ قرية مسجداً بعيداً عن العمارة، ولا يدخلونه ولا يعمروه. وربّما أوَتْ إليه مواشيهم ودوابُّهم، وربّما وصل الغريب إليهم، فينزل بالمسجد، ويؤذّن للصلاة، فيقولون له: لا تنهقْ! عَلَفُكَ يأتيك. وعددُهم كثير»(١١).

ويخبر ابن بطوطة عنهم أيضاً بأنّ الإمام «أمرهم بالتجهيز لقتال المسلمين وأن يبدأوا بمدينة جَبْلة... فغدروا بمدينة جَبْلة، وأهلُها في صلاة الجمعة، فدخلوا الدُّورَ، وهتكوا الحريم. وثار المسلمون من مسجدهم فأخذوا السلاح وقتلوهم كيف شاؤوا... حتى قتلوا منهم نحو عشرين ألفاً، وتحصّن الباقون بالجبال، وراسلوا ملكَ الأمراء والتزموا أن يعطوه ديناراً عن كلّ رأس إنْ هو حاول إبقاءَهم... (ووصل) الخبر إلى الملك الناصر، وصدر

---

(١٠) تجد هذه الفتوى لابن تيمية في «مذاهب الإسلاميين» لعبد الرحمن بدوي، جـ٢ ص ٤٤٥–٤٥٧. وفي: S.Guyard, J.A. 6°, XVIII

(١١) إبن بطوطة في رحلته، دار صادر، بيروت ١٩٦٤، ص ٧٩–٨٠.

جوابه أن يحمل عليهم بالسيف. فراجعه ملك الأمراء وألقى له أنّهم عمّال المسلمين في حراثة الأرض، وأنّهم إنْ قُتِلوا ضَعفَ المسلمون لذلك، فأمر بالإبقاء عليهم»[١٢].

***

وفي الباكورة السليمانيّة إشارةٌ واضحة إلى العداء المستحكَم بين النصيريّين والمسلمين. فالنصيريّون، في صلواتهم، «يطلبون من ربّهم لأجل إبادةِ حكّام المسلمين»[١٣]، «وإذا دخلوا المسجدَ مع المسلمين فلا يتلون من الصلاة شيئاً، بل يخفضون ويرفعون مثلهم، ويشتمون أبا بكر وعمر وعثمّان وغيرهم»[١٤]. وإذا مات شرفاء المسلمين الراسخون في العلم «تحلُّ أرواحُهم في هياكل الحمير»[١٥].

***

بيد أنّ نصيريّي اليوم، وقد علّمهم التاريخ دروساً قاسية، وحطّم كيانهم السياسي، وفتك بمئات الألوف منهم، وقهر عزّتهم، رجعوا إلى مبادئ «التقيّة» وستروا حقيقةَ إيمانهم، وحفظوا سرّ مذهبهم، ليصونوا أنفسهم. فاستجدُوا من المسلمين فتوى انتمائهم إلى الإسلام. فجاء على لسان الحاج أمين الحسيني بتاريخ ٢٢ محرّم سنة ١٣٥٥ هـ ما يلي:

«إنّ هؤلاء العلويّين مسلمون، وإنّه يجب على عامّة المسلمين أن يتعاونوا معهم عل البرّ والتقوى، ويتناهوا عن الإثم والعدوان، وأن يتناصروا جميعاً، ويتضافروا، ليكونوا قلباً واحداً، في نصرة الدين، ويداً

(١٢) المرجع نفسه، ص ٨٠.
(١٣) الباكورة السليمانيّة، ص ٥٣-٥٤.
(١٤) الباكورة السليمانيّة، ص ٨٢.
(١٥) المرجع نفسه، ص ٨١.

واحـدة في مصـالح الدين، لأنّهم إخـوان في الملّة، ولأنّ أصـولَهم في الدين واحدة، ومـصـالحَهم في الـدين مشتـركة، ويجب على كلٍّ منهم، بمقـتضى الأخوّة الإسلاميّة، أن يُحِبَّ للآخَر ما يُحِبُّ لنفسِه. وبالله التوفيق»[١٦].

وتجاوبَ النـصيريّون مع هـذه الفتوى المدهِـشة، وأعلنوا إسـلامَهم قائلين: «نحن الموقِّعين، الشيوخ الروحيّين المسلمين العلويّين، دحضًا لما يُشاعُ عن أنَّ المسلمين العلويّين غيـرُ مسلمين، وبعدَ التـداول بالرأي، والرجوعِ إلى النصوص الشرعيّة، قرّرنا البندَين الآتِيين:

١ – كلُّ علويٍّ هو مسلم، يعتقدُ بالشـهادتَين، ويُقيم أركانَ الإسلام الخمس.

٢ – كلُّ علويّ لا يعـترفُ بإسـلاميّـتـه، وينكر أنّ القرآن الشـريف كـتابَه، وأنّ مـحمّـد نبيّـه، فلا يعـدّ بنظر الشـرع علويًا، ولا يصحّ انتسـابُه للمسلمين العلويّين».

ويلي هذا البـلاغ أسمـاء الشيوخ المـوقِّعين[١٧]. وكان ذلك في شـهر تموز سنة ١٩٣٦.

وفي شـهر آذار سنة ١٩٨٠ أعلن حـافظ أسد انتـماءه إلى الإسـلام «منذ ثلاثين سنة».

***

وأمّا انتـماؤهم إلى العروبة فليـس أفضل من انتمـائِهم إلى الإسلام. فـهم، إنْ أعلنوا عروبتـهـم بالصراخ والـضجـيج، فلن يتـمكّنوا من محـو

---

(١٦) عن جـريدة الشعب الدمـشـقيـة ٣١ تموز سنة ١٩٣٦؛ نقـلاً عن منير الشـريف، المسلمون العلويّون مَن هم؟ وأين هم؟ ص ١٠٧.

(١٧) عن جريدة القبس ٢٧ تموز ١٩٣٦؛ نقلاً عن منير الشريف، ص ١٠٨.

تعـاطفهم مع إيران، هـذا البلد الذي كان أوّلَ مَن اعـتـرفَ بحقٍّ عليّ بن أبي طالب، وأوّل مَن عاونهم على غلبتهم على العرب. وكذلك كان عداؤُهم للعرب منذ نشأتهم. فالنصـيريّون «يظهرون انجذاباً للإيرانيّين أكـثر ممّا يظهرونه للعرب والأتراك المحيطين بهم»[١٨]، و«قَبْلاً لم يقبلوا أحدًا من الطوائف الغريبة إلاّ إذا كان من العجم»[١٩]. واليوم، كـما بالأمس، يناصـرون ثورةَ إيران مع الخميني، وحربَ إيران ضدّ العراق والعرب...

وقُبيل حرب حزيران سنة ١٩٦٧، حذّرَ الملـك فيصَل عاهلُ السعوديّة من التعـاونِ مع علويّي سوريا. فأعلن الســادات هذا السرّ في خطاب ١ أيّار سنة ١٩٧٩، عندمـا قال بالحـرف الواحد: «إنّ الألغـامَ قد أُزيلت يومَـها من هضَبة الجـولان والقنيطرة قبلَ دخول الإسـرائيليّين، وإنّ السلطة قد بادرتْ إلى إعدام الضابط الذي أعلن عن سقوط الجولان قبل سقوطه»[٢٠].

يبدو، من هذه الشـهادات، أنّ حظّ العروبة، عند النصـيريين، لم يكن بأحسن ممّا هو مع الإسلام. لقد طَعَنُوا بالإثنينِ معـاً. لكنّ مصلحتَهم تقضي اليومَ بحَـملِ ألويةٍ متنوّعـةٍ كألوانِ قوس قـزح. فهم يحملون بحـماس لواءَ الإسـلام، ولواءَ العـروبة، ولواءَ القضيـة الفلسطينيّة، ولواءَ محـاربة العدوّ المشـترك، ولواءَ الأردن والعراق، ولكنّ اللّه وحده يعلم بواطن الأمور وأسـرار الدّهور.

لسنا في مجال توجيهِ أيّ لومٍ وأيّة تهـمة للعلويّين النّصيريّين، لأنّهم شعبٌ يريد البـقاء. فهم أقليـة مقهـورةٌ، على مدى التّاريخ، وسطَ أكـثريّاتٍ تضمـرُ لهم الإبادةَ والزوال. ولئن حملوا كلَّ هذه الألوية فلكي يحـتاطوا من أجل الحيـاة. وطلبُ الحيـاة غايةُ الغايات، وهدفٌ أعظم مـن أيّ وسيلة. وفي

---

(١٨) M. Ern. Chantre, *Archives des Missions scientifiques*; 1883, p. 228; 1897; p.140.

(١٩) الباكورة السليمانيّة، ص ٨١.

(٢٠) أنظر الجرائد اللبنانية اليوميّة كلّها في ٢ أيّار سنة ١٩٧٩.

كلٍّ حال لقد شهد لذكائهم عدوٌّ لهم لدود، فقال: «ويتمتّعون في غالبيّتهم بقسطٍ وافرٍ من الذكاء، وقد عرفوا كيف يتصرّفون بمهارة، فباتوا يتمتّعون بنفوذ راجح في داخل الدولة والحزب والإدارة»[٢١].

---

(٢١) كمال جنبلاط، هذه وصيّتي، ص ١١٥.

ثالثاً - النصيريّة والدرزيّة

لم تسلمِ العلاقـةُ بين النصيريّين والدروز. فهم، على كـونهم أقلّيّتَين مضطهَـدَتَين من الأكثريّةِ المسلمـة، اضطهَدوا بعـضهم بعضـاً منذ نشأتهم. وشرّ الاضطهـاد ذاك الذي ينطلق من الدِّين. هذا لن يسـتطيعَ التاريخُ مـحوَ آثاره، لأنّه مسجَّل في كتبٍ مقدسة.

وفيـما نـحن نبيّن الخـلافَ بين الدّيانتَين نقتـصرُ على الخـلاف في العقيدة، كما جاء في كتبهما.

كتب حمزةُ بن علِي بن أحمد (ت ٤١١هـ) نبيُّ الموحّدين الدروز كتابًا سمّـاه: «الرسالة الدامـغة للفـاسق. ألرّدُّ على النّصيـريّ. لعنَه المولَى في كلِّ كَور ودَور»[٢٢]. جاء فيه:

«وردَ إليّ كـتابٌ ألَّفَـه بعضُ النصيـريّةِ الكافرين بمولانا جـلَّ ذكرُه، المشركِين به، الـكاذبين عليه، الغاوي للـمؤمنين والمؤمنات، الطالبُ الشـهواتِ البهيميّـة، وبرازةِ الطبيعيّة؛ ودينُه دينُ النصيريّة الدَّنِيَّـة، فعليه وعليهم لعنةُ مولانا سـبحـانه، ولعنةُ الخنازير[٢٣] العابدين لإبليس[٢٤] وحزبه. وسـمّاه: كـتابُ الحـقائق وكـشفُ المحجـوب. فَمَن قَـبِلَ كـتابَه عَـبَدَ إبليس، واعـتقـد التناسخ[٢٥]، وحلّل الفروج[٢٦] واستـحلّ الكذب[٢٧] والبـهتـان. ونسبـه إلى

---

(٢٢) رسالة رقم ١٥ من «رسائل الحكمة »، جزء ٢، ص ١٦٣-١٧٥.

(٢٣) الخنازير كناية عن أهل التنزيل، أو أهل الظاهر، وهم أهل السنّة.

(٢٤) إبليس هو صاحب التنزيل والظاهر، أي: محمّد.

(٢٥) يعتقد النصيريّون بالتناسخ، فيما الدروز يعتقدون بالتقمّص.

(٢٦) جاء ذلك في «فرق الشيعة» للنوبختي، ص ٧٨.

الموحّدين الحقيقيّة. وحاشا دين مولانا عزّ وجلّ من المنكرات. وحاشا الموحّدين[٢٨] من الفاحشات. وحاشا لعبيد مولانا سبحانَه أن يُنسَبَ إليهم شيءٌ من الشهوات البهيميّة الدَّنِيّة، والأقاويل الشِّركيّة[٢٩]...

«فلمّا قرأتُه وجبَ عليَّ الاحتياطُ عليكم معشرَ الإخوان والحفظُ لأديانكم، فكتبتُ هذه الرسالة ردًا على ما ألّفه هذا الفاسقُ النّصيريّ، لَعَنَهُ المولى، كيلا يدخلَ في أديانِكم شبهةٌ، ولا يقعَ عليكم تهمة.

«فأوّل ما قال هذا الفاسق النصيري، لَعَنَهُ المولى، بأنّ جميعَ ما حرّموه من القتلِ والسرقة والكذب والبهتان والزنا واللّياطة فهو مطلق للعارِفِ والعارفة بمولانا جلَّ ذكره.

«فقد كذّبَ بالتنزيل والتأويل[٣٠]، وحرّف، وما جاز له أن يسرق مالَ الناس، ولا وسعةَ له في الدّين أنْ يَكذِبَ، إذْ كان أصْلُ دِيْنِه الكَذِب وأصلُ الكفرِ والشرك. والسدقُ[٣١] من الأيمان كالرأسِ من الجسد. والقتلُ فما يستحسنه أحدٌ إلاّ أن يكونَ كافراً بنعمةِ مولانا، مشرِكاً به غيرَهُ.

«وأمّا قوله: إنّه يجبُ على المؤمن أن لا يمنع أخاه من مالِه ولا مِن جاهه، وأنْ يُظهِرَ لأخيه المؤمن عيالَه، ولا يعترض عليهم فيما يجري بينهم، وإلاّ فلا يتمّ إيمانه، فقد كذِبَ، لَعَنَهُ اللّهُ، وسرِقَ الأوّلَ من مجالسِ الحكمة[٣٢] بقوله: "لا يمنع أخاه من ماله ولا من جاهه، ويستر بذلك كفرَه وكذبَه. وإلاّ فمن لا يَغَارُ على عِياله فليس بمؤمن... إذ كان الجماعُ ليس هو من الدين...

(٢٧) والدروز أيضاً يفرضون الكذب، ولكن مع غيرهم.

(٢٨) الموحِّدون هم الدروز، وهو الاسم المفضّل لديهم.

(٢٩) يكمّل حمزة في عرض ما جاء في كتاب النصيري من تعاليم دنيّة، ويحذّر منها.

(٣٠) التنزيل هو شريعة محمّد وأهل السنّة، والتأويل شريعة علي وشيعته.

(٣١) عادة ما تكتب هذه الكلمة بـ « السين» لا بـ «الصاد» لتناسب عدداً معيّنًا...

(٣٢) مجالس الحكمة حيث يجتمع الموحِّدون ليقرأوا رسائل الحكمة المقدسة.

«وأمّا قـوله بأن يجب على المؤمنة لا تمنعُ أخـاها فَـرْجَهَا وأن تـبذلَ فـرجَهـا له مُبَـاحًا حـيثُ يشـاء، وأنّه لا يتمّ نكاحُ البـاطن إلاّ بنكاحِ الظاهر، ونسبَهُ إلى توحيدِ مولانا جلّ ذكره، فـقد كذبَ على مولانا عزّ اسمُه، وأشركَ به، وألحدَ فيه، وحرَّفَ مقالةَ أوليائه الموحِّدين.

«فعليه وعلى مَن يعتقدُه لعنةُ اليهودِ والنصارى والمجوس. فطلبَ هذا الفـاسقُ التهـمة في أبـدانكنّ، والفسـادَ في أديانكنّ. ولو نظرتُنّ، مـعاشـرَ الموحِّدات، في الأديانِ المضلّة، لـبانتْ لكنَّ الحقـائق، وامتنعتُنَّ عن الشـهواتِ والبوائق، وتفكّرتُنَّ في المجالسِ الباطنيّة التـأويليّة... فَعَلِمْنَا بأنّه لم يكنْ لهذا الفاسقِ النّصـيري، لَعْنَةُ المولى عليـه، بُغيَةٌ غـيرَ الفسـاد في دينِ مولانا جلّ ذكره ودين المؤمنين[٣٣]...

«وأمّـا قـوله بـأنّ أرواحَ النّواصب والأضـداد[٣٤] ترجع في الكلاب والقـردة والخنازير... وبعـضَهـم في الطيرِ والـبوم، وبعـضَـهم ترجع إلى الامرأة التي تثكل ولدها. فقد كذّب على مولانا»[٣٥]...

ثمّ يتّهم حمـزةُ النصيريَّ الذي يعبـدُ عليًا ويعتبـرُه إلهاً، ويقول: «لا يكون في الكفرِ أعظمُ من هذا... والكفرُ ما اعتقدَه الفاسقُ من العبادة في عليّ بن أبي طالب والجحود لمولانا جلّ ذكره...

«وأمّا قوله بأنّ محمّد بن عبد الله هو الحجابُ الأعظم... فقد كذب في جميع ما قاله المَنْجُوسُ النصَيـري، فما عرفَ الدّينَ ولا الحجابَ... وهذا قولُ مَن عَقْلُهُ سخيفٌ ودِينُهُ ضعيف»...

---

(٣٣) يستفيض حمزة في الشتم بسبب تحليل النصيري فروج النساء لكلِّ أخٍ في الدين.

(٣٤) النواصب هم المسلمون السنّيّون، والأضداد هم كلّ ملحد مشرك.

(٣٥) يضحد حمزة نظرية التناسخ في الحيوانات ويكفّر القائلين بها...

هذه الرسالة تكفي للدلالة على ما بينَ الدروز والنصيريّين من خلاف في الدين. وهي تدلّ أيضاً على معرفةٍ متبادلَة واحتكاكٍ مباشر بين الشعبَين. وقد حدث هذا الاحتكاك في جبلِ السمّاق جنوبي غربي حلب، وفي بانياس الجنوبية ووادي التَّيم. وكانتِ النتيجةُ أن هجرَ الدروزُ من جبل السمّاق، وهجرَ النصيريّون من جنوبي سوريا ووادي التّيم إلى جهات وادي النصارى.

وفي التاريخ سيعودُ الخلافُ بين الشعبَين لينبعثَ انتقاماً دفيناً. وسترى ذلك عند كلامنا على حملة ابراهيم باشا المصري، وعند تخلّي الحكم العلوي عن الجولان وبعض حوران للإسرائيليين، وأيضاً في دخول الجيوش السوريّة العلويّة إلى لبنان، وقتلهم كمال جنبلاط في عقر داره، وهو الزّعيم الدّرزيّ بلا منازع.

رابعًا – النصَيريّة والمسيحيّة

حدثَ في أواخر القرنِ التاسع عشر وأوائل القرن العشرين جدالٌ علميٌ رصين حولَ نشأةِ النصيريّين وانتمائِهم الدّيني، بين مُستشرقَين كبيرَين: الأب «هنري لامَنْس» Henri Lammens الرّاهب اليسوعي، والباحث الفرنسي الشاب «رينْه دُوسُّو» René Dussaud. الأوّل رأى في النصيريّين بقايا نَصارى انقطعوا في جبالهم الوعرة عن الكنيسة الأمّ وعقائدها؛ والثّاني رجعَ بهم إلى الوثنية–الفينيقيّة وعاداتها. وكان لكلٍّ منهما حججه وبراهينُه. وجاء بعدَهما، في أواسطِ القِرن العشرين، المستشرق« لويس ماسّينيون» Louis Massignon، آخِذًا بنظرّيات «الشهرستاني» و«النوبختي» و«البغدادي»، ليردّهم إلى الحظيرةِ الإسلاميّة، فاعتبرهم من «غلاة الشيع الإسلاميّة»[٣٦].

في هذا الفصل نعالج الصلة بين النصيريّة والمسيحية، ونقف عند رأي الأب «لامنس»، الذي يؤكّد في قوله: «كما أنّ لبنانَ أصبحَ ملجأ الموارنة، هكذا أصبح جبلُ السماق، أبّانَ الفتح الإسلامي، اذ اعتنقَ موئلاً للنصيريّة»[٣٧].

---

(٣٦) راجع في مجمل هذا الفصل:

R. Dussaud, *Histoire et Religion des Nosairis,* Ed, E. Bouillon, Paris 1900, XXXV - 211pp.

H. Lammens, *Les Nosairis furent-ils chrétiens?* Rev. de l'Orient Chrétien, Beyrouth, 19OO.

Les Nosairis, Notes sur leur Histoire et leur Religion, Etudes, Août 1899 n°16

Les Pays des Nosairis, Musée Belge, 1900

Notes de Géographie syrienne, Mélanges de la Faculté Orientale, Beyrouth, 1906

L. Massignon, Opera Minora, Liban 1960..

الشهرستاني، *الملل والنحل*، ١/ ١٨٨–١٩٠؛ النوبختي، *فرق الشيعة*، ص ٧٨؛ البغدادي، *الفرق بين الفرق*، ص ٢٥٣–٢٥٥....

ويقول عن النصيريّة أيضاً: «إنّهم يَدينون كثيرًا من الإنجيل، ولا شيءَ من القرآن»[٣٨].

وحججه على ذلك كثيرة. فهو عند «زيارةِ القسم الشمالي لهذه المنطقة (من سوريا)، كنّا نُدهَشُ من كثرةِ الخرائب المسيحيّة»[٣٩]. وأثناء جولته في البلاد النصيريّة، استطاعَ اكتشافَ ٥٩ أثرًا مسيحيًا[٤٠] من صلبانٍ وكتاباتٍ وخرائب كنائس وقبورٍ ونواويس[٤١].

ورأى أيضاً في عقيدة الثالوث الإلهي عندهم[٤٢]، وفي عقيدة التجلّي والظهور بقايا من العقيدةِ المسيحيّة[٤٣]؛ وكذلك في عددِ النقباء الإثني عشر[٤٤] تقارباً مع عدد رسلِ المسيح؛ وأيضاً في السقطة الأولى حيث هبطتِ النفوسُ الخيّرة من السماءِ إلى الأرض وأضحتْ عرضةً لأعمال الشرّ[٤٥]...

وفي الاحتفالاتِ الليتورجيّة قامَ الأبُ «لامنس» بمقارنة صريحة بين الممارسات المسيحيّة والنصيريّة. فلفظة «قدّاس»[٤٦]، واستعمال الخمرة وتحليلها[٤٧]، وشربها، وظهور اللّه فيها[٤٨]، واستعمالِ البخور والشموع[٤٩]... هي أمور مشتركة.

---

(٣٧) Etudes, p. 470, v.483.

(٣٨) Op. cit. p. 491

(٣٩) Op. cit. p. 470...

(٤٠) *Les pays des Nosairis*, 278-322...

(٤١) *Les Nosairis furent-ils chrétiens*, 1-18...

(٤٢) Etudes, p. 482-483

(٤٣) Etudes, p. 483

(٤٤) Op. cit. p. 484..

(٤٥) Op. cit. p. 486

(٤٦) Op. cit. p. 490..

(٤٧) Op. cit. p. 491.

(٤٨) Op. cit. p. 491.....

«أضف إلى ذلك روزنامة الأعياد المسيحيّة التي تحتلّ مكاناً هامًا كعيدِ الميلاد، والغطاس، والفصح، وأحد الشعانين، والعنصرة، دون حساب أعياد القديسين»(٥٠) كـ «عيد القديسة بربارة ، وأعياد القديس يوحنا فمّ الذهب، والقديسة كاترينا(٥١)، وعيد رأس السنة الذي يعتبرونه ويحيطونه بكثير من الفخامة»(٥٢).

و«يحملُ النصيريّون، برضىً، أسماءَ مسيحيّة، مثل: متّى وجبريل وسبيريدون وكاترين وهيلانة. إنّها أسماء غير مستحبّة لدى سائر الفرق الإسلامية»(٥٣).

وعرفَ الأبُ «لامنس»، خلال رحلاته في البلاد النصيريّة، أنّ النصيريّين لا يكنّون للمسيحيين أيّةَ عداوة. فـ «أهل جبل السمّاق ليست عندهم علامةُ الإسلاميّين المميِّزة لهم وهي: بغض المسيحيّين. فالسنّة والشّيعة يتباغضون، ولكنّهم يجتمعون ضدّنا. فيما النصيريّون لا يغذّون ضدّنا أيّةَ نظرة بغض. وقد سمعتُهم مراراً يقولون: إنّهم يودّون الموتَ على دين المسيح، أو على دين عيسى. وهم، في أيّامنا هذه، يزورون معابدَنا، ويستشيرون الكهنةَ المسيحيّين، وَيقبَلون من أيديهم الماءَ والأواني المباركة، كما اختبرتُ ذلك بنفسي»(٥٤).

ورأى «لامنس» أنّ اللعنة التي يُطلقها النصيريون على يوحنّا مارون أوّل بطريرك على الموارنة (ت ٧٠٧م)(٥٥)، ليست من صنعهم، لأنّ الرّوم

(٤٩) Op. cit. p. 487- 488.....

(٥٠) Op. cit. p. 491..........

(٥١) يسمّي النصيريّون بناتهم باسم «كاترينا»، أنظر: Op. cit. p. 476, N°1

(٥٢) Op. cit. p. 476.............

(٥٣) Op. cit. p. 491............

(٥٤) Op. cit. p. 491 - 492....

الأورثوذكس والملكانيّين، في سوريا، قد أطلقوها قبلَهم، منذ القرن التاسع. وكتُبُهم مليئةٌ منها. وذلك بسببِ عصبيّتهم ضد الموارنة أنصارِ المجمعِ الخلقيدوني المسكوني الرابع (٤٥١م) الذي حُرِمَتْ فيه عقيدةُ الطبيعة الواحدة(٥٦).

فالأب «لامنس» يبرِّئ النصيريّين من هذه اللعنة، لأنّ «المؤسساتِ المارونيّة في جبل السمّاق، حيث يُوجَدُ نصيريّون، لم تكن كثيرةً (لتكون فاعلة)، ولم تكن قديمةَ العهد لتكون باقية. ففي الأمر صدًى بعيدٌ لجدالٍ كبيرٍ بين الموارنةِ والملكانيّين سابقٍ للقرن التاسع»(٥٧).

مع هذا ينتقدُ الأب «لامنس» ما جاء في قول رينان: «إنّ النصيريّين يعبدون كإلهٍ القديسَ مارون، شفيعَ الموارنة، الذي أصبح، كمار أنطون، صانعَ معجزاتٍ، ذا شهرةٍ واسعة في معتقدِ جميع الفِرق»(٥٨). ويعلّق «لامنس» على هذا القول: «من غير الممكن أن نرى مغالطاتٍ بهذا القدر في أسطر قليلة»(٥٩).

ويخلص الأبُ «لامنس» إلى القول: «إنّي أقرّ بأنّني لم أعرف إلاّ تفسيراً واحداً يُرضي، وهو: إنّ النصيريّين كانوا نصارى»(٦٠).

***

لنا على رأي الأب «لامَنس» ملاحظات عدّة:

١. في كلِّ ما كتبَ الأب «لامنس» عن النصيريّين لا نجدُ أيَّةَ إشارةٍ

---

(٥٥) سورة الشتائم، أنظرها في هذا البحث.

(٥٦) Etudes, p. 475........

(٥٧) Op. cit. p. 476.....

(٥٨) E. Renan, *Mission de Phénicie*, 114.....

(٥٩) Etudes, p. 475 n° 8....

إلى مرجعٍ نُصَيريٍّ واحد. لم يطّلعِ الأب «لامنس»، على أيٍّ مخطوطٍ أو كتابِ للنصيريّين. فهو لم يستشهدْ بواحدٍ منها، على كثرتِها ووجودِها في المكتبةِ الوطنيةِ بباريس. وهو لم يستقِ معلوماتِه عن النصيريّة من كتبِ النصيريّين، بل من كتبٍ وضعها باحثون. فكان مرجعُه الأساسي سليمان الاذني المرتدّ. ومرجعُه الثاني جولاتُه ورحلاتُه في بلاد النصيريّين، ورؤيتُه الخِرَبَ المسيحيّة في مختلفِ قراهم. ثمّ أحاديثُه معهم، وقولُهم له بأنّهم نصارى وأصلهم نصرانيّ...

نقول: لقد غابَ عن الأب «لامنس» أنّ التّقيّةَ عندهم مذهبٌ ومبدأ. به تنقلبُ الحقائقُ أكاذيب، والأكاذيبُ حقائق، والصدقُ كذبًا، والكذبُ صدقاً. عِلمًا بأنّه عرف ذلك عن الباطنيّين بوجه العموم، حيث «النفاقُ، على حدّ قوله، يسمو إلى مرتبةِ المبدأ»[٦١]، وحيث «إفشاءُ الحقيقة سمٌّ قاتل»[٦٢]....

٢ . ثمّ إنّ كثرةَ المعالم المسيحية في بلاد النصيريّين لا تعني أنّ أصلَ النصيريّين مسيحيّ؛ إذ قد يُهَجَّرُ سكّانُ قريةٍ مسيحيّة عن بكرة أبيهم وَيَحلُّ مكانَهم آخرون على غيرِ دينهم، وتبقى فيها آثارٌ وخِربٌ وكنائسُ وصلبانٌ وأديار وكتاباتٌ هي بمثابةِ أطلالٍ مندرِسَة. قد يغفلُ الأب «لامنس»، بعقليته الأوروبيّة، عن أمرِ «التهجير» الذي حدث، في الشرق، ويحدثُ مراراً وتكراراً. وما زالَ يحدثُ في أيّامنا هذه... فماذا يقول مثلاً عن موارنةِ جبلِ سمعان وأفاميا في القديم. هل سكّان هاتين المنطقَتين اليوم هم موارنة مرتدّون إلى الإسلام؟!.. إنّ عمليّات التهجير الدّيني لن يفهمَها الغربيّ بذهنيّتِه، إذ لم تحدثْ حروبُ إبادة، في أوروبّا، كما حدثتْ وتحدثُ عندنا.

٣ . هل يدلّنا الأب «لامنس» على مسيحيٍّ واحدٍ شذّ في عقيدته

---

(٦٠) ......Op. cit. p. 492

(٦١) كما رأينا ذلك في مكانه من هذا البحث

فاعتقدَ الثالوثَ مكوَّنًا من عَليّ ومحمّد وسَلمان، بدلَ الآب والابن والروح القدس؟! هل من مسيحيٍّ في الشرق، بالرغم من شدّة الاضطهاد، احتفلَ، إلى جانب الميلادِ والقيامة والعنصرة...، بأعيادِ الغديرِ والفطرِ والفراش؟! ألعكس هو الذي يحصل؛ ومثل هذا الاضطهاد يجرُّ إلى التعصّب لا إلى الانحلال. ولئن اعتنقَ بعضُ المسيحيّين، في زمنِ الفتوحات، دينَ الفاتحين، فإنّه من غير الممكن أن يتساهل الفاتحون في قبولِ شيءٍ من معتقداتِ المغلوبين..

٤. ثمّ إنّ الأب «لامنس» يشهد على «عجَميّة» مؤسّسي النصيريّة فيعتبر محمّدًا بن نُصَير والخُصيبي وغيرَهما من أصلٍ فارسي، ويعترف، مع سليمان الاذني، بأنّ معظمَ مؤسسيّ غلاةِ الشيعة من بلاد العجم، وبأنّ العجم ذهبوا بعيدًا في تأليه علي بن أبي طالب، فكيف يعودُ الآن عمّا رأى ليقول لنا بأنّ للنصيريّين أصولاً نصرانيّة؟!

ألحقّ يُقال: إنّ النصيريّين هم من متطرّفي الشيعة. غدر بهم الزمان، وقهرهم التاريخ، فانطوَوا على أنفسهم، يتّقون الإبادة والفناء. حاربهم أعداؤهم السنّيون، وقهرهم أبناء مذهبهم الشيعيّون، وغدر بهم جيرانهم الإسماعيليّون، وحكمهم الصليبيّون، وانتقم منهم الأرمن، وأذلّهم العثمانيّون، وهجّرهم الدروز، واستعمرهم الفرنسيّون... فهم، بالحقيقة، شعب هصرهم القهر فحرموا من كلِّ استقرارٍ إلاّ في جبالهم الوعرة.

فـ «بكونهم شيعة دينيّة، بالمعنى الحصري، النصيريّون هم من غلاة الشيعة»[٦٣]. هذا رأي المستشرق «ماسّينيون». وهو أيضاً رأي الشهرستاني الذي بحث عنهم في فصل «الشيعة الغالية»[٦٤]. والأب «لامنس» نفسه يشهد لما للشهرستاني من دقّة وصوابية في وصفهم[٦٥]. وهو أيضاً رأي البغدادي

---

(٦٢) أنظر فصل «التقية» من هذا البحث.

(٦٣) L. Massignon, *Opera Minora,* P. 619......

الذي يعتبرهم من «الشيعة الرافضة»[٦٦]، ورأي النوبختي في اعتبارهم من «فرق الشيعة»[٦٧]...

هذا في القديم. أمّا اليوم، فمحمّد أمين غالب الطويل[٦٨]، والشيخ عبد الرحمن خير[٦٩] ومنير الشريف[٧٠] وغيرهم يعتبرون النصيريّين من المسلمين، وعبد الرحمن بدوي يقول بأنّهم من «مذاهب الإسلاميّين»[٧١].

هذه الآراء قد تكون صائبة وقد تكون خاطئة. إنّما الحقيقة هي أنّ النصيرية نسيجٌ وحدَها. لا هي هذه ولا هي تلك. هي أمّةٌ أنشأتْ لها ديناً، وأسّستْ كياناً واحتلّتْ أرضاً، ورسمتْ حدوداً، وصنعت تاريخاً، وأقامتْ دويلةً، وسلكتْ مسالكَ لم تخطرْ ببالِ. وها هي اليوم تسعى إلى أن تكون ما ليس في حسبان أحد.

---

(٦٤) الشهرستاني، ص ١٧٣

(٦٥) H. Lammens, Etudes, p. 466.....

(٦٦) البغدادي، ص ٢٥٠.

(٦٧) النوبختي، ص ٧٨.

(٦٨) تاريخ العلويّين (بمجمله).

(٦٩) تاريخ العلويّين ، المقدمة.

(٧٠) المسلمون العلويّون من هم؟....

(٧١) صفحة ٤٢٥ : «النصيرية من غلاة الشيعة»...

الفصل التاسع

المجتمع النصيري

أولاً : الطوائف النصيريّة

ثانياً : العشائر النصيريّة

ثالثاً : المرأة والزواج عند النّصيريّين

رابعاً : الحياة النصيريّة وتقاليدها.



أوّلاً - الطوائف النصيريّة

تُجَزِّئ الأمّةَ النصيريَّةَ عشائرُ وقبائل عديدة ومختلفة. منها: العربيّةُ الأصل، والفارسيّة، والتركيّة، والكرديّة، والتتاريّة... وفي يومنا هذا يعاني النصيريّون كثيراً من كثرةِ انقساماتهم. وقد ساهم في تشعبّهم إنحسارُهم في جبالِهم بسببِ قهرِ القاهرين، ممّا أدّى بهم إلى خصوماتٍ وتحزّبات عدّة، وإلى تفاوتٍ عميقٍ في العقيدةِ والتقاليد. بيد أنّهم، مع تشعّبهم هذا، حافظوا على بعض عقائد أساسيّة. وهم، بالنسبةِ إلى خلافاتهم الدّينية والعنصريّة، لا يزيدون عن أربع طوائف: الشماليّون، والكلازيون، وعابدو الشفق، وعابدو الهوا.

١ . **الشماليون**، أو الشمسيّون، هم الّذين يعتقدون في علي بن أبي طالب أنّه يظهر في قلب الشمس، و«هو العليُّ العظيم الكبير، يظهر يوم الرجعة البيضاء من عينِ الشمس»[١]. ويقولون: «إنّ المعبودَ يُرى ولكنّه ليس محدوداً... ويعنون بذلك: السماء. ويقولون إنّ الكواكب منها تشرق، وفيها تغيب، وإنّها ظاهرة، لكن لا يقدر أحدٌ أن يحدَّها بصورتها الأصليّة إلاّ الإسم (أي محمّد)»[٢]. ولذلك دُعي محمّد «حجاب عليّ ومقامه»، كما رأينا. فإذا كان محمّد مكانَ عليّ يكونُ إذاً هو السماء وعليّ هو الشمس.

يستدِلّ الشماليون على صحةِ معتقدِهم من قولِ السّورة السادسة من كتاب المجموع: «يا مُخترعَ شمسِ الضحى وخالقَ البدرِ المنير»، يقولون: «ها إنّ البدرَ مخلوق»[٣]، وهم بذلك يوجّهون انتقادَهم إلى الكلازيّين عبدَةِ

---

(١) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، رقم ١٤٥٠، ص ١٢٦.

(٢) الباكورة السليمانيّة في تفسيرها على السورة ١١، ص ٩.

القمر. وفي رأيهم أيضاً «أنّ الشمسَ المذكورة في السورةِ الحادية عشرة هي كنايةٌ عن فاطمة بنتِ أسد المولود منها عليّ، لأنّهم، كسائرِ النصيريّة، يعتقدون أنّ فاطمة بنتَ أسد وفاطمةَ بنتَ محمّد هما «الإسم»، أي محمّد. وهو عندهم الشمس»(٤).

يعتقدون أيضاً «أنّ المؤمنينَ، إذا خلصوا من هذه القمصان البشريّة، ينتقلون إلى درب التّبّان، ويصيرون كواكب، ويرون السماءَ صفراء»(٥). والملائكة عندهم «هم الكواكب، ودربُ التبّان الذي هو أنفسُ مؤمنيهم. هم يرون السماءَ صفراء؛ والبشرُ يرونها زرقاء»(٦).

ويتميّزون أيضاً عن سواهم بأنّهم حينَ تلاوة السورةِ الثامنة «يَضعون اليدَ اليمنى على الصدر، ويجعلون باطنَ الإبهامِ على باطنِ الوسطى»(٧).

وهم لا يحلقون لحاهم، ولا وجوهَهم.

وبعضُهم يحرّمون أكلَ القَرْعِ الأصفر.

وشربُ الدخان لا يجوز لأحدٍ منهم، ولا الباميا ولا الفليفلة ولا البنادورة.

ويحرّمون لبسَ الأحمر على الرجال(٨).

ويفسّرون مبدأ «الفرض اللازم والحقّ الواجب»، الذي سنراه عند الكلازيين، بـ«بذل العلم والمال»(٩).

---

(٣) الباكورة في تفسير السورة السادسة، ص ٢١.

(٤) الباكورة في تفسير السورة ١١، ص ٢٨.

(٥) المرجع نفسه، ص ٩ تفسير السورة الأولى.

(٦) المرجع نفسه، تفسير السورة الأولى.

(٧) المرجع نفسه، ص ٢٥ تفسير الثامنة.

(٨) المرجع نفسه، ص ٥٧.

٢ . **الكلازيّون**، نسبة إلى محمّد الكلازي، شيخ جليل، ومؤلِّفُ كتب وشاعر، هم «عابدو القمر. ويستدلون على عبادته من قول السورة الأولى: «وطلعتُك الزاهرة». ويقولون: إنّه ظاهر، والسوادُ الذي في القمر هو ذاتُ علي، وهو محجوبٌ عن أعيننا، ونراه الآن أسود. ومتى خلصنا من هذه القمصان فإنّنا نرتفع بأمانتنا إلى ما بين الكواكب، وحينئذ نراه بنظرة الصفرة»(١٠).

ويقولون: «إنّ عليًا خلقَ القمرَ ليسكنَ فيه، كالرجل الذي يبني له بيتًا ليسكنه، أو يصنعُ كرسيًا ليجلسَ عليه، لأنّهم يعتقدون بأنّ السواد الذي في القمر هو المعبود. وله يدان ورجلان وبدن، وعلى البدنِ رأسٌ، وعلى الرأسِ تاجٌ، وبيدِه سيفٌ هو ذو الفقار»(١١). ويفسّرون قولَ السورة الحادية عشرة " وظهورُ عليّ من عينِ الشمس "، بأنّ القمرَ هو الذي يَظهرُ من مطلع الشمس»(١٢).

عند صلاتهم يبسطون الكفَّ ناصبين الإبهامَ لتكونَ اليدُ على صورة الهلال عند ابتدائه(١٣).

يحلقون لحاهم.

وما حُرِّم عند الشماليّين حلالٌ عندهم(١٤).

يأخذون بمبدأ «الفرضِ اللأزم والحقّ الواجب». وهو يعني: إذا حَضر إمامٌ منهم إلى إمامٍ آخر نظيره، فالثاني مُلتزمٌ بأنْ يقدّمَ حرمَتَه للأوّل، ويحكمون على مَنْ يخالِفُه بعدم دخولِه الجَنّة(١٥).

---

(٩) المرجع نفسه، ص ٥٩.

(١٠) الباكورة، تفسير السورة الأولى، ص ٩ –١٠.

(١١) الباكورة، تفسير السورة السادسة، ص ٢١.

(١٢) الباكورة، تفسير السورة ١١، ص ٢١.

(١٣) الباكورة، تفسير السورة الثامنة، ص ٢٥.

(١٤) الباكورة، ص ٥٨.

٣ . **عابدو الشَفَق.** يستدلّون على عقـيدتهم من قول السورة الأولى: " يا مَن أنوارُك منك تشـرق وفيكَ تـغرب "، ويقـولون: إنّ جمـيع الأنوار لم تظهر إلاّ من المشرق، وترجع وتغيب في المغرب. فلذلك تراهم وقتَ صلواتهم يتوجّهون نحو الشمس عند شروقها وغروبها... ظانّين أنّ ذلك الاحمرارَ هو خالقُ الشمس، كقولِ سيّدهم الشيخ علي الماخوسي في الوراثة المتروكة لهم منه:

والبـدرُ أنوارُه من شـمـسِه ظهـرتْ وشـمـسُه مـن عامـودِ الشـبحِ موجدُها»[١٦].

ويفهـمون من قـول السورة الحـادية عشرة: "وظهـور عليّ بن أبي طالب من عين الشـمس": أنّ الشفق يظهر من عين الـشمس. ويعتـقدون أنّ ذلك الاحمرار هو خالق الشمس[١٧].

أمّا صلواتهم فكصلوات الشماليّين.

٤ . **عابدو الـهَوَا.** «يسـتدلّون علـى عبـادة الهـوا من قول السـورة الأولى: "يا هَوَ يا هَوَ"، فيقرأون هذه اللفظة بفـتح الهاء والواو، لكي ينتجون من ذلك عبادتهم للهوا»[١٨].

وفي صلواتهم «يضـعـون الكفَّ على الصـدر رافعين الـسبـابةَ إلى خارج، وواضعين باطنَ أنملةِ الإبهام على باطنِ الوسطى»[١٩].

***

(١٥) الباكورة، ص ٥٨-٥٩.

(١٦) الباكورة، ص ١٠.

(١٧) الباكورة، ص ٢٧-٢٨.

(١٨) الباكورة، ص ٢٧-٢٨.

(١٩) الباكورة، ص ٢٥.

وما سوى هذه الخـلافات فهم متوافقـون. إلاّ أنّ الاضطهاداتِ فرّقتْ بينهم سياسيًـا. ولمّا لم يكن لهم كتبٌ مطبوعةٌ ومنتشرةٌ فيمـا بينهم لتتوحَّد عقـيدتُهم ويجتـمعوا على تفـسيرٍ واحـدٍ لها، راحتْ كلُّ طائفـة منهم تعالجُ سرَّها كـما يشـاء شيـوخهم. فلذلك، شـعر نُصـيريّو اليوم بضـرورة خلقِ مجالس دينيّة سياسيّة مشتركة.

ثانياً – العشائر النصيريّة

أمّا العشائر النصيريّة فكثيرة. وربّما تفتخرُ كلُّ عشيرة باستقلالها، كما تفتخر كلّ عيلة بانتسابها إلى هذه أو تلك من العشائر، وتتميّز بإقامة كيان مستقلّ، وتقليد خاصّ، ومزارٍ معيّن، وشيخٍ يقيم لها شعائرها. لقد اشتهرت في تاريخ النّصيريين عشائر عدّة. أهمّها:

١ . **الخيّاطيّة**. نسبة إلى علي الخياط الذي استقدم الأميرَ المكزوني من إيران، ملتمساً منه أن يساعدَه على إزالة مظالم الأكراد والإسماعيليّة. سكن معظمهم في نواحي طرابلس وجنوبي النهر الكبير في سهول عكّار. «ضايقهم المسيحيّون الموارنة مضايقةً أدبية لم يشعروا بها حتّى ألجأوهم أخيراً للرحيل إلى شمالي نهر الكبير»[٢٠].

تفرّعوا إلى «فقاورة» و«عبديّة» و«بغداديّة» و«صرامطة» و«عمامرة». اشتهر منهم زمن الانتداب الفرنسي سليمان مرشد، الملقّب بـ" سليمان الرّبّ " ، الذي أصبح له فرقة دينيّة تنتسب إليه، وتسمّى «المرشديّة». وسيأتي الكلام عليه زمن الانتداب الفرنسي، ومشروع «الدولة العلويّة».

٢ . **عشيرة بني علي**. سكنتْ في قرى ست يلّو، وحرف الصليب، وبيت ياشوط، وجبل الوادي، وعين الشقاق، ومغسلة، وديروتان، والمعصرة... كان بينها وبين عشائر الكلبيّة والنواصرة معارك ضارية، أُحرِقتْ فيها مجملُ قراهم. ثمّ عادوا وأحرقوا ونهبوا بدورهم ما قد نهبه

---

(٢٠) محمد الطويل، تاريخ العلويين، ص ٣٥٩.

منهم الكلبيّون. ولشدةّ بأسِها، استولت على أراضي كثيرة حتّى حدود جبلة التي عصت عليهم، لأنّها كانت مركز الحكومة العثمانيّة، لفترة طويلة.

٣ . **عشيرة المهالبة.** تسكن في قلعة المرساليّة التي كانت تسمّى قلعة بلاطونس، وتُسمّى الآن قلعة المهالبة. استولوا على جبلة من يد الأتراك برئاسة زعيمهم علي شلهوم. وهي اليوم أصغر العشائر.

٤ . **الحدّادون.** هم أصل العشائر. تنسب إلى المعلم محمد الحدّاد ابن الأمير محمّود السنجاري ابن أخ الأمير حسن المكزون. حاربوا الإسماعيليّين ودامت الحروب بينهم سجالاً حوالي مائة سنة. هم أكثر النّصيريّين تطوّراً وتقدّماً. يقطنون طرطوس وبانياس وصافيتا.

٥ . **عشيرة المتاورة.** أتت مع الأمير حسن المكزون سنة ٦٢٠ هجريّة. لها فروع عديدة: المتاورة، والجواهرة، والصوارمة، والنميلاتيّة، والدراوسة، والعراجنة، والمحارزة. «كان رئيسهم المحترم المرحوم الشيخ صالح العلي رئيس ثورة العلويين ضد الفرنسيّين في سني ١٩١٩–١٩٢١»[٢١].

٦ . **عشيرة الدراوسة.** رغم كونها من العشائر السنجارية، فهي تضمّ عدداً كبيراً من أصولٍ تركيّة. كانوا حلفاء العمامرة. استولوا على جبل دريوس.

٧ . **المحارزة.** كانوا في البدء على اتفاقٍ مع الإسماعيليّة، إلاّ أنّهم اختلفوا فيما بعد حتى كاد يَفني بعضُهم بعضاً. كانت قلاع القدموس والعليقة والمينقة تارةً معهم وطوراً مع الإسماعيليّين. يدّعي المحارزة حصولهم على سيف الإمام الحسين وكتاب النسب.

---

(٢١) منير الشريف، العلويّون من هم؟...، ص ١٢٠.

٨ . **الكلبيّة**. تنتسب إلى العشائر السنجارية التي أتت مع الأمير حسن المكزون. كان أوّل نزولهم في «عين كلاب» في جبّ رملة منطقة مصياف، تكنّوا بالكلبيّين. توسّعوا شمالاً وغرباً. وسمّي الجبل باسمهم جبل الكلبيّة. يقطنون جبلة والحفّة واللاذقيّة وصافيتا وطرطوس والقرداحة. من رؤسائهم اليوم: آل الأسد، وخير بك، وآل اسمعيل، ورسلان...

ثالثاً – المرأة والزواج عند النصيريّين

أغربُ تعاليم النصيريين نظرتهم في المرأة. فهم يعتقدون أنّ «الإناث هنّ كالحيوانات مجرَّدين عن وجود النفس الناطقة، وأنّ أنفاس النساء كأجسادهنّ»[٢٢]. وأشارَ إلى هذا المعتقد جنرالٌ فرنسي فقال: «إنّ النساءَ محروماتٌ، كالحيوانات، من نفسٍ عاقلة. تموت نفوسُهنّ كأجسادهنّ»[٢٣]. «لذلك، فعلى كلّ نصيريّة، قبل قبولها مَني الرجل، أن تغتسل وتتطهّر وتستعدّ لقبول زرع الرجل الخالد»[٢٤].

خُلقتِ النساءُ، في رأيهم، من أذناب الأبالسة[٢٥]، و«خَلَقَ عزَّ وجلّ مِن معصيةِ إبليس النساءَ المخالفات»[٢٦]. قال جعفرُ الصادق: «الشياطين من الامرأة»[٢٧]. وقال محمّد الباقر: «إنّ أصلَ كلِّ شرٍّ النساء»[٢٨]. وعن جعفر أيضاً: «إنّ الرجال الضالّين المُضِلّين هم صُوَرُ النساءِ الشياطين»[٢٩]...

تكاد هذه النّظرة إلى المرأة تكون شاملة. وقد بنى النّصيريّون على قاعدتها معظمَ مبادئهم الاجتماعيّة. علّم الصّادق فقال: «يُرَدُّ الكافر في صورةِ الامرأة الكافرة، ولا تُرَدُّ الامرأةُ الكافرة في صورةِ الرجلِ الكافر...

---

(٢٢) مخطوط المكتبة الملكية ببرلين، رقم ٤٢٩١، ص ٥٦.

(٢٣) Colonel p. Jacquot, *l'Etat des Alaouites*, 23...

(٢٤) L. Massignon, *Opera Minora*, p. 62

(٢٥) الباكورة السليمانيّة، ص ٦١. أنظر أيضاً المرجع السابق.

(٢٦) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٤٩.

(٢٧) المرجع نفسه، ص ١٤٤.

(٢٨) المرجع نفسه، ص ١٤٣.

(٢٩) المرجع نفسه، ص ١٤٤.

الكافرون ينحطّونَ من درجةِ الرجال حتى يصيـروا عامّةً نساءً كافرات... إنّ أصلَ كلِ شـرٍّ النساء... وقـد قالَ النبيّ، وأبلغَ في القـول، حين نظر في النارِ فرأى أكثرَ أهلها نســاء... والشياطينُ من الامرأة. وإنّ الانسانَ اذا ارتقى في كفرهِ وعتوِّه وتمرّدِه وتناهى في ذلك، صــار إبليسًا، وَرُدَّ في صورةِ امرأة... ألم تقرأ في القرآن قـولَه تعالى: «إنّ كيدَ الشيطانِ كان ضـعيفًا»؟[٣٠]، وقال: «انّ كيدَكنّ عظيم»؟[٣١]، إذ هم صُوَرُ النساء»[٣٢].

هذا وقـد رأينا وضـعَ المرأة من جـهـة مـبـدأ «الفـرضِ اللازم والحقّ الواجب» الذي يقضي بان يقدِّمَ الإمامُ لضيفِه الكبيرِ امرأتَه كهديّةٍ سارّة.

ومن ناحيــةِ تعليمِ الديانة فالأمرُ يوجِبُ عـدمَ تعليمِ النساء شيـئًا من أمور الدين: «ولا يعلّمـون نساءَهم صلاتهم»[٣٣]. وقد اتّهم حـمزةُ بن عَلي، نبيُّ الدّروز، أحدَ النصيريّين بأنّه يعلِّم الفواحِشَ، فقال: «وأمّا قولُه بأنْ يجب على المؤمنةِ لا تمنعُ أخاها فَرْجَهَا وأن تبذلَ فرجَها له مباحًا حيث يشاء، وأنّه لا يتمّ نكاحُ البـاطن إلاّ بـنكاحِ الظاهر»[٣٤]، «لأنّ الفـرجَ مـثل أئـمّـة الكفـر، والإحليلَ اذ دخلَ فـرجَ الامـرأة دليـلٌ على البـاطن»[٣٥]، ويتــهّـمــه بالكذبِ والغواية، ويحذّرُ الموحّدين من تعاليمه...

***

هذه المبادئ الدينيّة في وضـع المرأة أورثتْـها حياةً شقيّـةً في المجتمع النصيري. فالمرأة، كما وصفَها أحدُ العارفين، «تعملُ في البيتِ وفي الحقل:

---

(٣٠) سورة النساء ٤/٧٦.

(٣١) سورة يوسف ١٢/٢٨.

(٣٢) كتاب الهفت والأظلّة، ص ١٢٦.

(٣٣) الباكورة السليمانيّة، ص ٦١. فيها يستشهد الاذني بجملة مراجع.

(٣٤) الرسالة في الردّ على النصيري الفاسق، رقم ١٥ من «رسائل الحكمة»، ص ١٦٦.

(٣٥) المرجع نفسه، ص ١٦٧.

«في الحقلِ تنكشُ الأرضَ، وتحصدُ الزرع، وتدرسُ الحصيدَ، وتحملُ لزوجِها ما يشتريه من أسواقِ المدينة، وتمخضُ اللبنَ، وتبيعُ السمنَ في أجرارٍ تحملُها على رأسِها مسافةَ ساعات، كما تبيعُ بيضَ الدجاجِ التي تُعنى بها، وتبيعُ خضارَ الأرض، وفواكهَها، وتجمعُ الحطبَ، وتحملُهَا رزمًا على رأسها.

«وفي البيت تربّي أولادَها، وتهيِّيء لهم ولزوجِها الطعامَ، وتدلكُ (تحدل) سطحَ البيت طوالَ الشتاء، وتنظّف بيتَها، وتأتي بالماءِ من الينابيع...

«وهكذا تراها ترزحُ تحتَ عبءٍ ثقيلٍ من الأعمالِ الشاقّةِ التي لا تلبثُ معها حتى تهرمَ ويذوى شبابها وتفقد فرحَها، فلا تكادُ تصلُ إلى سنّ الثلاثين حتى تصبحَ كأنّها أشرفت على الخمسين....

ويقول أيضاً: «والعلويّاتُ سافراتٌ. ولكنْ نسوةٌ بعضِ الرؤساء والوجوهِ ورجالِ الدين يتحجّبنَ كالنساءِ السنّيّاتِ في المدن حيث يُخبِّئْنَ زينتَهنّ وملابسَهنّ»[٣٦].

***

أمّا زواجُ الفتاة فأمرُه عسيرٌ عليها. إنّها تخضعُ لإرادةِ أبيها أو أخيها، ولن تختارَ زوجَها بحرّيّة. وليستْ هي التي تتّفق على المهرِ مع زوجها؛ بل أبوها أو أخوها. ومعظم الأحيان «يستأثرُ أولياءُ الفتاةِ بكاملِ المهر، ولا تستفيدُ منه البتة»[٣٧]. و«ربما تُعطى البنتُ بديلةً، أي أن يزوجَّها والدُها من رجلٍ، لقاء أخذِ ابنتِه أو أختِه لنفسِه أو لولده. وفي هذه الحال... تغدو سلعة تجاريّة للمقايضة»[٣٨].

---

(٣٦) أنظر منير الشريف، العلويّون من هم! ..، ص ١٨٦-١٨٧.

(٣٧) المرجع نفسه، ص ١٨٠.

(٣٨) منير الشريف، ص ١٨١.

وعند تمام مراسيم الـزواج عند شيخ القبيلة يُكتب فـيه صكّ بإجراء النّكاح، ويصـافح الحاضرون العريس، دونِ العروس، ويدخل العريس غرفةَ عروسه، ويغلق الباب، ويتفرّق القوم. تقوم العروس وتقبّل يد العريس، وهو يعانقها... وفي صباح اليوم الثاني، تنشر العروس ثيابها بعد غسلها، إشارة إلى بكارتها، فتأتي نساء القبيلة لتـتأكد من ذلك، ولتشهد على دوام بكارتها حتّى زواجـها. وإذا ما ثبت، لا سـمح اللّه، افتضـاضُ بكارتِها قبل زواجـها، تُذبح المسكينة على عتبة بابها. ولكنّ هذا أمر نادر(٣٩).

***

ألحقُّ يُقال أنْ لا زواج ولا طلاق عند النصيـريّين. وما أشرنا إليه هو من مؤثّرات الحضارة ومن مآثر مجـتمع اليوم. إنّنا لم نجد في المصادر التي اعتمدنا عليـها سطراً واحداً في موضوع الزواج وكيفيّتـه. جلّ ما نعرفه من العادات النصيـريّة، هو أنّ الزّواج عقدٌ سنوي، يَختار كلُّ شـابٍّ زوجتَه، في عيد من الأعياد المخصّصة لكلِّ عـشيرة، ولوقتٍ محدّد. ولئلاّ يقعَ الرجالُ في نزاعٍ فيما بينهم، تُغلق أبواب غرفـة الاجتماع، وتُطفَأ الأنوار. وكلُّ رجل يقع على امـرأة يخرج بها خـارجَ الدار. في الخارج يـعرف حظّه. وعادة مـا يقع الرّجلُ، القليلُ الخبرة، على عجـوزٍ يعرفُ أصحابُ الخبرةِ تجنّبَها، فـيتحمّل معـها حظَّه التـعيسَ سنةً كـاملة، إلى أنْ توافي سنةٌ جـديدة، يكون استـفاد خبرةً ومعرفةً ودهاءً واختباراً.

(٣٩) المرجع نفسه، ص ١٨٤.

رابعاً – الحَياة النصيريّة وتقاليدها

يتألّف المجتمعُ النصيري من ثلاث طبقات: ألوجهاء السياسيّون، والرؤساءُ الدينيّون، وعامّةُ الشعب، أو : الزعماء، والمشايخ، والفلاّحون. أمّا النساء فلا حسبانَ لهنّ في المجتمع النصيريّ... عددُ النصيريّين في العالم محدود، يبلغ ١١٩٠٠٠ يزاد ٥٠٠٠ من الأشراف. والمجموع ١٢٤ ألفاً من الرجال فقط، لأنّ النساء لا يحسبن ضمن النفوس الناطقة الخالدة[٤٠].

أمّا المشايخُ، رجالُ الدين، فهم القيّمون وحدَهم على الدّين، ووحدَهم العارفون به. يحترمهم الأشرافُ والفلاّحون احترامًا كلّيًا. يؤدّون لهم حقوقَهم كاملةً. والمشيخة في الدين وراثيّةٌ، ينقلها شيخٌ إلى بنيه بطريقةٍ طبيعيّة. إنعاماتُ المشايخ كثيرة، وهكذا حقوقُهم. فهم يستطيعون فرضَ ما يريدون على جماعاتهم، من إعدام، وتعذيبٍ، ودفعِ المال. وغير ذلك[٤١]...

«لكلِّ رئيسٍ من رؤساءِ العلويّين مَضْيَفَةٌ (منزول) يستقبلُ فيها ضيوفَه، ويجتمعُ إلى رجالِ عشيرته. له القولُ، وعليهم التنفيذ. وهو ينظر في الخلافاتِ بين أفرادِ العشيرة، حقوقيّةً كانتْ أم جزائيّةً، فيجتمع الطرفان المتداعيان أمامه، ويحقّقُ في الدعوى (كحاكم) وأحكامُه نافذة، رضاءً كان أمْ كرهاً. والرئيسُ العادل النزيهُ يريحُ الحكومةَ من مراجعاتِ أفرادِ عشيرته...

و«للرئيس رجالٌ في عشيرته، يُخصّهم بعطفِه ويُقَدِّمُهم على سواهم...

---

(٤٠) L.Massignon, *Opera Minora,* p. 620..

(٤١) Col. P. Jacquot, *L'Etat des Alaouites*, 25.

«ولرؤساءِ العلويين عادةٌ جمعِ المالِ من رجالِ العشيرة كجَعْلٍ سنويٍّ يتناسب مع قوّةِ العشيرة وحاجة الرئيس. هذا المالُ قد يكون ضروريًا للرئيسِ في بعض الأحيان، لإنفاقه على مَضْيَفَتِه (منزوله)... ولإنفاقه في سبيل العشيرة... ولكن بعضُ الرؤساء اعتادَ فرْضَ المال... ليَنعم به، أو ليشتري عقاراً خاصًا يزيدُ به ثروتَه»[٤٢].

ويأتي المالُ الرئيسَ في مناسباتٍ عدّة أيضاً: في الولادة، والأعياد، والزواج «وإلاّ فلا يسْمَح بالزواج»، وفي الدّفنِ، في مواسم التبغِ، فيكونُ للرئيسِ «جعلٌ على كلِّ كيسٍ من التبغِ يبيعُه الزرّاعُ من عشيرتِه إلى إدارة الحصر، ويضاعِفُ الجعلَ إن كانَ البيعُ للمهرّبين»[٤٣].

والنصيريّون، إجمالاً، معروفون بكَرَمِهم، رغم فقرِهم. «فهم يستقبلون ضيوفَهم بلطفٍ ووداعة، ويقدِّمون لهم الطعامَ والشرابَ، ويخصّونهم بأحسنِ الغرف لنومِهم وراحتِهم، ويقدمون على خدمتهم، يؤانسونَهم، ويقصّون عليهم أحسنَ القَصَصِ والروايات، ويُسمعونَهم أغانيهم الشعبيّة»[٤٤].

«وفي القرويّين العلويّين، نساءً ورجالاً، عادةُ تقبيلِ الأيدي. فالصغير يقبّل يد الكبير، والقبلات تطبع على أيدي رؤساء العشائر ورجال الدين دوماً، حتى إنّ بعضَ العلويّين يقبّلون أيدي كبارِ الموظّفين دلالةً على احترامهم لهم. وهذه العادة مستحكمة»[٤٥].

***

(٤٢) منير الشريف، العلويّون من هم؟ ص ١٣٠-١٣١.

(٤٣) المرجع نفسه، ص ١٣٢.

(٤٤) المرجع نفسه، ص ١٣٣.

(٤٥) المرجع نفسه، ص ١٣٩-١٤٠.

وزيٌّ النصيريّين ملوّنٌ عادةً ومزركش. وهو يتنوّع بالنسبة إلى طبقاتهم. فرجالُ الدين «يُعَمَّمون بعمامةٍ بيضاء على طربوشٍ مغربي أو سوري، أو يسترون طربوشَهم السوري بكوفيّةٍ بيضاء بدون عمامة»[٤٦]. «وسائر الرجال يستعملونَ الكوفيّة والعقالَ الأسود. ويلبسُ القنبازَ، وعليه السترة والصدارة. وبعضُهم يلبسُ الطربوشَ، وبعضهم يلفُّ على طربوشه، أو لبّادته، قطعةً من القماش، ويلبسُ سروالاً أبيض، وقميصًا أبيض إلى ركبتَيه، وعليه عباءةٌ قصيرة مقلّمة»[٤٧]. «أمّا زينةُ الرجل العلويّ القرويّ فهي عبارةٌ عن قميص ملوّن، بارزٍ من بين الصدار، وزهور توضع سوقها بين العقال والكوفيّة حول طرفِ الرأس»[٤٨].

والنساء «تتحلّى بصفٍ من القطع الذهبيّة تطوِّقُ به رأسَها أو طربوشها أو طاقيَّتَها من الأمام. أو يُربط بعض قطع ذهبيّة في أعلى جبينها، ويُربط عقدٌ من القطع الذهبيّة أو الذهب المصاغ حول جيدها. والفقيرات يكتفين بعقدٍ من الخرز الملوّن. والقرطُ الذهبي من ضروريّاتِ الزينة عند العلويّة، وكذلك الخواتمُ الذهبيّة أو الفضّيّة أو النحاسيّة والأساور الفضيّة والزجاجيّة. وأكثر العلوياتِ يتكحّلْنَ ويتعطّرنَ في أيّامِ الأفراحِ والأعياد. أمّا شعرُهنَّ فإنّهنَّ يحتفظنَ به ويضفرنَه عدّةَ ضفائر ويرسلنَه على ظهورِهنّ؛ وبعضُهنّ يربطن في منتهى الضفائر قطعًا من الذهب، ويتركنَ سوالفَهنّ لتغطية آذانهنّ، وخصلتَين من الشعر لستر طرفَي جباتهنّ»[٤٩].

***

---

(٤٦) المرجع نفسه، ص ١٤٣.

(٤٧) المرجع نفسه ، ص ١٤٢.

(٤٨) المرجع نفسه، ص ١٤٤.

(٤٩) المرجع نفسه، ص ١٤٤.

وطعامُ العلويّين القرويّين يميلُ إلى البساطة والتقشّف. فهم يضعونه في طبقٍ من القشّ على الأرض، ويجلسونَ حوله متربِّعين، ويأكلون بأيديهم... وعادةً ما يكون مؤلّفًا من البرغلِ والعدَس والحمّص، ومِن بيض الدجاج المقلي أو المسلوق، ومن اللبن الخاثر، والمتبّلات، والشنكليش، وفي أحسنِ حالاتهم من لحم الغنم.

«والعلويون لا يأكلونَ لحومَ الأنثى الحيوان، ولا الأرنب، ولا السمك المسمّى بالسلّور، ولا لحم الجمال»[٥٠]، ولا الحنكليس، ولا ما ذكرناه آنفاً عند بعض طوائفهم[٥١].

***

أمّا نفسيّةُ النصيريّ فطريفةٌ، وهي ميّالةٌ إلى الفطرة البدائيّة، فـ «العلويُّ حَذِرٌ، لا يطمئنُّ إلى الناسِ بسهولة. وهو يُسيءُ الظنَّ كثيراً، لأنّ ذلك الماضي الأليم... جعلَه هكذا. والعلويُّ يرغبُ في النفع الذاتي، لأنّه جِدُّ فقير، ومتى أفدتَه ينقادُ إليكَ ويعملُ ليجعلَكَ تعتقدُ بإخلاصه لكَ... والعلوي قد سمعَ من آبائِه الشيءَ الكثير عن سوءِ عَمَلِ السُّنِّيِّينَ معه. فمتى عرفَ أنّك سنّيٌّ فإنّه لا يُصارحُك كما يصارح المسيحيّ، لأنَّ المسيحي كان ضعيفًا مثله... والعلويُّ أديبُ اللسان (وهو ميراث الخوف). وهو، إنْ لمْ ينلْ مطلوبَه من الحكومة، لا يُظهرُ انفعالَه منها، ولكنْ يسجّلُ ذلك عليها في ذهنِه»[٥٢].

أمّا الضميرُ الخُلُقي والدّيني عند النّصيري فلسنا نجد له قاعدةً يسير عليها، ويحاسبُ ذاته بموجبها. لقد اعتدنا خلقيّةً معيّنةً وقواعدَ مسلكيّة واضحة في أديانِنا ومجتمعاتنا اليوم، لا نجد مثلَها عند النصيريّ. فالصدق

---

(٥٠) المرجع نفسه، ص ١٣٤-١٣٥.

(٥١) راجع ما ورد في بحثنا هذا.

(٥٢) منير الشريف، ص ١٤٦ ١٤٧.

والكذب، في سلوكنا، أمران يـتنافيان؛ والشعـور بالإثم ينغّصُ على المؤمنين العيـشَ؛ وتعبُ الضمـير، بعدَ عـملٍ مُنكَرٍ، يُربِكُ الحـياة؛ وارتكابُ الخطيـئة يَطعنُ في رحمةِ اللّه ومحبتّه...

هذه أمور لا نبحث عنها عند النصيريّ. فالصدقُ والكذب عنده سيّان، كَلَوْنَي الأحمر والأصفر بالنسبة إلى أعمى البصر. فمهما قلتَ للنّصيري إنّك تكذِبُ أو تصدقُ ، فـإنّك لا تستطيعُ أن تزرعَ في ضـميره أيّ شـعورٍ بالإثم. لهذا، يستطيعُ أن يعاهدَكَ ألفَ ألفَ مرّة، وتصدِّقُ معاهدته، ولكنّه، إنْ خالفَ، فلا لومَ عليـه، لأنّ مصلحتَه الخـاصّة تقضي ذلك. ولكنّكَ تسـتطيع أن تأخذ منه عهداً إنْ قلتَ له: «أحلِّفكَ بأساسِ دينكَ، بسرّ عـقدِ عَمس، أن تخبرَني عن صحّةِ أمر كذا، فلا يمكنه الكذبُ بعدَ هذا»[٥٣].

إنّ مقـياسَ الخطيئـة عند النصيري لا يكمنُ في مـخالفة شـريعةٍ أو ناموسٍ، أو في تأنيبِ ضمير... بل تكمن الخطيئةُ في معرفةِ الآخَرين بها. أيّ فعلٍ شـنيعٍ من زنى أو قتل أو سـرقة يأتيـه النصيـري يظلُّ مبرّأً أمـام اللّه والضمـير ما دام مستـوراً. لهذا، كانَ من الضروري أن يتبـوّأ المشايخُ مكانًا وجيـهًا في العشيـرة ليردعوا أهليهـا بعضـهم عن بعض، لأنّ الشـيخَ العالي المقام هو الرادعُ الأوحد.

ولكي يفرّق الشـيوخُ بينَ نصيريٍّ صـادقٍ وآخَرَ كاذبٍ اختـرعوا في بعضِ المزارات[٥٤] نافذةً، وقـالوا: إنّ الكذّابَ لا يمكنُه اجتـيازَها زَحفًـا لأنّها تضيقُ عليه. «وفعـلاً، فإنَّ غيرَ الصادقِ يأخذُه الوهمُ فيعـتقدُ أنّ تلك النافذةَ ضيّـقة، وأنّهـا يمكن أن تضغطَ عليـه، فتكونُ نهـايةُ حياته. وعـندئذ، إمّا ان يعترفَ بعمله، أو أن يُحْكَمَ عليه حسبَ العرف»[٥٥].

---

(٥٣) الباكورة، ص ٨٣؛ أنظر ما ورد في هذا البحث.

(٥٤) أمكنة مقدّسة للخلوة. سيأتي الكلام عليها.

(٥٥) منير الشريف، العلويون من هم ؟ .. ص ١٩٠ – ١٩١...

فالاعـتراف بالذنب يُفْـرَضُ على النصيـريّ من عيـونِ الآخَرين، من حكمِ المشايخ، من نوافذِ المزارات، لا من الضميـر. فهذا لا ذكرَ له في حياتهم ولا في دينهم.

***

بقي أن نقـول كلـمـةً عن الأمكنة المقـدّسـة عند الـنصـيـريّين. ليس للنصيريِّن مـساجد ولا جوامع ولا كنائس ولا أمكنة للعـبادة. جلّ ما عندهم مزارات. وهي أمكنة مقدسة على اسم أحد الرجال الصالحين. يؤمّها الرجال، لا للصلاة، بل لتقدير الأولياء منهم.

ألمزارات أبنيــة بسـيطـة على اسم وليٍّ أو نبيٍّ أو أيِّ رجلٍ صـــالح. أكثرها يقع في أعالي الجبال والروابي. تكتنفـها أشجار مقدّسة، بنوع أنّه إذا ما أسـقطتِ العواصفُ واحدةً مـنها تُترَكُ في أرضــها دون أن يمسـهًّـا أحد. تعلو المزارَ قبّةٌ مطليةٌ بالكلس الأبيض.

ولكلِّ مـزارٍ خـادمٌ يَعتنـي به ويعيـشُ من ريعِ أوقافـه. وللمـزاراتِ حرمةٌ، لا يقدم أحدٌ على سرقةِ شيءٍ منها أو من الأحطابِ التي في جانبها. لا يُحْلَفُ على المزار يميناً كاذبة، لأنّ اليـمين الكاذبة تؤدّي إلى البـلاء والرزايا وهلاك الأسرة بكاملها. والنذورُ للمزارات كثيرةٌ جدًا. تُنفق على رجالِ الدين والفقراء.

يَتحدثُ النصيريّون عن مزراتهم باحترام. ويَنسبونَ إليها المعجزات. فهي، برأيهم، تمنـعُ الأعداءَ من دخول قـراهم، وإنّ الرصاصَ لا يؤثر فيـها، وإنّ من يَسـعى إليها من مسافة بعـيدة لا يشعر بالتعب، وإنّ الماءَ تنبع منها، وإنّ الشابَ يَعرفُ قبل الزواج من تكونُ امـرأته، واذا ما كانتِ امرأتُه بِكرًا أم زانية، وإنّها تجعلُ البركة في البنين وفي الزرعِ وفي مؤونة البيت.

بعضُ المزاراتِ ذاتُ اخـتصـاص: منها بطبِ العـيون، منهـا مَن يهبُ العاقـرَ الحَمْلَ، منها مَن يشــفي من الأمراضِ المستـعصيـة، ومنها من يُغني ومَن يفقر..

الفصل العاشر

من تاريخ النصيريين

أولاً : من نشأتهم حتى العثمانيين

ثانياً : في أيام الحكم العثماني

ثالثاً : في زمن الانتداب الفرنسي

رابعًا : الرؤيا البعيدة.



أوّلاً – من نشأتهم حتى العثمانيّين

نشأتِ الدّعوةُ النّصيريّة في بغداد مع محمّد بن نُصَير النّميري، بابِ الحسن العسكري (ت٨٧٣م). وهو أوّل من دعا إليها ونظّمَ شؤونَها. وهي إليه تنسب... وخَلَفَه في رتبتِه البابيّة محمّدٌ بنُ جندب، ثمّ محمّدٌ الجَنان الجُنبلاني (ت٩٠٠م) الذي أنشأ طريقةً خاصّة بالتصوّف، وفقهًا يتميّز عن الفقهِ الجعفري. ثمّ انتقلتِ الرئاسةُ إلى عبدِ الله بن حَمدان الخُصَيبي(ت٩٦٨م) الذي ساحَ في البلاد الإسلاميّة، ونقلَ الدعوةَ إليها. وأسّسَ فيها مركزَين: مركزَ بغداد، برئاسةِ الشيخ علي بن الجسري، ومركزَ حلب، برئاسةِ محمّد بن علي الجلّي.

أُغلق مركزُ بغداد وزال؛ وانتقل مركزُ حلب إلى اللاّذقية، برئاسةِ أبي سعيد ميمون بن قاسم الطبراني (ت١٠٣٥م) الذي وضع كتبًا عديدة في الدّين...

ثمّ أُجْلِيَ النّصيريّون عن مراكزهم هذه لكثرةِ الهجماتِ الإسلامية السُّنّيّة عليهم. فالذينَ كانوا في حلب هربوا إلى الجبالِ المجاورة، وكان جبلُ السمّاق محطَّ رحالهم. وفيه وجدوا الدروزَ يكنّونَ لهم الشرَّ، فأجلَوهم عنه، واستقرّوا فيه مدّةً طويلة.

والذين كانوا في اللاّذقية هربوا هم أيضاً من وجهِ السُّنّيّين واستقبلتْهم الجبالُ المجاورة، المدعوّةُ باسمهم، أي «جبالُ النصيريّة».

في هذه الجبال الجرد ذاق النصيريونَ طعمَ الظلمِ والقهرِ والجوعِ والأمراض، تاركينَ خلفَهم مدنَ الساحلِ وخصبَ سهولها، ومدنَ الداخلِ وخيرات طبيعتها... ومع هذا، لم يبرحْ أملُ العودةِ إليها من نفوسِهم التي انطوتْ تغذّي الثأرَ من قاهريهم ومضطهِديهم الغزاةِ المسلمين.

ثمّ أطلّ على النصيريّين، أيّامَ الصليبيين (١٠٩٦-١٢٩١م)، عهدٌ جديد. فعندما دخلَ هؤلاء بلادَ الشرق، كان في نيّتهم القضاء على كلّ مسلم، من أيّة شيعة كان. وهكذا «بعد أن تركَ الإفرنج المعرّةَ تقدّموا إلى لبنان، وقتلوا عددًا كبيراً من النصيريّين»[1]... إلاّ أنّهم، بعد أنْ تعرّفوا إلى الطوائفِ الخارجةِ عن الإسلام، لم يلبثوا أن عاونوا البعضَ منها، كما عاونوا المسيحيّين. فبنَوا، في لبنانَ وجبالِ النصيريّة، أكثرَ قلاعهم وحصونِهم. فكان لهم، في بلاد العلويّين، حصنُ الأكراد، وقلعةُ صهيون، وحصنُ سليمان، وبرجُ صافيتا، وقلاعُ مصياف، والقدموس، والكهف، والرصافة، وبانياس... وذلك لمواجهة الجيوش الإسلاميّة، من جهة، ولاطمئنانهم إلى سكانِ هذه الأصقاعِ، من جهة ثانية.

واستفاد النصيريّون من تحالفهم مع الصليبيّين لينقضّوا على أعدائهم التاريخيّين وأبناءِ منطقتِهم الإسماعيليّين. فهدَموا قراهم ومدنَهم، وأحرقوا بيوتَهم ومزارعَهم، وتعقّبوهم إلى حيث رحلوا... وساعدهم الأميرُ حسن المكزون السنجاري (ت١٢٤٠م) آتيًا من سنجار، ودخلَ جبالَ النصيريّة وأجلَى منها الأكرادَ، وأسقطَ نفوذ الإسماعيليّين. وبذلك «خلّصهم وأنجدهم من تجاوزاتِ الأكرارد بعد الصليبيّين»[2]. ثمّ «أسقط نفوذ الإسماعيليّة»[3].

يُعتبرُ الأمير حسن المكزون من أعظم مشايخ النصيريّين المتأخّرين، ومن أشهرِ الأتقياء. كتبَ ديواناً وأشعاراً متفرّقة في التصوّفِ والدين، بأسلوب رمزيّ. وهو مع معاصره الشيخِ منتجب الدين العاني عالِمَان في الدين، «لم يرَ العلويّون من بعدِهما مَن يماثلُهما في العلمِ والتقوى». ثمّ اشتهر بعدَهما الشيخُ حاتم الطوباني (ت ١٣٧٥م)، والشيخ حسنُ الأجرود

(١) Barchebraeus, *Chronique Syriaque*, cité par Assemani,Bibl.Orient II. 320

(٢) محمد الطويل، تاريخ العلويّين، ص ٣٠٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٠٩.

المكنّى بأميرِ الجماعة، الذي سعى في اتّحادِ العلويّين. ولكليهما أيضاً كتبٌ في الدّين...

بعد وفاةِ الأمير السنجاري، عاد النصيريّون لينحسروا في الجبال لشدّة المظالم عليهم من كلّ جانب. فتعرّضوا لهجماتِ الأكراد والإسماعيليّين والأيّوبيّين. هؤلاء كانوا أكثر ظلماً عليهم من سواهم. وكانوا متحمّسين للقرآن، مشهورين بعداوتهم للشيعة عامّة؛ فبعد تمركزهم في دمشق (١١٨٦-١٢٦٠) وحلب (١١٨٣-١٢٦٠) واليمن (١١٧٣-١٢٢٩) ومصر حيث جاءَ صلاح الدين (١١٣٨-١١٩٣) يمدُّ الضربةَ القاضيةَ على جميع فلول الشيعة.. فعزلَ الخليفةَ الفاطمي، واعترفَ بسلطةِ الخليفة في بغداد، وانتصرَ على الزنكيّين قربَ حمص، واحتلَّ سوريا والموصل، وهزمَ الصليبيّين في حِطّين (١١١٧م)، وأسرَ ملكَ القدس، وفتحَ بيتَ المقدس، ثمّ عقدَ هدنةً مع الإفرنج وسالمهم.

قال المؤرّخون في عهد صلاح الدّين والأيّوبيّين عامّة بأنّه «لم تكن أراضي العلويّين تتخلّصُ من نكبة إلاّ تَعقبُها أخرى أعظم منها... حتّى لم يبق للعلويّين أدنى استراحة في جبلهم»[٤].

***

في السنة ١٣٠٥م «قرّر المماليك (١٢٥٣-١٥١٧) إبادةَ الشيعة: المتاولة، والنّصيريّة، والدروز»، فتعقّبوهم في كلّ مكان، في كسروان من جبال لبنان، وفي سهل البقاع، وساحل سوريا، وجبال النصيريّين...

***

لم يسلمْ النّصَيريّون، بالرّغم من نشأتهم الإسلاميّة، لا من الشيعة ولا من السنّة، فاضطُهِدوا. وبعدَ استقرارهم في الجبال النائية، لم يسلَموا أيضاً، لا من الأكرادِ ولا من الإسماعيليّين. وعندما دخل الصليبيّون بلادَهم

---

(٤) منير الشريف، العلويون من هم؟ ...، ص ٤٤.

نُكِبوا بهم أوّلاً، ثمّ كـانتْ فترةُ هدؤ. ولمّـا أزاحَ صلاحُ الدين الصليبـيّين وجّهَ إليهم ضربةً قاسية. ولدى استيلاءِ المماليك اشتعلتْ بلادهم ومحاصيلهم...

إنّها فـترةُ اضطهـادٍ مريرٍ وقـهرٍ كـبيرٍ وظلـمٍ قلّ مثيله... لـم يعرف النّصيريّون في أرضهم اسـتقرارًا، ولم يلقوا من جيرانِهم مودّةً، فـاختبروا الموتَ كلَّ سـاعة، وأكلَهـمُ الجوعُ، وفـتكتْ بهم الأمـراض، وَتَخَطَّاهُمُ الزَّمَنُ، فَنَسِيَهُمْ حَيْثُ هُمْ.

ثانيًا – في أيّام الحكم العثماني

سنة ١٥١٦م قضى السلطانُ سليم العثـمّاني على دولةِ المماليك، في موقـعةِ «مرج دابق» بالقـربِ من حلب، وفتحَ سـوريا ومصر. وخـضعتْ له البلاد العـربيّة. ومـارسَ على النصيريّين شـتّى أنواع العذابِ، حـتّى «كانتْ أضـرارُ الأتراكِ فوقَ كلِّ حـدّ»[٥]. ولمّا دخلَ السلطان حلبَ، «أخـذَ من بعضِ العلماء السنّيّين الفتـوى المشهورةَ لقتالِ العلويّين أو الكفرة. جـاء في الفتوى استـشهـادُه بالآيةِ "قاتِلُوا التي تَبْـغِي حتّى تَفِيءَ إلى أمْـرِ اللّه»[٦]. بعدها، «جـمَع عمـومَ الأمراءِ والمشـايخِ العلويّين بحـجّةِ أنْ يُعطي لكلٍّ واحـدٍ منهم سلطةً رسميّةً، ويصادِقُهم على وظائفـهم؛ فجاء الأمراءُ والمقدَّمون والمشايخُ العلويّون من كلِّ جانب، حتّى اجتمعَ إليـه تسعةُ آلافٍ وأربعمائة رجلاً منهم، فقتَلَهم بموجبِ تلكَ الفتوى. ثمّ أمرَ بقتلِ العلويّين باسمِ الدِّين»[٧].

وهربَ العلويّون في الجبال، وكانت الجيوشُ العثمانية تتعقّبهم، حتّى قُتِلَ في ذلك الوقتِ أربعون ألفاً[٨]. وغمّتِ البلوى علويّي ديارِ بكْر وماردين والأناضول والجـبالِ والسـواحل. والذين هَربوا منهم إلى الجـبال سـمّاهم الأتراك «سَوَارِك»، أي: المنفيّين أو المُسَـاقين. ويوجدُ اليوم بعضُ العلويّين في صهيون والعـمرانية وصافيتا ممَّن يسـمّى بهذا الاسم... وزادتِ النكبة بأنْ تحـالفَ الأتراكُ مع الإسـماعـيليّين وملّكوهم الـقلاعَ المحـصّنة في منطقـة العلويّين.

---

(٥) محمد الطويل، تاريخ العلويّين، ص ٣٢٠.

(٦) سورة الحجرات ٤٩/٩.

(٧) محمد الطويل، المرجع المذكور، ص ٣٤٢.

(٨) المرجع نفـسه، ص ٣٤٤؛ تاريـخ الدولة العثـمـانية لمحـمّـد فريد بك، ص ٧٤؛ منيـر الشريف، العلويون من هم؟...، ص ١٠٢.

ثمّ تفاقم الشرُّ بانقسامِ العشائر النصيريّة بعضها على بعض، وتنافسوا على تحصيلِ المعاش، لضيقِ المنطقة التي لجأوا إليها، ولكثرةِ عددِ النازحين، حتّى جرى بينهم اقتتالٌ وشرور عديدة، و«أصبح الأخُ يقتُلُ أخاه ليأكلَ ما عنده»(٩).

وشاعَ في ذلك الحين عن السلطانِ سليم «أنّه لم يُثْبِتْ مقدرتَه الحربيّةَ إلاّ في مَحْوِ العلويّين»(١٠). وقيل في اللاّذقيّة أيضاً: «لم يَبْقَ أثرٌ من العلويّين في اللاّذقيّةِ سوى مقابرالأجداد»(١١). وذكرت مجلّةُ الصيّاد اللّبنانيّة بأنّ العلويّينَ إلى اليوم «يتحدّثون في أوساطهم عن المأساةِ الّتي حلّتْ بهم أيّامَ السلطان العثماني الذي أمر بإبادتهم... و أصدرَ فتوى بإحراقِ دمهم»(١٢)...

ومع هذ ا كلّه استطاعَ النصيريّون البقاء والاستمرار، اذ «كانتْ مناعةُ جبلِ النصيريّةِ الطبيعيّة سببًا في المحافظة على الموجودين فيه منهم»(١٣).

وعند نهاية القرنِ الثامن عشر، وعلى أثَر مقتلِ طبيبٍ إنكليزي في جبل النصيريّة، استحضرَ سُليمان باشا متسلّمُ ولايةِ طرابلسِ قوّاتٍ كبيرةً، وغزا الجبلَ، وقتلَ مَن قتل، وهربَ مَن هرب، و«قبضَ على سبعين شخصًا من المشايخ، وقتّلهم، ووضع في رؤوسهم التِّبن»(١٤)... ثمّ أعادَ الكرّةَ على الجبل بحجّة أنّ فيه حركاتٍ ثوريّة، وقبضَ على خمسةٍ وأربعين شخصًا وذبَحهم.

---

(٩) تاريخ العلويّين، ص ٣٩١.

(١٠) تاريخ العلويّين، ص ٣٤٤.

(١١) المرجع نفسه.

(١٢) مجلّة «الصيّاد»، العلويّون، ٢٤ أذار ١٩٦٦، عدد ١١٢٣، ص ٢١.

(١٣) تاريخ العلويّين، ص ٣٤٤.

(١٤) تاريخ العلويّين، ص ٣٨٨.

في سنة ١٨٠٧م، حدثتْ بين النصيريّين والإسماعيليّين مذبحةٌ عظيمة، وكان ذلك بخدعةٍ ماكرةٍ، إذ طلبتْ ثلاثمائةُ عيلة نصيريّة اللّجوءَ إلى أميرِ مصياف الإسماعيلي بحجّةِ خلافٍ مع أحدِ رؤسائهم الدّينيّين. قَبِلَ الإسماعيليّ طلبَهم، وأسكنَهم عندَه. وبعد مدّةٍ وجيزة، وفيما كان الرجالُ الإسماعيليّون في الحقول يرعون الماشيةَ ويزرعونَ أرضَهم. انقضَّ النصيريّون عليهم، وقتلوا منهم ثلاثمائة رجل، ودخلوا البيوتَ والحصون، وجاء لمساعدتِهم إخوانُهم الذين نزلوا من الجبال... ممّا يثبتُ بلا ريب وجودُ مؤامرةٍ مدبّرة مسبقاً. لكنْ، أنْ يبقى سرُّ المؤامرة ثلاثةَ أشهر يستعدُّ فيها النصيريّون للانقضاضِ على أعدائهم، فهو ما يجعلنا نقدّر مقدرتهم على التقيّة والباطنيّة... وَعلِم باشا الشام بالمكيدة فأتى على رأسِ خمسمائة من عساكرِه، وقضى على الماكِرين.

وفي سنة ١٨٣٢م، دخلَ إبراهيم باشا قائدُ القوّات المصريّة بلادَ الشام، وجرّد النصيريّين من أسلحتهم، وتعقّبهم في الجبال، وهدم حصونَهم «وقطعَ رؤوسَ رؤسائهم»[١٥]، واستعانَ لإخضاعِهم بأعداء قدماء هم الدروز، وبأعداء جدد هم الموارنة، بعد أن استقدمهم من جبال لبنان. وحصل بين النصيريّين والدروز قتالٌ شديد، إلاّ أنّ النصيريّينَ قبضوا على خمسمائة درزيّ في وادي العيون وذبحوهم فوق حجرة واحدة مدوّرة، تسمّى، إلى يومنا هذا «حجرة الدمّ»، بالقرب من المريقب.

ولمّا خرج إبراهيم باشا من سوريا رجع النصيريّون تحتَ سلطةِ زعمائهم، وعادوا يتناحرون فيما بينهم. ففي سنة ١٨٤٧م، حدثَ قتالٌ بين عشيرتَين منهم: الرسلانيّين والشمسيّين.

وقام إسماعيلُ خير بك أحدُ زعمائهم بالصلح فيما بين العشيرتين، كما قام بثورةٍ عارمة ضد الحكم العثماني، إلاّ أن الحكومة عملت على

---

(١٥) P. Jacquot, *L'Etat des Alaouites*, p. 15...

إخمادها. ولكي تأمنَ شرَّه عيّنتْه حاكِماً على قضاءِ صافيتا مقابل دفع ٣٠٠ ألف فرنك. ولكنّه ما لبث أن قام بالثّورة ثانية، فكان يختفي حيناً ويظهر حيناً آخر، إلى أن لجأ إلى خاله «عليّ الشلّة» في قريةِ «عين الكروم»، فغدرَ به خالُه أرضاءً للحكومة وطمعاً بمكافأة، فقتله وهو نائم، وأرسلَ رأسَه إلى الحكومة. وخلفَه «هوّاش» أكبرُ أولاده، فتزعّم عشيرَته فخشيتْ منه الحكومةُ، واستدعاه والي سوريا حمدي باشا سنة ١٨٥٥ إلى دمشق حيثُ اعتقلَه مع أسرتِه، ثمّ نفاه إلى جزيرةِ رودس، وبقي هناك حتّى موته.

هكذا استعادتِ الدولة التركيّة سلطتَها على النصيريّين. وقسمتْ منذ ذلك الحين الجبلَ إلى قائمقاميّات كما في سائر البلادِ السوريّة. وكان تحت الحكم العثماني المباشر. فافتقرتِ البلادُ إلى المالِ والرجال، وقلّتِ المحاصيلُ الهامّة فيها، كالكرمةِ والدّخانِ، ودبَّ الفقرُ والجوعُ والبؤس.

«في سنة ١٨٧٠، كتب الخبيرُ الروسي في اللاّذقيّة ما يلي : إنّ مناطقَ النصيريّين هي من أتعس المناطقِ وأشقاها. ليس لهم لا عدالةٌ ولا أمن»[١٦].

«وفي مدّة ولاية راشد باشا على سوريا (١٨٦٦م)، تمرّد أهالي الجبل على الحكومة، فأمر البابُ العالي بإخماد هذا التمرّد، فأخمده بغاية العنفِ، اذ شنقَ العصاة، وأحرقَ بيوتَ النصيرية.

«وهدأتِ الحالُ عشرَ سنوات. ثمّ عادَ النصيريّة إلى الثّورة، فأرسلتِ الدولةُ العليّة حملةً تحت قيادة الفريق عاكف باشا، قومندان موقع بيروت، فقبض على المتمرّدين، ونفى بعضَهم إلى قلعة عكا، وشنقَ البعضَ الآخر.

«وبعد ذلك العهد عُيّنَ للاّذقيّة متصرّفٌ اسمُه ضيا بك، من أصل شركسي، ومن رجالِ السلطان عبدِ الحميد. فبعد أن بقي في متصرفيّته مدّةً، وخبر أحوالَ البلاد، خُيّلَ إليه أنّ يدًا أجنبيةً تلعبُ بعواطف النصيريّة،

(١٦) المرجع السابق، ص ١٦.

وأنّ وجودَ مدارس الأميركانِ في بعض أنحاءِ الجبالِ مضرٌ بسياسة الدولة، وأنّ الدواءَ الوحيدَ هو إقفالُ تلك المدارس الصغيرة للاستعاضة عنها بمدارس للحكومة.

ثمّ خطر له -للفوز بهذا المشروع- ضرورةُ إدخالِ النصيريّة في الدينِ الإسلامي بطريقةٍ رسميّة، وحينئذ يكون له الحقُّ في منع إنشاءِ المدارس الأجنبية بينهم. فسعى جهدَه في سبيلِ إنجاز مشروعه، وهو يقصد غالباً كسبَ الشهرةِ ونيلَ الحظوة في نظرِ (السلطان) عبدِ الحميد. فاتّخذ لذلك طريقةً سهلة، وهي في حدٍّ ذاتها تلفيقٌ ظاهريٌّ، وذلك أنّه اكتفى بأن أحضر إليه أكثرَ رؤساءِ النصيريّة. وكتبَ بحضورهم مضبطةً في مجلس إدارةِ اللواء بأنّ جميعَ طوائفِ النصيريّة دخلتْ عن رِضًا وطيبةٍ خاطر في الدين الإسلامي الحنيفِ؛ وأنّهم، لهذا القصدِ، أرسلوا رؤساءَهم ومشايخَهم لكي ينوبوا عنهم بالإقرارِ والاعتراف بإسلامهم الرسمي لدى الحكومة. فوقّع هؤلاءِ المضبطةَ وانصرفوا. وبعد ذلك أقفلتِ الحكومةُ مدارسَ الاميركان الصغيرة التي كان أكثرُها عبارةً عن بيوتٍ حقيرة. ثمّ بنتِ الحكومةُ في سواحلِ الجبل نحوَ أربعين مدرسة صغيرة لتعليمِ أولادِ النصيريّة القراءَة البسيطة لا غير»[١٧].

وفي سبيل الوصول إلى هذا الهدف عيّنتِ الدولةُ التركيّة مدحَت باشا واليًا على سوريا، وجعلتْه يهتمُّ بالنصيريّين، حتى سمّوه «سيّد الأحرار في الشرق»، لأنّهم، في أيّامِه، تنفّسوا الصعداء. وذات يوم، جاء مدحتُ باشا إلى حماه وطلب زعماءَ النصيريّين من مقدّمين ومشايخ، وكانوا نحو خمسمائة، فوقفَ بينهم، ووجّهَ اليهم خطابَه الشهير. جاء فيه:

«يا أمراءَ ومقدّمين ومشايخ! لماذا تبقون تجاهَ الحكومة في موقعِ العصاةِ، وأنتم مصرون على عدمِ تأديةِ التكاليف الأميريّة، وعلى عدمِ إيفاء

---

(١٧) عن مقال في جريدة الأهرام نقله فريد وجدي في «دائرة معارف القرن العشرين»، ج ١٠، ص ٢٥٢. أنظر «مذاهب الإسلاميّين»، ص ٤٩٩.

الخدمةِ العسكريّة، ولا تقبلونَ الأحكامَ القانونيّة، وأنتم مصِرّون على مخالفة الحكومة؟

«يا أولادي! أنتم لا تعترفون بعدالةِ الحكومة، لأنّكم لم ترَوا في أعمالها شيئاً يدلُّ على النّيّاتِ الحسنةِ نحوكم، ولم تُصادفوا قَرارًا لها في شؤونكم يوافقُ قواعدَ العدل؟

«أنتم لا تنقادونَ لأوامرِ الحكومة، لأنّ المأمورين الذين يذهبون لعندكم لا يعملون شيئاً إلاّ تذليلَ نفوسِكم العزيزة، ولم تكونوا في نظرِهم إلاّ غنيمةً تُؤكَل. ولم تشاهِدوا في الحكومة أُذُنًا تصغي لأنينِ شكواكم. وأنواحكم تذهبُ ضَياعاً. وأنتم تعتقدون أنّ هذه هي الحكومة!

«أمّا السوريّون فإنّهم يعتقدون أنّكم ذوو أخلاقٍ تقتضي معاداتكم إلى الأبد، ويهتمّون في إقناعِ الحكومة على ذلك.

«بقيتم تجاه الحكومة في موقع العصاة، لأنّه لا يوجد في جبلكم مدرسة تعلّمُكم واجباتكم، ولا طريق يوصلكم لمراكزِ المدينة، ولا أثر يدّلكم إلى العمران والرفاهية، ولم تشاهِدوا سوى المظالم والتعدّيات التي أوجدتْ فيكم المخالفةَ وخشونةَ الطبع.

«فلذلك بقيتم دائمًا كالعصاة، وواظبتم على الممانعةِ والمخالفة، وهذا أمرٌ طبيعي، فلا لوم عليكم!

«يا أولادي! أطمّنكم، أنّي سأدفعُ عنكم تلكَ الأحوال الإداريّة السقيمة. وسأجعلكم تستقلّون في الحكمِ بأنفسكم كما هي الحالة في جبل لبنان. وسأفتحُ لكم طرقًا تسمحُ لكم بالاشتراك في الحياةِ البشريّة العموميّة، وتكونون أنتم الحكّامَ على أنفسكم، وحينئذ تلقون أنفسكم في حضن أمّكم الشفوقة الحكومة العثمانية»[١٨].

---

(١٨) أنظر خطاب مدحت باشا في تاريخ العلويّين، ص ٤٠١–٤٠٤.

عند ذلك تحرّكتْ خـواطرُ أشراف الشـام، وأثاروا ضجّةً عظيـمةً بأنّ مـدحتَ باشا يريدُ إجـهـادَ الحكومة والاسـتقـلال عنهـا. ووالَوا شكاياتهم للسلطانِ عبد الحميد الثاني، فنقلَ مـدحتَ باشا إلى أزمير، واتّهمَه بالخيانةِ.. ثمّ نُفيَ إلى الطائفِ وماتَ هناك مغدوراً به.

ثالثًا – في زمن الانتداب الفرنسي

لم تدمْ أحوالُ النصيريّين على هذه الحـال، بل أخذتْ بالتردّي. فما أنْ أُعلنت الحربُ العـالميّة الأولى، واستنفـرتِ الدولُ المتحاربة جـيوشَهـا، حتى قامتِ الدولة العثمـانيّة، وأعدّت رجالَها وعتادَها. وكـان الرجالُ النصيريّون مَن أوائل مَن ساقتْ بهم إلى الوغى.

وسـاءتْ أحوالُ الجـبال النصـيرية جـدًا، بعد رحـيلِ الرجال عنهـا. فتضاءلتِ الزراعةُ، وَقلَّ المحصولُ، وفـرضتِ الدولةُ التركيّة على الحاصلاتِ ثلاثةَ أعشـارِها، واحتكرتْ كلَّ شيء فيَ سبيلِ الجـيوش، ومنعتِ الناسَ من شِراءِ الخبز إلاّ من دائرةِ الإعاشـة... و«جبلُ النصيريّة الذي لم يكن، والحالة هذه، ليـعطي حَـبًا يكفـي أهلَه، فقـد بقي تحتَ خطرِ الجـوعِ وخطرِ الحـمّى التيـفوسيّـة التي توسّعتْ في أعـالي الجبال، وأسـفرتْ عن وفـاةِ مائة ألف نسمة فيه»[١٩].

ولمّا قـضـى الحلفـاءُ على الـدولةِ العـثـمانـيّـة، عمـلتْ هذه على طردِ النصيريّين من «أطنة»، وعلى أخـذِ الأسلحة الحربيّة منهم، وعلى تشتـيتهم، حـتى لم يَبْقَ لهم فـيهـا أثر، وعمّـتِ الفوضى فيَ البـلاد، وكـثرتِ البـلايا، واستـغلّ الارمنُ المنكوبون المناسـبةَ، كـما طمـعوا بمحبّـةِ الفرنسـيّين لهم، فراحوا، بفـضلِ تنظيمهم، ينتقمـون و«يَعتَدُون على كلِّ مَن إسمُه مـحمّد أو أحمد، أو كلِّ مَن كان متعمِّماً ولابسَ طربوش»[٢٠].

«وفي القطاع السـاحلي من سـوريا، الذي كـان منذ أواسط تشـرين الأوّل ١٩١٨ مسـرحًا لمجـهودٍ فـرنسيٍ مرهق وقـاس، فإنّ المهـمّة الأكـثر

---

(١٩) تاريخ العلويّين، ص ٤١٤.

(٢٠) المرجع نفسه، ص ٤١٩.

إلحاحاً أمام الفرنسيّين كانت التخفيف من الجوعِ والبؤس بين الأهالي الذين أوصلتْهم الحربُ وسوءُ الحكم إلى حالةٍ كئيبةٍ تنذُر بكارثة. وكانت الإرساليّات، التي تتبعُ دُوَلاً في حالةِ حربٍ مع تركيا، قد مُنعتْ في السنة الأخيرة للحرب من مواصلةِ عملِها في المدنِ والقرى المصابة، بل والمقفرةِ أحياناً كثيرةً بسبب الجوعِ والأمراض[٢١]... وكانت آثارُ هذه النّكبات واضحة للعيان...»[٢٢].

وبعد هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الأوّل ١٩١٨ القاضية بتسريح كلِّ القوّات التركيّة واستسلامها الكامل وتسليمها مواقعها للجيوش الفرنسيّة، تألّفت جمعيّةٌ علويّة سَمّتْ نفسَها «انتباه مِلّي» بالتركية، أو «اليَقَظة القوميّة» بالعربيّة، وراحت تطالبُ بكيليكيا على أنّها من البلادِ العلويّة، ولا حقّ للأرمن بها. وقالوا: «إنّ كيليكيا هي من البلاد العربيّة من حيث التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والأساسات العرقيّة لسكانها»[٢٣]. وكان الكاتبُ في الجمعيّة العلويّة، آنذاك، صاحبَ كتابِ «تاريخ العلويّين»، محمّد أمين غالب الطويل[٢٤]. وكان ذلك في صيف ١٩١٩.

في ٢٨ آب ١٩١٩، قام الشيخُ صالحُ العَلي بثورةٍ عارمة ضدّ الفرنسيّين وحلفائِهم الإسماعيليّين، وعاونَه عل ذلك الملكُ فيصل الذي كان ملكاً على دمشق آنذاك. وهاجمَ الشيخُ صالح الإسماعيليّين في القدموس ومصياف ونهر الخوابي، ودمّر بلادَهم إلى أن تدخّلتِ السلطاتُ الفرنسيّة.

وفي ٢١ آذار ١٩٢٠، عاود النصيريّون، بقيادةِ الشيخ صالح العلي، مهاجمةَ القدموس، واستولوا عليها، وأعملوا فيها النهبَ والتخريب والقتل. وأمر الشيخُ العلي بجمع كتبِ الإسماعيليّة وأمرَ بإحراقِها.

---

(٢١) س. هـ. لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ص ١٠١.

(٢٢) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص ٣٤٥، نقلاً عن المرجع السابق.

(٢٣) تاريخ العلويّين، ص ٤٢٤.

(٢٤) نعتمد على هذا الكاتب لمعايشته الأحداث وفاعليته فيها.

وفي ١٧ نيسان ١٩٢٠، قام الإسماعيليّون بهجوم معاكس على القدموس، واستطاعوا استردادَها...

وهكذا كان الحربُ سجالاً بين الشيخِ صالح العلي والنصيريّين من جهة وبين الفرنسيّين والإسماعيليّين حلفائِهم من جهة ثانية. وكانت النتيجة تدمير مدن وقرى عديدة، مثل القدموس، ومصياف، والشيخ بدر، والنيحا، ووادي العيون، والرستن، وعفرزيتي، وقلعة الخوابي، وكاف الجون، ورأس الكتان، وضهر مطر، والعجمة، والغازة، والشيخ علي طرزوا، والحفّة، وغيرها... أحرقتِ المحاصيلُ، وأتلفَ التبغُ بنوعٍ خاص، وتشرّدتْ عائلات، وهُدّمتِ بيوتٌ من أساسها...

في ٦ آب ١٩٢٠، كتبَ المفوّض السامي الفرنسي في بيروت إلى وزير الخارجية الفرنسيّة آنذاك «ميلّران» يقول له: «إنّ الإنصاريّة الموجودين في الجبال قبالةَ الساحل، كلّهم يتكلّمون العربيّة، ويؤلّفون وَحدةً دينيّةً هي، نظرياً، متّصلةٌ بالإسلام، ولكنْ، عمليًا، منفصلةٌ عنه تماماً. ولا يجب أن نخلطهم مع المسلمين. إنّهم جبليّون متخلّفون، تحت سلطةِ رؤسائهم الإقطاعيّين»(٢٥).

في ٢٩ آب ١٩٢٠، حُدِّدَتْ أراضي الدولة العلويّة، وعُيّن الكولونيل نيجر Nieger حاكمًا عليها.

في ٣١ آب و ١ أيلول من السنة نفسِها، صدرَ من القومسّيريّة العليا في بيروت أمرٌ يقضي بتسمية جبل النصيريّة بـ «أراضي العلويّين المستقلّة»، وتقرّر لها شكلاً إداريًا خاصًا. وكان يُدير شؤونَها الكولونيل نيجر المذكور.

وفي ١ أيلول أيضاً، جاء رجلٌ من علويّي طرسوس وباشر بنشرِ جريدة سمّاها «الصّدى العلويّ».

---

(٢٥) *Archives diplom. du ministère des Affaires Etrangères Françaises n°125*, p. 19.

في ١٥ تشـرين الثـاني ١٩٢٠، وجّـه الشـيخُ صـالح العلي حـملةً لاحتلال مصياف الاسماعيليّة، فحاصرَها، وقامتْ فيها معارك طاحنة، ودامَ حصـارُه لها عشرة أيّام. فـي هذه الأثناء كتبَ الكولونيل الفرنسـي «جـاكو»: «إنّ النصـيـريّين والإسـمـاعـيليّين شـعـبـان وديان. لا هؤلاء، ولا أولئك، مسلمون»[٢٦].

وفي ٢٩ تشـرين الثاني من السنة نفسِـهـا، وجّه الجنـرال «غورو» حملةً ضدّ الشيخ صالح العلي عند قـرية «عين القضيب»، شرقي القدموس، ولكن دون جـدوى. إلاّ أنّ الجيـوشَ الفـرنسـيّة دخلتْ منطقَـةَ الشـيخ بدر واحتلّتْها بدون مقاومة، وراحت تعتـقلُ الزعماءَ والمشايخ والأعيان، وقضتْ على بعضهم بالإعدام، وعلى بعضهم الآخر بالسجن المؤبّد... فاضطرَّ الشيخ صـالح العلي إلى التـوجّـه إلى الشمـال إلى قـرى «بشـراغي» و «سنديانا» و«جيبـول» و«الحمام»؛ فتـعقّبتْه الجـيوش الفرنسيّـة. ودارتْ بين الفريقين حربٌ سجـالٌ إلى أنِ انتهتْ بقيام الفرنـسيّين بهجوم كبـير في ١٥ حزيران ١٩٢١ على «بشراغي» حصنِ الشيخ صالح، و«بسـمالخ»، و«عقبة الزرزار» و«جبل النبي صالح». وحاول الفرنسـيّون القبضَ على الشيخ، ولكنّ الشيخَ كان قد اختفى. وتشكّلتْ محكمَةٌ أصـدرتْ حكمَها بالقبضِ عليه وإعدامه؛ ولمّا يئسوا من القبضِ عليـه أصدرَ الفرنسيّون قراراً بالعـفو عنه. وقّعه الجنرال غورو... فسلّم الشيخُ نفسَه حتى يُجَنِّبَ بني قومِه العذاب.

عرف الشيخُ مصلحةَ قومِه فذهبَ إلى اللاّذقيّة لمقابلة Billote «بيّوت» الذي أبلغـه العفـوَ شـرطَ أن يقيم في منطقـةٍ لا يغـادرها إلاّ بإذن السلطاتِ الفرنسيّـة. وعادَ الشيخُ إلى الجبل ليعـتزلَ فيه. ولم يترك عـزلتَه إلاّ بعدَ أن تحرّكتِ القضيّةُ الوطنيّة سنة ١٩٣٦ وما تلاها.

وأخيراً توفّي الشيخ في ١٣ نيسان سنة ١٩٥٠.

---

(٢٦) Col. P. Jacquot, *L'Etat des Alaouites*, p. 15.

بعد عزلةِ الشيخ ســادَ الجبلَ هدوٌّ كبيرٌ ومديد، واستقـرّت فيه أحوالُ المعيشة، وابتدأتْ سياسةٌ علويّة جديدة مع الانتداب...

فــفي ٢١ تموز ١٩٢٢، أخـــذتِ «الأراضي الـعلويّة» إسـمَ «دولة العلويّين». وكان حاكمُها الأوّل الجنرال «بيوت» Billote[٢٧].

وفي ١٦ أيلول من السنة نفسِهـا، تعـيّنَ للعلويّين قضــاةٌ ومحـاكم مذهبيّة، وأُحدِثَ لهم مرجع باسم «قاضي القضاة»، وكانوا يحكمون بحسبِ المذهب الجعفري مع بعض الفروق.

وابتدأ عــهدٌ جديد نتجَ عنه «رغـبةٌ، قد تكونُ غـريزيّةً، في الطلب من السلطة المنتدبة، بواسطةِ ممثّليها، لأن تمدِّدَ وصايتَــها ومراقبتَها، لكي يكونَ (للعلويّين) الـوقتُ الكافي والوســائلُ الكفـيلة، ليـحـصلوا على قـوّة الإدارة والســياســة التي تنقـصُــهم، وليُـفسَحَ لهـم المجالُ ليـصلوا إلى درجـةٍ من التطوّر»[٢٨].

وهكذا أصبـحتِ «الدولةُ الجديدة ضـمنَ الاتحادِ السـوري الفدرالي. وتعلّقُ النصيريينَ بسنّيي دمشق لا يمكن أن يدوم، لهذا كثرتِ الاعتراضات. وفي كـانون الثــانــي سنة ١٩٢٤، رفضَ ممثلو النصــيــريّين الجلوسَ في المجلسِ الفدرالي. وفي ١ كانون الثاني سنة ١٤٢٥، أصدر الجنرال «ويغان» Weygand قراراً باستقلال «دولة العلويّين»[٢٩].

سنة ١٩٢٧، كانت «دولةُ العلويين» تتألّف من سنجقين:

١. سنجق اللاّذقـيّة، ويتضــمّن: مدينة اللاّذقـيّة، وجبلـة، وبانياس، ومصياف، والحفّة، كأقضية. والأقضية تنقسم إلى مديريّات»[٣٠].

---

(٢٧) Col. P. Jacquot, *L'Etat des Alaouites*, 16.

(٢٨) Op. cit., p. 30.

(٢٩) Huart, *Hist. des Arabes*, cité par Jacquot, 16.

(٣٠) Col. p. Jacquot, *L'Etat des Alauites*, p. 10

٢. وسنجق طرطوس، ويشمل على: طرطوس، وصافيتا، وتل كلخ، كـــاقضية.

وكـان العَلَمُ العلوي «أبيض مع شمسٍ في الوسطِ صَفراء، وأربع زوايا حَمراء»[٣١].

وكان عددُ سكّان الدولة آنذاك ٢٧٨,٠٠٠ نفس. موزعّة كما يلي:

١٧٦,٢٨٥ علوي :	١٧٥,٥١٤	في القرى
	٧٧١	في المدن
٥٢,١٤٨ سنّي :	٣٠,٠٨١	في المدن
	٢٢,٠٦٧	في القرى
٤,٤٥٧ إسمعيلي:	٢,٨٥١	في القرى
	١,٦٠٦	في المدن
٤٤,٤٤٤ مسيحي:	٣٤,٤٨٩	في القرى
	٩,٩٥٥	في المدن[٣٢]

***

وكانت حدود الدولة العلويّة تمتدّ في ما بينَ وادي النهر الكبير شمالاً حيث تبتدئ سهولُ حمص والسهولُ التي يرويها نهرُ العاصي، ثمّ تلال متلاصقة بعضها ببعض في علوٍّ متوسط (حوالي ٩٠٠ متراً)، تمتدّ إلى إنطاكيا شمالاً، حيث تنخفض بسرعة ليمرّ فيها نهر العاصي... فتكون حدود «دولة العلويّين» إذاً: من النّهر الكبير جنوباً، والعاصي شرقاً وشمالاً، والبحر الأبيض المتوسط غرباً.

***

(٣١) J. Weuleresse. *Le pays des Alaouites*, t. I, 12

(٣٢) Col. Jacquot.... p.10 ....

ننقلُ عن مؤرّخي هذه الفترة من تاريخِ النصيريّين ما يلي:

«حظيتْ بلادُ العلويّين، التي كانتْ قد نجحتْ بصعوبةٍ في تجنّب التورّط في اضطرابات ١٩٢٥-١٩٢٧، بإدارة حكوميّة في الفترة ١٩٢٧-١٩٣٥ أرقى من أيّة إدارة سبق أن عرفتها البلاد، وذلك رغم أنّ هذه السنوات شهدتْ كساداً اقتصاديًا خطيراً.

« وقد احتفظ المسيو شِفْلير Schaeffler بمنصبِ الحاكم طوال هذه المدّة. وكانت كلّ السلطات الفعليّة في أيدي الموظّفين الفرنسيّين. وأفلح المجلسُ التمثيلي -كان نصفُ أعضائه، ثمّ ثلاثة أرباعهم بعد سنة ١٩٣٠، مُنتَخَبين- رغم طغيانِ الفظاظات الطائفيّة، في القيام بمهامّه على نحو معقول. وقد سجّلَ الاهتمامُ بالانتخابات زيادةً ملحوظةً في هذه الفترة، بوصفِها مجالاً آخر للصراعِ فيما بين الطوائف(٣٣)، وذلك رغم أنّ الجمهور العادي ظلّ على لامبلاتهِ تجاهَ أعمال المجلس.

«وفي سنة ١٩٣٤، أعيد تنظيمُ شؤون القضاء. ولقيتْ إعادة العمل بمونوبول التبغ تأييداً عامًا بعد سنوات من الإنتاج الفائض والمواسم التي لا سبيل إلى تصريفها. وفي مدينة اللاذقيّة تولّى موظّفون حكوميّون مهامَّ المجلس البلدي بعد أن أثبتَ عدم كفاءته. وقد عَبَّرتْ مجموعةٌ صغيرةٌ من المثقّفين النصيريّين عن استيائها من قلّةِ استخدام موظّفين من العلويّين بالمقارنة مع السنّة أو المسيحيّين. وبمعزل عن شجارات وصراعات زعماء منطقة التلال من النصيريّين، والنزاعات بينهم وملّاك الأراضي السنّة أو جيرانهم الإسماعيليّين.

«فإنّ سياسات البلاد ظلّتْ على حالها من حيثُ توحّد الأغلبية العلويّة في موقف انفصالي ومؤيّد للانتداب في حين ظلّ السنّة وأغلب المسيحيّين(٣٤)

---

(٣٣) توزعت المقاعد في المجلس على النحو التالي: ١٠ للعلويّين (النصيريين)، و٢ للأرثوذكس، و ١ للموارنة، و٣ للسنّة، و١ للإسماعيليّين.

(وليس كلّهم)، وحدويّين وذوي نزوع وطني سوري. ورغم الردّات والانقسامات الهامشيّة فإنّ هذين الحزبين ظلاّ على حالهما وكانا يتنافسان في الاجتماعات والعرائض والوفود التي تؤمّ بيروت كلّما سنحت الفرص. وقد قدّم الفرنسيّون الدعمَ للحزب الانفصالي علَنًا، وثابروا على تأييد «الربّ» (نصف الشرير ونصف المضحك) البَدِين والجاهلِ وصانعِ المعجزات سليمان المرشد. لكنَّ أحدًا ما كان قادرًا أن يتصوّر أنّ بلادًا صغيرة ومتأخّرة بالكاد قادرة على الاكتفاءِ إلى هذا الحدّ –إلى جانب أنّ انتماءَها لسوريا حقيقة صارخة– يمكن أن تحرز مستقبلاً معقولاً إلاّ إذا استمرَّ الوجودُ والدعمُ الفرنسيّين لمدّة غير محدودة»[٣٥].

***

لكنّ الدعمَ لم يستمرّ، ولن يستمرّ تأييدُ الفرنسيّين للربّ سليمان المرشد. ودلّت على عدم الاستمرار هذا وثائقُ وعرائضُ رَفَعَها زعماءُ علويّون، بعدما شعروا بنيّات السلطاتِ الفرنسيّة، وعزمِها على ضمّ الدولتَين العلويّة والدرزيّة إلى سوريا...

وبالفعل «صدَر، في ٢ و ٥ كانون الأوّل سنة ١٩٣٦ مرسومان ينصّان على إعادةِ ضمٍّ منطقتَي الدروز والعلويّين إلى سوريا»[٣٦]. ولكن، قبلَ مشروع الضمّ هذا، قام الإنفصاليّون يرسلونَ الوفودَ تلو الوفود إلى بيروت. و«كان سليمان المرشد على رأسِ أحد الوفود التي أمّت بيروت للاحتجاج»[٣٧]، كما كان موقّعاً لـ«وثيقة تاريخيّة»، مع بعض الزعماء العلويّين النافذين ...

---

(٣٤) «كانت الطائفة المارونيّة الصغيرة الحجم، والمرسلون اليسوعيّون انفصاليين بقوّة».

(٣٥) س. هـ لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٣٦) المرجع نفسه، ص ٢٧٨؛ أنظر أيضاً: ص ٣٠٧.

(٣٧) المرجع نفسه، ص ٢٦٦.

هذه الوثيقة رفعها زعماء النصيريّة لرئيس الحكومة الفرنسيّة ليون بلوم Léon BLUM، محفوظة تحت رقم ٣٥٤٧، تاريخ ١٥/٦/١٩٣٦، في سجلات وزارة الخارجيّة الفرنسية. وفي سجلاّت الحزب الاشتراكي الفرنسي صورة عنها. ننقلها حرفيًا. وهذا نصّها:

«دولة ليون بلوم، رئيس الحكومة الفرنسيّة،

بمناسبة المفاوضات الجارية بين فرنسا وسوريا، نتشرّف نحن زعماء ووجهاء الطائفة العلويّة في سوريا أن نلفتَ نظركم ونظرَ حزبكم إلى النقاط التالية:

١ . إنَّ الشعبَ العلوي الذي حافظ على استقلاله سنةً فسنة، بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس، هو شَعْبٌ يَخْتَلِفُ بمُعْتَقَدَاته الدينيّة وَعَادَاتِهِ وتاريخِهِ عنَ الشَّعْبِ المُسْلِمِ السنِّي. ولم يحدث في يوم من الأيّام أن خضع لسلطة مدنِ الداخل.

٢ . إنَّ الشَعْبَ العَلَوِيَ يرفُضُ أنْ يَلحَقَ بسوريا المُسْلِمَة، لأنّ الدين الإسلامي يُعتَبر دينُ الدولة الرسمي، والشَعْبُ العَلوي، بالنسبة إلى الدين الاسلامي، يُعْتَبَرُ كَافِرًا. لذا نلفت نظركم إلى ما ينتظر العلويّين من مصيرٍ مخيف وفظيع في حالةِ إرغامهم على الالتحاقِ بسوريا عندما تتخلّص من مراقبةِ الانتداب، ويصبحُ بإمكانها أن تطبّقَ القوانين والانظمة المستمدّة من دينها.

٣ . إنّ منْحَ سوريا استقلالَها وإلغاءَ الانتداب يؤلّفان مثلاً طيّباً للمبادئ الاشتراكيّة في سوريا، إلاّ أنّ الاستقلالَ المطلق يعني سيطرة بعض العائلات المُسْلِمَة على الشعب العلوي في كيليكيا واسكندرون وجبال النصيريّة.

أمّا وجود برلمان وحكومة دستوريّة فلا يُظهر الحريّة الفرديّة. إنّ هذا الحكم البرلماني عبارة عن مظاهر كاذبة ليس لها أيّة قيمة، بل يخفي في الحقيقة نظاماً يسوده التعصّبُ الديني على الأقليّات. فهل يُريد القادةُ

الفرنسيّون أن يسلِّطوا المُسْلِمين على الشعبِ العلوي ليلقوه في أحضانِ البؤس؟

٤ . إنّ روحَ الحقد والتعصب التي غُرِّزَتْ جذورُها في صَدْرِ المُسْلِمين العَرب نحو كلِّ ما هو غير مسلم هي روح يغذّيها الدينُ الإسلامي على الدوام. فليسَ هناكَ أملٌ في أن تتبدّلَ الوضعيّة. لذلك فإنّ الأقلّيات في سوريا تصبحُ، في حالة إلغاء الانتداب، معرَّضةً لخَطَرِ الموتِ والفناء، بغضِّ النظر عن كون هذا الإلغاء يَقضي على حرّية الفكر والمعتقد.

وها إنّنا نلمس اليومَ كيف أنّ مواطني دمشق المسلمين يُرغمون اليهودَ القاطنين بين ظهرانيهم على توقيع وثيقةٍ يتعهّدون بها بعدم إرسال الموادِّ الغذائيّة إلى إخوانهم اليهود المنكوبين في فلسطين. وحالةُ اليهود في فلسطين هي أقوى الأدلّة الواضحة الملموسة على عنف القضيّة الدينيّة التي عند العرب المسلمين لكلِّ مَن لا ينتمي إلى الإسلام. فإنّ أولئكَ اليَهُود الطَيِّبين الذينَ جاءَوا إلى العَربِ المسلمين بالحضارةِ والسلامِ، وَنَثَروا فوقَ أرضِ فلسطين الذهبَ والرَفَاه، ولم يوقِعُوا الأذَى بأحدٍ، ولم يأخذُوا شيئًا بالقوّة، ومع ذلك أعلن المسلمون ضدَّهم الحربَ المقدّسة، ولم يتردّدوا في أن يذبحوا أطفالَهم ونساءهم بالرغم من وجود أنكلترة في فلسطين وفرنسا في سوريا. لذلك فإنّ مصيرًا أسودَ ينتظرُ اليهودَ والأقليّاتِ الأخرى في حالةِ إلغاء الانتداب وتوحيد سوريا المسلمة مع فلسطين المسلمة. هذا التوحيد هو الهدف الأعلى للعربيِّ المسلم.

٥ . إنّنا نقدر نبلَ الشعور الذي يحملكم على الدفاع عن الشعب السوري وعلى الرغبة في تحقيق الاستقلال، ولكنَّ سوريا لا تزال في الوقت الحاضر بعيدةً عن الهدف الشريف الذي تسعَون إليه، لأنّها لا تزال خاضعةً لروحِ الإقطاعيّةِ الدينيّة. ولا نظنّ أنَّ الحكومةَ الفرنسيّة والحزبَ الاشتراكي الفرنسي يقبلون أن يُمْنَحَ السوريّون استقلالاً يكون معناه، عند تطبيقه، استعبادَ الشعب العلوي وتعريضَ الأقليّات لخطرِ الموتِ والفَناء.

أمّا طلب السوريّين بضمّ الشعب العلوي إلى سوريا فمن المستحيل أن تقبلوا به، أو توافقوا عليه، لأنّ مبادئكم النبيلة، إذا كانتْ تؤيّد فكرة الحريّة، فلا يمكنها أن تقبل أن يسعى شعبٌ إلى خنق حرّيةِ شعبٍ آخر لإرغامه على الانضمام عليه.

٦ . قد ترون أنّ من الممكن تأمين حقوق العلويّين والأقلّيات بنصوص المعاهدة، أمّا نحن فنؤكّد لكم أن ليس للمعاهداتِ أيّة قيمة إزاء العقليّة الإسلاميّة في سوريا. وهكذا استطعنا أن نلمس قبلاً في المعاهدة التي عقدتْها إنكترة مع العراق التي تمنع العراقيين من ذبح الأشوَريّين واليزيديّين.

فالشعب العلوي، الذي نمثّله، نحنُ المجتمعين والموقّعين على هذه المذكرة، يَسْتَصْرِخُ الحكومةَ الفرنسيّةَ والحزبَ الاشتراكي الفرنسي، ويسألُهما، ضماناً لحرّيّته واستقلاله ضمنَ نطاقِ محيطه الصغير، ويضع بين أيدي الزعماء الفرنسيّين الاشتراكيّين، وهو واثقٌ من أنّه واجدٌ لديهم سندًا قويًا أمينًا لشعبٍ مخلصٍ صديقٍ، قدّم لفرنسا خدماتٍ عظيمةً، مهدّدٍ بالموت والفناء»

الموقّعون

عزيز آغا الهوّاش	محمد بك جنيد	سليمان المرشد
محمود آغا جديد	سُليْمان أسَد	محمد سليمان الاحمد

ولكن، لا الوفودُ إلى بيروت، ولا الوثائق المرفوعة إلى الدولة الفرنسيّة، ولا المذكراتُ التي وقّعَها زعماءُ ومشايخ، ولا مستقبل الأقليّات الغامض... منعتْ فرنسا من الرحيل.

ففي ١٩٣٦/١٢/٥، ضُمّتْ «دولة العلويّين» إلى حكومة دمشق وصارت جزءًا من الدولة السوريّة بالقرار رقم ٢٧٤ ل. ع.[٣٨]، الموقّع من

المفوّض السامي للجمهورية الفرنسية د. دي مَرْتِل.

***

ومع هذا، لم تخمدْ نارُ الانفصاليّين، ولم تتوقّفِ الاضطراباتُ في البلاد العلويّة... ممّا ألزم المفوَّضَ السامي إصدارَ أنظمةٍ سياسيّة جديدة، تناسب الوضع المستجد. «واتّضح أنّ باريس وافقتْ على توصياته القائلة بعودةِ المنطقتَين الدرزيّة والعلويّة إلى الحكمِ الذاتي والاحتفاظ بالقوات الفرنسيّة... وأصدرَ المفوَّضُ السامي في ٧ تموز (١٩٣٩) أنظمةً أساسيةً جديدة ونصفَ انفصاليّة لمناطقِ اللاذقيّة وجبل الدروز، تكرّس أوضاعها على نحوٍ لا يختلف كثيرًا عمّا كان سائداً قبل ١٩٣٦. وفي اليوم نفسه أرسلَ الرئيسُ الأتاسي برقيةً احتجاجٍ إلى باريس، واستقال من منصبه وتوجّهَ إلى منزلهِ في حمص، وامتنعَ الوزراءُ عن التوجّهِ إلى مكاتبهم، في حين كانتْ دورةُ انعقاد المجلس في أيّامِها الأخيرة. وحينَ لم يجد المفوَّضُ السامي مخرَجًا فإنّه نشَر في ١٠ تموز مراسيم تتضمنُ تعليقَ العملِ بالدستور السوري، وتعيينَ مجلسٍ مكوَّنٍ من المُدَراءِ العامِّين للوزارات برئاسة بهيج الخطيب»[٣٩].

---

(٣٨) راجع نصّ القرار في كتاب «مراحل استقلال دولتَي لبنان وسوريا» جمع وجيه علم الدين، ص ٧٦–٧٧، بيروت ١٩٦٧.

(٣٩) كان المفوَّض السامي آنذاك المسيو «بيو» .PUEUX؛ أنظر س. هـ. لونغريغ، تاريخ

رابعاً - الرؤيا البعيدة

لم ينجح النصيريّون الإنفصاليّون. لقد استقلّتْ سوريا بكامل مناطقها ودويلاتها. وما لم يتحقّقْ في دورةٍ ما من التاريخ قد يتحقّقُ في دورةٍ أخرى. وما لم يتوصّل إليه سليمانُ المرشد وسليمانُ الأسد وأعوانُهما، قد يتوصّلُ إليه أبناؤهما وأحفادهما. وإذا كان سُليمان المرشد استطاعَ أن يدخل برلمان الشام نائبًا سنة ١٩٣٧، فإنّ أحفادَه سيدخلونَ مناصبَ وزاريّة ورئاسيّة أعظم شأناً.

عملَ سليمانُ المرشد للاستقلالِ عَلَناً، فباءتْ مساعيه بالفشل، وسيعملُ أحفادُه سرًا، فنجحوا. ذاك حصّنَ قلاعَه وشحَن النفوس في الجبل، وهؤلاء عزّزوا القواعدَ وصمّموا للاستقلالِ بعمقٍ وفي اتجاهين: في اتجاهٍ أوّل، عملوا لكلِّ سوريا باسمِ العروبةِ والبعث والإسلام؛ وفي اتجاهٍ ثانٍ، حقّقوا في مناطقِهم العمرانَ والاقتصادَ والمرافئَ البحريّةَ والجويّةَ والطرقاتِ وسكك الحديدِ ودُورالعلمِ والجامعاتِ ومصارفَ المال. في الاتجاهِ الأوّل، نَظّموا جيشًا مقاتلاً ضدَّ إسرائيل؛ وفي الثاني، سَيطروا هم على الجيش والمؤسّساتِ العسكريّة وقيادةِ الطيران والقوّاتِ الخاصّة والحرسِ الجمهوري والاستخبارات...

نامَ سليمانُ المرشد وسليمانُ الأسد بأملِ تحقيقِ حلْم لم يسعْهما تحقيقه. وجاء أبناؤُهما حالمين بتحقيقِ أملٍ، ولكن، يومَ يحين حينُه. رَقَدا تاركَينَ لأبنائهما وصايا من صلبِ الدّين: ألعملُ بتقيّةٍ وباطنيّة، ألصبرُ والاحتمال، تحمّلُ القهر وطولُ الأناة، الإستفادة من الأقربين والأبعَدين. ألإتجاهُ نحو الغربِ والشرق معاً. ألقتالُ ضدَّ إسرائيل ومعها. الدفاعُ عن العروبةِ وقضاياها، إنّما للانتفاع من آبارِ نفطِها وأموالها... وحدَهم أبناءُ

السُلَيمَـانَين يستطيعـون أن يسيروا باتّجاهَين مـعاكسَين مـتناقضَين في آنٍ معاً. يعرفون وحدَهم متى يهـدأون ومتى يحَاربون. وكلُّ خطوةٍ كانتْ متينةً أمينة.

لقد استطـعنا الحصول على مقـرّراتٍ سرّيّة عظيمة وبالغـة الأهمّيّة، كشفتْ لنا عمقَ السياسة النصيريّة، وبعد آفاقها ورؤياها. فكان لنا ما يلي:

إجتماعُ القرداحة[٤٠].

«في عام ١٩٦٠ تنادى مشايخ النصيريّة لعـقدِ اجتماعٍ لهم في قرية القرداحـة يحضره كـبارُ الضبـاط النصيريّـة، وعلى رأسـهم كلٌّ من محـمّد عمران ومحـمد نبهان وصلاح جديد وحافظ الأسـد. وكان الهدف الرئيسيّ من هذا الاجتمـاع التداول والاتفاق على كيـفيّة انخراط الضبـاط النصيريّين في صفوف حزب البعث، لاستـغلالِه وجَعْلِه سلّمًا للوصول إلى الحكم. وفي نهاية الاجتماع اتُّخذتِ القرارات التالية:

١. منح محمـد عمران رتبة «البـابيّة»، وتكليفه بالتـخطيط للمنظمّات العسكريّة، وكيفيّة توزيعها على المنظّمات الوطنيّة لاستغلالها والتستّر بها.

٢. ألموافقـة على بقاء عـمران في صفـوف الوحدويّين[٤١] من ناحية الظاهر.

٣. ألتغرير بالضباط الدروز والإسماعيليّة للتعاون معهم.

٤. منح عزّت جديد رتبة «نقيب» في المذهب.

٥. ألموافقة على إحلال إبراهيم ماخوص محلّ والده في رتبته الدينيّة.

٦. تكليف المـشـايخ لدعـوة أبناء الطـائفـة للتـضـامـن والتـعـاون وتشـجيعهم للانـخراط في الجيش».

---

(٤٠) رفعنـا هذه المقرّرات سنة ١٩٧٥ للمـراجع المختصـة بـكتاب سـرّي، وقع بين أيدي بعض الجرائد والمجلاّت اللّبنانيّة فنشرته.

(٤١) ألوحدويّون هم الذين وافقوا على وحدة مصر وسوريا ١٩٥٨–١٩٦١.

إجتماع حمص

«عُقِدَ بعد ١٨ تموز سنة ١٩٦٣ لدراسةِ النتائج المتأتيّة عن الدور الذي لعبه محمّد نبهان في حوادث ١٨ تموز وأدّى إلى تسريحِ أكثرمن ٤٠٠ ضابط من أنصارِ عبد الناصر. وضمّ الاجتماع عددًا أكبر من المشايخ بالإضافة إلى كلٍّ من الضباط الآتية أسماؤهم: عزّت جديد، محمد عمران، حَافِظ أسَد، إبراهيم ماخوص. وفي نهاية الاجتماع اتُّخذتِ القرارات التالية:

١. ترفيع محمّد نبهان إلى رتبة «نجيب» تقديراً لدوره الفعّال في ١٨ تموز.

٢. منح محمّد عمران الوشاح البابي الأقدس، وتكليفه بمتابعة نشاطه في حقل الناصريّين.

٣. إعادة النظر بالتخطيط الموضوع بشأن انضمامِ المزيدِ من أبناءِ الطائفةِ المثقّفين إلى حزبِ البعثِ، والدخول باسمِ الحزبِ في الكلّيّاتِ العسكريّة ومؤسّساتِ الجيش.

٤. ألتخطيطُ البعيدُ لتأسيس الدولةِ النصيريّةِ، وجعلُ عاصمتها حمص.

٥. تكليف صلاح جديد قيادة وتوجيه العناصر النصيريّة في الجيش، ومنحه أرفع رتبة عسكرية «مقدم».

٦. مواصلة نزوح النصيريّة من كافّة قرى الريف إلى المدن وخاصة حمص واللاذقيّة وطرطوس.

٧. منح حَافِظ أسَد رتبة «نجيب»، وهي تلي رتبة جديد.

٨.منح عزّت جديد وعلي حمّاد رتبة «المختصّ».

٩. ألسعي لاستئصالِ العناصر الدرزيّة والإسماعيليّة الموجودين في صفوف الجيش، والعمل على إحلال العناصر النصيريّة محلّهم.

١٠. تسليم القيادة المدنيّة السياسيّة إلى إبراهيم ماخوص، وإعدادُه ليكون رئيساً لوزراء الدولة النصيريّة المنشودة».

في هذه الأثناء بعثتْ مجلّةُ الصيّاد اللّبنانيّة مندوبَها إلى المناطقِ العلويّة، لتطلع قرّاءَها على ما يحصل في سوريا. وكتبَ المندوبُ تقريرًا، وضعتْه المجلّة بارزًا، في الصفحة الأولى، بعنوان: «ألعلويّون يحكمون سورية اليوم بوجههم الحقيقي بعد أن تستّروا طويلاً وراءَ حزبِ البعث». ممّا جاء فيه: «قال صلاحُ جديد لأمينِ الحافظ في اجتماعِ مجلس الثورة: «ان الكتلَ الاقليمية، وبالذاتِ كتلةَ العلويين هي المضمونُ ولاؤُها للحكمِ القائم في سورية، فوجودُها أساسي لحمايتكم.» وكان الكلام موجّهاً بالطبع لسائرِ أعضاء حزبِ البعث وحكومةِ الحافظ.- وقَبِلَ البعث بالحقيقة المرّة ليحكم... وتطوّرتِ الايام.. وحدث ما حدث... وظهر العلويون فجأةً في المقدمة.. إنّهم يحكمون سوريةَ اليوم...»[٤٢].

إجتماع جَبِّ الجَرّاح

«بتاريخ ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٦٨، تقرّر فيه القضاء على الطائفة الإسلاميّة قضاءً مبرماً، وتوجيه الضربة القاضية للدروز والمسيحيّة، ثمّ إلغاء التعليم الديني الإسلامي والمسيحي، ومصادرة المدارس الخاصّة لكلا الطائفتَين حتّى يسهل الانحلال الخلقي».

إجتماعات صَبّورة ودمشق والقرداحة

بتاريخ ١٤ نيسان سنة ١٩٦٨، عُقد اجتماعٌ في صبّورة، وآخر في دمشق بتاريخ ٣ أيّار من السنة نفسها، وآخر في بيت النجيب حافظ أسد، ضمّ كلّاً من المقدّم صلاحِ جديد وإبراهيم ماخوص وشفيق عبدو والشيخ عليّ ضحيّة والشيخ أحمد سلمان الأحمد والشيخ سليمان العلي وأسعد تقلا وعليّ نعيسة ومحمد الفاضل وزكي الأرسوزي وأنيس خير بك وعزّت جديد وسهيل حسن وغيرهم...

---

(٤٢) مجلّة الصياد، عدد ١١٢٣ في ٢٤/٣/١٩٦٦، ص ١٨-٢١.

«المؤامرة الجهنّميّة»

نفّذ النصيريون ما جاء في هذه المقرّرات تنفيذا دقيقاً. وإليك ضوءًا ساطعاً يُزيل شكوكاً عديدة حول حربِ الجولان بين سوريا العلويّين وإسرائيل، في ٦ حزيران سنة ١٩٦٧، عشيّة حرب الستّة أيّام بين إسرائيل والدول العربيّة.

جاء في مجلّة «الحوادث» البيروتيّة الأسبوعيّة ما يلي[٤٣]:

«... وذاتَ يوم، قالها الدكتور سامي الجندي أمامَ عددٍ كبيرٍ من الناس، ملءَ فمه، في دارِ السفارة (السوريّة) بباريس، حرفيًا: «لن يجرؤوا (الحكّام السوريّون) على لمْسِ ظفرٍ صغيرمن أظافر خالد (أخيه المحبوس بتهمة قتل سيّدة). وإذا فعلوا، فلكلٍّ حادثٍ حديث...» وَصَمتَ الدكتور الجندي قليلاً، ثمّ فجّر القنبلة:

«في أيّار ١٩٦٧، قبل حرب حزيران بأقلّ من أسبوعين، تلقّيتُ أشارةً رسميةً من وزارةِ الخارجيةِ في دمشق تطلبُ منّي مقابلةَ أبا إيْبان وزيرِ الخارجيّةِ الإسرائيليّة الذي كان يزورُ باريسَ آنذاك. إنّني أحتفظُ بتلك الإشارةِ الرسميّة، وبما هو أخطر منها: إنّني أحتفظُ بسجلٍّ كاملٍ للمقابلة ذاتها، ولِمَا قيل فيها.

وسأله أحدُ الحاضرين مذهولاً: هل تعني أنّك قابلتَ أبا إيبان في باريس في أيّار الماضي وعشيّةَ الحرب؟

وقال سامي الجندي بهدوء: نفّذتُ أمرًا من دولتي، واجتمعتُ إليه ساعةً ونصف، ولديَّ تسجيلٌ كاملٌ عن المقابلة... قال لي إيبان: إنّ القوّاتِ الإسرائيليّة لن تصلَ إلى أبعد من القنيطرة حتى ولو كانتِ الطريقُ إلى دمشق مفتوحة».

وأكّد محمّد أنورُ السادات، فيما بعد، في ١ أيار سنة ١٩٧٩، ما جاء

---

(٤٣) مجلّة الحوادث البيروتيّة، عدد ٦٠٨ في ١٩٦٨/٧/٥.

في هذه المعلومات، إذ قال: «إنّ الألغام قد أزيلتْ يومَها من هضبة الجولا والقنيطرة قبل دخولِ الإسرائيليّين، وإنّ السلطةَ قد بادرتْ إلى إعدامِ الضابطِ الذي أعلنَ عن سقوطِ الجولان قبل سقوطِه».

وأكّدت مجلّة «الحوادث» معلوماتِها هذه من حكومةِ دمشق نفسها، فقالت:

«لقد تبرّعتْ حكومةُ دمشق مشكورةً، فأكّدتْ خلالَ الأسبوعِ الماضي المعلوماتِ التي كانت «الحوادثُ» قد نشرتْها في العددِ قبلَ الماضي عن قصّةِ سامي الجندي، والتي يمكن تلخيصُها بأنّ سفيرَ سوريا السابق في باريس كان قد ذكر في مجتمعٍ خاصّ، بأنّ حكومتَه كلّفتْه خلالَ الأسبوع الذي سبق عدوان ٥ حزيران بمقابلة وزير الخارجية الإسرائيليّة أبا إيبان في باريس، وأنّه قابله فعلاً لمدّة ساعة ونصف»[٤٤].

وجاء أيضاً في الحوادث[٤٥] تحت عنوان: «المؤامرة الجهنّميّة، وضعَ خطوطَها أبا إيبان، وينفّذُها صلاحُ جديد في سوريا»:

«نحنُ مضطرّون اليوم، للعودةِ إلى معلوماتٍ خطيرةٍ كانتِ «الحوادثُ» قد نشرتْها في العدد ٥١٨ بتاريخ ١٤ ت ١ عام ١٩٦٦، أي قبلَ حرب حزيران بحوالى تسعة أشهر، نقلاً عن مصادرِ عليمة في باريس:

«جاء في هذه المعلومات يومها: «أنّ الحكمَ الحالي في دمشق قد سحبَ الأسلحة من غيرِ العلويّين في الجيشِ السوري، لا على مستوى الضبّاط فقط، بل على مستوى الجنود أيضاً. وأنّ ذلك جرى في معظمِ الكتائب التي يتألّفُ منها الجيشُ السوري.

«وقالتِ المعلومات: إنّ هذا الوضع في الجيش السوري هو مقدّمة لتشجيعِ العلويّين المسيطرين على الحكمِ للانسحاب بقوّاتهم، بعد فترة قليلة

---

(٤٤) مجلّة الحوادث، عدد ٦١٠، في ١٩/٧/١٩٦٨.

(٤٥) مجلّة الحوادث، عدد ٦١٤، في ١٦/٨/١٩٦٨.

من بدءِ الهجوم الأردني على سـوريا... وتقضي الخطّةُ بانكفاء العلويّين إلى الأراضي التي تشكّل قاعـدةَ دولةِ العلويّين القديمة، التي حاولَ الفـرنسيّون إقامتَها أيّامَ الانتداب، وهي تمتدّ من شمالِ لبنان إلى اللاّذقيّة».

... وفي سوريا (المستـفيدون) هم «العاملون على تحقـيق حلمِ إقامةِ الدولة العلوية، المـتنكرون في ثيـابِ حزبِ البـعثِ والثـوريّةِ الإشـتـراكيـة والمتغرغرون صباحَ مساءَ بشعارات حربِ التحرير الشعبية».

وتبـقى الحربُ اللبنانـيّةُ الفلسطينيّـةُ الإسـرائيليّةُ والدورُ السـوري العلويّ فيها. ألذينَ عاشوا هذه الحربَ يعرفون جيّداً مَن هم أبطالُها ومَن هم الضحيّة. وفي كلِّ حال ينفّـذُ العلويّون ما ينفّذونه بكلِّ دهاء، دونَ خوفٍ من إسرائيل وقوّتِها العسكريّة، أو من أميركـا ومدمّراتها الحربيّة، أو من العرب وسلاحِ نفطهم...

لقد غدروا بالـفلسطينيّين ودمّروهم، وهم يُعلنون حمايَـتهم. ودمّروا لبنانَ وشـرّدوا أهله، وهم يُظهـرون لهم كلَّ مـودّة. وقضَـوا على القـضيّـةِ العربية، بما لم يقدر عليه عدوٌّ العرب نفـسُه. وقسّموا لبنانَ طوائفَ وكيانات عنصريّةً، وهم يَصيحون ليلَ نهار بوحـدتِه وسيادته واستقلاله. وعملوا في دكِّ الإسلامِ والمدن الإســلاميّة، وهم لم يعـملوا للإسلامِ، منذ نشـأتهم حتّى اليوم، شيئاً.

هؤلاء العلويّون يحكمـونَ سوريا باسم البـعثِ والعروبـةِ والإسلام؛ ولكنّهم، في الـحقيقـةِ، يعملون كعلويّين نصـيريّين، تسـيّرهم عقـيدتُهم في التقيّة والباطنيّة. هم يخدمونَ إسرائيل كما إسرائيلُ تخدم نفسَها. لقد ارتدّوا عن الجولانِ مبروكًا لإسرائيل، وفتّتوا لبنان لمصلحة إسرائيل، ودمّروا كيانَه الطائفيّ من أجل إسـرائيل، وقـضَـوا على المسلمينَ والفـسلطينيّـين «حبّـا» بإسرائيل.

هم خـيـرُ مَن نفّـذَ حـروباً تدوم في المحـيطِ الإســلامي كلّه وتدوم. وستكونُ مكافأتَهم دولةٌ لن تُقهَر، بعد أن كانَ «القهرُ» عنوانَ تاريخِهم.

ملحق

كتاب المجموع



السورة الأولى

واسمها : الأوّل

قد أفلحَ مَن أصبح بولايةِ الأجلح. أستفتحُ بأنّي عبدُه. استفتحتُ بأوّل إجابتي بحبٍّ قدسٍ معنويّةِ أميرِ النحل علي بن أبي طالب، المكنّى بحيدرة أبي تراب. فيه استفتحتُ. وفيه استنجحتُ. وبذكره أفوز. وفيه أنجو. وإليه ألجأ. وفيه تباركتُ. وفيــه استعنتُ. وفيه بدأتُ. وفيه ختــمتُ بصحّة الدِّين وإثبات اليقين.

قال السيّد أبو شُعيب، محمّــد بن نُصير، ليحيَى بن معين السامري: يا يحيَى! إذا نزلتْ بك نزلةٌ بالحياة، ودهتْ بك دهيةٌ بالمـمات، فادعُ دعوةً عاليةً خالصةً مخلـصة تقيّة نقيّة بيضــاءَ علويّة، طاهرة زكيّة مشعـشعة نورانيّة، تُخلّصك من هذه القـمصان البـشريّة اللّحـميّة الدمـويّة، وتُلحقك بالهـياكل النورانيّة.

فقلْ: فيكَ تباركتُ يا دليلاً بدلّته. يا ظاهراً بقدرته. يا باطناً بحكمته. يا مُجيباً ذاتَه بذاته. يا مُخاطِبــاً اسمَه بصفاته. يا هُوَ. يا كلّ. يا قديم. يا أزل لم تزل. يا مـعلّل العلـل. يا مُفـني حـركات الـدول. يا غايــةَ الغـايات. يا منهي النهايات. يا عالماً بأسرار الخفيّات. يا حاضرَ يا موجود. يا ظاهر يا مقصود. يا باطناً بغـير غـمود (ض). يا مَن أنوارُكَ منكَ تشـرق، وفيك تغـرب، ومنك بدتْ، وإليكَ تعود. يا مَن جعلَ لكلِّ نورٍ ظهوراً، ولكلِّ ظهورٍ إسماً، ولكلِّ اسمٍ مكاناً، ولكلّ مكان مقاماً، ولكلّ مقــام باباً يرشد الباب منه إليه، ويدخل الباب منه إليه.

وأنتَ يا أميرَ النحل، يا علي بن أبي طالب، الدليل عليه، والكلُّ أنتَ هو. يا هو. يا هو. يا مَن لا يعلم ما هو إلاّ هو.

وأسألك بمسائل السين، سلكون سلكاً سلك سالك سلك بما سألك به السائلون، وبمرشدِ المرشدين، وبعليٍّ زين الدين والعابدين، أنْ تؤلّف ما بين قلوبنا وقلوب إخواننا المؤمنين، على البِرّ والتقوى والتقويم والعلم والدين.

نذكر حضرتَك الطاهرة، وقدرتك الباهرة، ورحمتك الشاملة، والفرض اللأزم والحقّ الواجب. هي أسرار وتذكار، وجلال وافتخار، وعزّ وانتصار، وطلعتك الزاهرة، وقبابك الفاخرة، وقبّة العُلَى، وتاج الهدى، والدِّين القيّم، والصراط المستقيم.

ومَن عرف باطنَه وظاهرَه فاز ونجا. والذي قد عرّفنا به سيّدُنا سلسَلُ سَلمان يُتلى. وقد دلّنا إليه وأرشَدَنا إليه شيخُنا وسيّدُنا وتاجُ رؤوسنا وقدوة ديننا، وقرّة أعيننا، السيّد أبو عبد اللّه الحُسَين بن حَمدان الخُصَيبي، قدّسَ العليُّ روحَه، لأنّ مقامه مقام الصفا، ومحلّه محلّ الصدق والوفا. بسم اللّه وباللّه وسرّ السيّد أبي عبد اللّه العارف معرفة اللّه، سرّ تذكاره الصالح سرّه. أسعده اللّه. انتهتْ.

السورة الثانية

واسمها : تقديسة ابن الوليّ

أحسن ما يَرى النائم في منامه وهو يسمع الحسَّ ولم يرَ الشخص وهو ينادي ويقول: لبّيكَ لبّيكَ يا أميرَ النحل يا علي بن أبي طالب، يا رغبة كلِّ راغب. يا قديم باللأهوت، يا معدنَ الملكوت. أنتَ إلهُنا باطناً، وإمامُنا ظاهراً. يا مَن ظهرتَ فيما أبطنتَ، وأبطنتَ فيما ظهرتَ. وظهرتَ بالاستتار، واستترتَ بالظهور. وظهرتَ بالذاتيّة، وتعاليتَ بالعَلَويّة، واحتجبتَ بالمحمّديّة، ودعوتَ من نفسك إلى نفسك بنفسك.

أنتَ يا أمير النحل، يا علي. أشرقَ نورُك، وأبزغَ سفورُك، وسطع

ضياؤك، وتعظَمتْ آلاؤك، وجلّ ثناؤك، بأنْ تُأمِّنَني من شرّ مسوخيّاتك لنا ولجميع إخواننا المؤمنين من شرّ الفسْخ، والنَّسْخ، والمَسْخ، والوَسْخ، والرَّسْخ، والقشّ، والقَشّاش. إنّك على ذلك قدير.

سرّ الوليّ ابن الوليّ أبي الحُسين محمّد بن علي الجلّي. علينا من ذكره السلام. سرّه أسعده الله. انتهتْ.

السورة الثالثة

واسمها : تقديسة أبي سَعيد

أسألك يا مالكَ الملك، يا أميرَ النحل، يا علي يا وهّاب، يا أزلي يا توّاب، يا داحي الباب.

أسألك بالخمسة المصطفيّة، والستّة التجلّيّة، وبالسبعة الكواكب الدرّيّة، وبالثمانية حمّالة العرش القويّة، وبالتسعة المحمّديّة، وبالعشرة الدجاجات الذكيّة، وبالأحد عشر مطالع البابيّة، وبالإثنَي عشر سطر الإماميّة.

بحقّهم عندك يا غايةَ الكلّيّة، يا أمير النحل، يا صاحب الدولة العليّة، يا مَن أنتَ الأحد، واسمك الواحد، وبابك الوحدانيّة. يا مَن ظهرتَ في السبع القباب الذاتيّة، بأنْ تجعلَ قلوبَنا وجوارحَنا ثابتةً على معرفتك الزكيّة، وخلّصْنا من هذه الهياكل الناسوتيّة، ولبِّسْنا القمصان النورانيّة، بين الكواكب السماويّة.

نذكر حضرةَ شيخِنا وسيّدنا الأجلّ الأكبر، الشابّ التقيّ، أبي سعيد الميمون بن قاسم الطبراني، العارف معرفة الله، المكتف عمّا حرم، الذي أخذ حقّه بيده من قفا أبي دهية وعلي أبي دهية. لعنة الله. وعلى أبي سعيد

السلام، ورحمة الله. سرّ أبي سعيد الشابّ التقيّ، الحرّ الميمون بن قاسم الطبراني. سرّه أسعده الله.

السورة الرابعة

واسمها : النسبة

أحسن توفيقي بالله، وطريقي لله، وأحسن سمعي واستماعي من شيخي وسيّدي ومرشدي، المنعم الله عليّ، كما أنعم عليه بمعرفة **ع م س**، وهي بشهادة أنْ لا إله إلاّ علي بن أبي طالب، الأصلع الأنزَع المعبود؛ ولا حجاب إلاّ السيّد محمّد المحمود؛ ولا باب إلاّ السيّد سَلمان الفارسي المقصود.

وهذا ما سمعتُه من شيخي وسيّدي وغايتي ومعتمدي ومهديني إلى طريق النجاة، ومورِدني إلى ينبوع الحياة، ومعتق رقبتي من رقّ العبوديّة، بمعرفة كنه الذات العالية، السيّد الفاضل، والطود العظيم، عمّي وشيخي وسيّدي وتاج رأسي، ووالدي الحقيقي، أحمد. وقد ألقى إليَّ هذا السرَّ العظيم في سنة كذا وكذا، من شهر كذا، ويوم كذا منه.

وسمع أحمد من إبرهيم، وسمع إبرهيم من قاسم، وسمع قاسم من علي، وسمع علي من أحمد، وسمع أحمد من خضر، وسمع خضر من سلمان، وسمع سلمان من صبح، وسمع صبح من يوسف، وسمع يوسف من جبرائيل، وسمع جبرائيل من معلّى، وسمع معلّى من ياسين، وسمع ياسين من عيسى، وسمع عيسى من محمّد، وسمع محمّد من هدا محمّد، وسمع هدا محمّد من رضى أحمد، وسمع رضى أحمد من صفندي، وسمع صفندي من بلاذري أسد، وسمع بلاذري أسد من حسّان الرشيقي، وسمع حسّان الرشيقي من محمّد، وسمع محمّد من مرهف مصر، وسمع مرهف مصر من عقد جبرائيل، وسمع عقد جبرائيل من عبد الله الجوغلي، وسمع

عبد اللّه الجوغلي من إسمعيل اللّفّاف، وسمع إسمعيل اللّفّاف من جعفر الورّاق، وسمع جعفر الورّاق من أحمد الطرّان، وسمع أحمد الطرّاز من أبي الحسين محمّد بن علي الجلّي،

وسمع أبو الحسين محمّد بن علي الجلّي من السيّد أبي عبد اللّه الحسين بن حمدان الخُصَيبي، وسمع السيّد أبو عبد اللّه الحسين الخُصَيبي من شيخه وسيّده أبي محمّد عبد اللّه بن محمّد الجنان الجنبلان، وسمع أبو محمّد عبد اللّه بن محمّد الجنان الجنبلان من محمّد بن جندب، وسمع محمّد بن جندب من السيّد أبي شعيب محمّد بن نُصَير العبدي البكري النُمَيري، الذي هو باب الحسَن الآخر العسكري، منه السلام، وإليه التسليم.

ومن محمّد بن نُصَير أقام النسَبَ والدِّين. وتعالى مولانا الحسن العسكري عمّا يقول الضالّون، ونطق الظالمون علوّاكبيراً.

سرّ الدِّين، وسرّ إخوتنا الجلّيّين أينَ ما كان منهم مكين. بسرّهم أسعدهم اللّه أجمعين. وأشهد بأنّ الحَسَن الآخر العسكري هو الأوّل وهو الآخر، وهو الباطن والظاهر، وهو على كلّ شيء قدير.

السورة الخامسة

واسمها : الفتح

"إذا جَاءَ نَصْرُ اللّهِ والفَتْحُ، وَرَأيتَ النّاسَ يَدخُلونَ فـي دِينِ اللّه أفْوَاجاً، فسبِّحْ بحَمْدِ ربِّكَ وَاسْتَغْفِرْه. إنَّه كَانَ تَوَّاباً "(١).

أشهدُ بأنّ مولاي أميرَ النحل، علي، اخترعَ السيِّدَ محمّد من نور ذاته، وسمّاه اسمَه ونفسَه وعرشَه وكرسيَّه وصفاته. متّصل به ولا منفصل عنه.

---

(١) سورة النصر، ١١٠/١-٣.

ولا متّصل به بحقيقة الاتّصال، ولا منفصل عنه في مباعدة الانفصال. متّصل به بالنور، منفصل عنه بمشاهدة الظهور.

فهو منه كحسِّ النفس من النفس، أو كشعاع الشمس من القرص، أو كدويّ الماء من الماء، أو كالفتق من الرتق، أو كلمع البرق من البرق، أو كالنظرة من الناظر، أو كالحركة من الكون. فإنْ شاء علي بن أبي طالب بالظهور أظهره، وإنْ شاء بالمغيب غيّبه تحت تلألؤِ نورِه.

وأشهدُ بأنّ السيّد محمّد خلق السيِّدَ سَلمان من نور نوره، وجعله بابَه، وحامِلَ كتابه. فهو سَلسل وسلسبيل. وهو جابر وجبرائيل. وهو الهدى واليقين. وهو بالحقيقة ربّ العالمين.

وأشهدُ بأنّ السيِّدَ سَلمان خَلَقَ الخمسةَ الأيتام الكرام. فأوّلهم اليتيم الأكبر، والكوكب الأزهر، والمسك الأدفر، والياقوت الأحمر، والزمرّد الأخضر: ألمقداد بن أسود الكندي، وأبو الذرّ الغفاري، وعبد الله بن رَواحة الأنصاري، وعثمان بن مظعون النجاشي، وقنبر بن كادان الدوسي.

هم عبيد مولانا أمير المؤمنين، لذكره الجلال والتعظيم. وهم خَلقوا هذا العالَم من مشرق الشمس إلى مغربها، وقِبلتها وشمالها، وبَرِّها وبحرها، وسهلها وجبلها، ما حاطت الخضراء، وحوت الغبراء، من جابلقا إلى جابرصا، إلى مراصد الأحقاف إلى جبل قاف، إلى ما حاطتْ به قبّة الفلك الدوّار، إلى مدينة السيّد محمّد السامرة التي اجتمع فيها المؤمنون، واتّفقوا على رأي السيّد أبي عبد الله، ولا يشكّون ولا يشركون، ولا في سرٍّ علي بن أبي طالب يبيحون، ولا يخرقون له حجاباً، ولا يدخلون إليه إلاّ من باب.

إجعلِ المؤمنين مؤمنين، ومطمئنّين، ومؤيَّدين، مجبورين على أعدائهم وأعدائنا منصورِين. واجعلنا بجملتهم مؤمنين مؤمَّنين ومطمئنّين مستورين مجبورين على أعدائنا وأعدائهم منصورين.

بسرّ الفتح، ومَن فتَحَ الفتح، ومَن كان الفتح على يده اليمين. بسرّ

سيِّدنا محمّد وفاطر والحسن والحسين ومحسن سرّ الخفيّ، وأشخاص الصلوة، وعدّة العارفين علينا. مِن ذكرِهم السلام. صلوة اللّه عليهم أجمعين.

السورة السادسة

واسمها : السجود

أللّهُ أكبر. أللّهُ أكبر. أللّهُ أكبر. للّه السجود. للربّ العليّ الأنزع المَعبود. يا سيّدي يا محمّد. يا فاطر يا قاهر. يا نور المعنى العظيم. وحجابه الكريم. بك استعنتُ. أَعِنّي بهذا الدار. وبك استجرتُ. أجرني من عذاب النار. يا عزيز. يا جبّار. يا قادر. يا قاهر. يا خالق الليل والنهار. أللّهُ نور السموات والأرض. وهو العليّ الكبير. إليه نقصد ونشير، عزّ وجلّ.

للبابِ قصدتُ. وللإسم سجدتُ. وللمَعنى عبدتُ وسجدتُ وسجد وجهي الفاني البالي لوجه علي الحيّ الدائم الباقي.

يا علي يا كبير. يا علي يا كبير. يا أكبر من كلِّ كبير. يا مخترعَ شمس الضحى وخالق البدر المنير. يا علي لك العزّة. يا علي لك الوَحدة. يا علي لك الملك. يا علي لك الكبرياء. يا علي لك الإشارة. يا علي لك الطاعة. يا علي لك الشفاعة. يا علي لك الفطرة. يا علي لك القدرة. يا علي أنت سورة البقرة.

أمانك يا علي أمانك من سخطك وعذابك من بعد رضوانك. آمنتُ بعجزك ومعجزك. وجُللتَ يا أميرَ النحل عن العجز أن يقع بك. آمنتُ وصدَّقتُ بباطنك وظاهرك. وظاهرُك أمامي ووصيّة، وباطنُك معنوي لاهوت. يا هُوَ يا هُوَ. معزّ مَن أعزّك وذكرَك وأفردك. يا هُوَ يا هُوَ. يا مزلٌ من أزّلك، وأنكرك وجحدك. يا حاضر يا موجود، يا غَيباً لا يُدرَك. يا أمير النحل يا علي يا عظيم.

ألسورة السابعة

واسمها : السلام

سجدتُ وسلّمتُ و" وَجَّهْتُ وَجْهِي لِفَاطِرِ السمَوَاتِ والأرْضِ، حَنِيفاً مُسْلِماً. ومَا أنَا مِنَ المُشْرِكِين "[٢].

بدء السلام من المعنَى القديم، على الاسم العظيم. وسلّم الاسم العظيم على الباب الكريم. وسلّم الباب الكريم على الخمسة الأيتام، أركان الدنيا والدين.

ألسلام على الأبواب. ألسلام على الأيتام. ألسلام على النقبا. ألسلام على النجبا، ألسلام على المختصّين، ألسلام على الممتحَنين، ألسلام على المقرّبين، ألسلام على الكروبين، ألسلام على الروحانيّين، ألسلام على المقدّسين، ألسلام على السائحين، ألسلام على المستمعين، ألسلام على اللأحقين. فهم أهل المراتب يتقدّس عالم الصفا أجمعين.

ألسلام على من اتّبع الهدى، واهتدى، وخشي من عواقب الردى، وأطاع الملك العليّ الأعلى، وأقرّ بربوبيّة محمّد المصطفى.

ألسلام على المائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ. أوّلهم باب، وآخرهم لاحق.

ألسلام عليكم يا عباد اللّه الصالحين. جَمَعَ اللّه الصالحين. جَمَعَ اللّه شملنا وشَمْلَكم في جنّة النّعيم، بين الكواكب السمائيّين.

---

(٢) سورة الأنعام، ٦/ ٧٩.

السورة الثامنة

واسمها : الإشارة

سبحانَ إلهٍ خضعتْ له الرقاب. وذُلّت له الأمور الشداد الصعاب. فقد ارتفع القصدُ والإشارة من السيّد المصطفى في يومِ عيد الغدير خمّ، الذي شرُفه وفضلُه عند اللّه مقامٌ عظيم : أنا عبدٌ من المشيرين إليكَ، يا أميرَ النحل، يا علي، يا عظيم، يا أزلي، يا قديم، يا بارئ، يا حكيم.

أسألك بحقِّ الدعوة التي دعا بها السيّد محمّد، وهو خارجٌ من بأب مكّة، راكبٌ المطيّة البيضاء، وهو ينادي ويقول: ألجهاد الجهاد. ألحراب الحراب في سبيل اللّه.

وهذه إشارتي إليكَ يا نور النور، يا فالق الصخور، وزاجر البحور، ومدبِّر الأمور، بأنْ تسكّن المؤمنين في جنّتك العليا، التي رضوانُ خازنُها، ويا فوز عبد رجاها. فإذا بالنِدى مِن قَبْلُ، من العلا، من جانب الطور الأيمن، ومن الشجرة المباركة، ينادي ويقول: يا حبيبي يا محمّد!

أيّ عبد دعاني بهذه الدعوة بصفوٍّ قلبه، وخالصِ يقينِه، نهار الخميس، النصف من نيسان، أو عشيّة الجمعة، أو ليلة النصف من شعبان، أو في خمس ليالٍ من شهر رمضان، أو يوم القدّاس، أو ليلة الميلاد، أو يوم عيد الغدير، إلاّ وجعلتُه من أُمّتي، وسكّنتُه جَنّتي، وأسقيه بكأسِ رحمتي، وأجعلُه من المؤمنين، الذين "لا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُون "[٣].

رفعتُ إشارتي بسرِّ العين العَلَويّة، بسرّ الميم المحمّديّة، بسرّ السين السلسليّة، بسرِّ **ع م س**. أوّل دعائنا نشير لمعنانا، ونقول: بسم اللّه الرحمن الرحيم. وآخر دعائنا نشكر مَن هدانا ونقول: ألحقّ والحمد للّه ربِّ العالَمين.

---

(٣) تعبير يرد في القرآن في: ٢/ ٣٨ و٦٢ و١١٢ و٢٦٢ و٢٧٤ و٢٧٧؛ ٣/ ١٧٠؛ ٥/ ٦٩؛ ٦/ ٤٨؛ ٧/ ٣٥ و٤٩؛ ١٠/ ٦٢؛ ٤٣/ ٦٨.

السورة التاسعة

واسمها : العَين العَلَويّة

بســرّ العَين العَلَويّة، الذاتيّة، الظاهرة الأنــزعيّة. بســرّ الميم المحمّـديّة، الهاشميّــة، الملكوتيّة، الحجابيّة، القرْصيّة، النـورانيّة. بسرّ السين السلسليّة، الجبرائيليّة، السَلمانيّة، البابيّة، البكريّة، النُميريّة، النُصَيريّة. بسرّ ع م س.

السورة العاشرة

واسمها : العقد

أشــهـد أنّ اللّهَ حقٌ، وقــولَه حقٌ. وأنّ الحقَّ المبين عـلي بن أبي طالب، الأنزع البَطِين، والنار مـثوًى للكافـرين، والجَنّة روضـة للمـؤمنين، والماء من تحت العرش يطـوف، وفوق العرشِ ربّ العـالمين، وحمّالة العـرش الثمـانية الكرام، الذين هم إليه مـقرَّبون. عدّتي في شــدّتي، وعدّة كافّــة المؤمنين. سرّ عقد ع م س.

السورة الحادية عشرة

واسمها : الشهادة[٤]

" شَهِد اللّهُ أنّه لا إلهَ إلاّ هو، والملائكةُ وأُولُو العِلْمِ قائماً بالقِسطِ. لا إلَهَ

---

(٤) والعامّة تسمّيها : «الجبل».

إلاّ هُوَ العَـزِيزُ الحَكِيمُ. إنّ الدِّينَ عنْدَ اللّهِ الإسْـلام "[٥]. " ربَّنَا آمَنَّا بمَا أنزَلتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فاكْتُبْنا مَعَ الشَاهِدِينَ "[٦]، بشهادة **ع م س**.

إشهَدْ عليٌّ أيُّها الحجابُ العظيم. إشهَدْ عليٌّ أيّها البـابُ الكريم. إشهَدْ عليٌّ يا سيّدي المقداد اليمين. إشهَدْ عليٌّ يا سيّدي أبو الذرِّ الشمال. إشهَدْ عليٌّ يا عبدَ اللّه. إشهَـدْ عليٌّ يا عثمان. إشهَدْ عليٌّ يا قَنبـر بن كادان. إشهَدْ عليٌّ يا نقيب. إشـهَدْ عليٌّ يا نجـيب. إشهَـدْ عليٌّ يا مخـتصّ. إشهَدْ عليٌّ يـا مخلص. إشهَدْ عليٌّ يا ممتحن، ويا مقـرّب، ويا كروبي، ويا روحاني، ويا مقدّس، ويا سائح، ويا مستمع، ويا لاحق.

إشهَدُوا عليٌّ يا أهلَ المراتبِ ويا عالَم الصفا أجمعين.

إنّي أشـهد بأنْ ليسَ إلهـاً إلاّ علي بن أبي طالب، الأصلع المعـبود. ولا حجاب إلاّ السيّد محمّد المحمود. ولا باب إلاّ السيّد سلمان الفارسي المقصود. وأكبر الملائكة الخـمسة الأيتام. ولا رأيَ إلاّ رأي شيخِنا وسـيّدِنا الحسـين بن حمدان الخُصَيبي الذي شرع الأديان، في سائر البلدان.

أشهَدُ بأنّ الصورةَ المرئيّة، التي ظهرتْ في البشريّة، هي الغاية الكلّيّة. وهي الظاهرة بالنورانيّة. وليس إلهٌ سواها. وهي علي بن أبي طالب. وإنّه لم يُحَط. ولم يُحْصر. ولم يُدرَك. ولم يُبصَر.

أشهدُ بأنّي نُصَيريّ الدِّين، جندبي الرأي، جنبلانيّ الطريقة، خُصَيبي المذهب، جلّي المقال، ميمونيّ الفقه.

وأُقرّ في الرجعة البيـضاء، والكرّة الزهراء، وفي كشف الغطاء، وجلا العماء، وإظهـار ما كُتِم، وإعلان ما خَـفي، وظهور علي بن أبي طالب من عين الشمس، قـابض على كلّ نفس. الأسدُ من تحـته، وذو الفقـار بيده، والملائكةُ خلفه، والسـيّد سلمان بين يديه، والماء ينـبع من بين قدمَيه، والـسيّد محـمّد

(٥) سورة آل عمران، ٣/ ١٨-١٩.

(٦) سورة آل عمران، ٣/ ٥٣.

ينادي ويقول: هذا مولاكم علي بن أبي طالب فاعرفـوه. وسبّحوه. وعظّموه. وكبّروه. هذا خالقكم ورازقكم فلا تُنكروه.

إشـهدوا عليَّ يا أسيادي، إنّ هذا ديني واعتقادي، وعليه اعتمادي، وبه أحيا وعليه أموت. وعلي بن أبي طالب حيٌّ لا يموت. بيده القدرة والجبروت. إنّه السمْع والبـصَر والفؤاد. كلّ أولئك كـان عنه مسؤولاً. عـلينا من ذكرهم السـلام. تمّت.

السورة الثانية عشرة

واسمها : الإماميّة

إشـهَدْنَ عليَّ أيُّها النجوم الزاهرة، والكواكب النائرة، والأفلاك الدائرة، بأنّ هذه الصـورة المرئيّـة المعـايَنَة الناظرة، هـي علي بن أبي طالب، القـديم الأحد، الفـرد الصمَد، الذي لا يتـجزّأ ولا يتبعّـض، ولا ينقسم ولا يدخل في عدد.

فهـو إلهي وإلهكم. وإلهكم إلهي. إمـامي وإمامُكم. وإمامُـكم وإمامي. إمـام الأئمّة، وسـراج الظلمـة. حـيـدرة أبو تراب، الظاهر بالأصلع، البـاطن بالأنزع، الظاهر من عـين الشمس، القـابض على كلِّ نـفس، الذي له، ولعظم جلال هيـبتـه، ولكبرياء سَنَى برْق لاهوتِـه، تخضّعتْ له الأرقـاب، وذُلَّت له الأمورُ الصعاب.

سرٌّ إلهٍ في السماء، وهو إمام في الأرض. سرّ إمام كلِّ إمام. سرّ علي بن أبي طالب، قديم الزمان. سرّ حـجابه السيّد محمّـد، وبابه السيّد سلمان، باب الهدى والإيمان. علينا من ذكرهم الرضى والسلام.

السورة الثالثة عشرة

واسمها : المسافرة

"سَبَّحَ للّهِ مَا في السَّمَوات وَمَا فِي الأَرْضِ. وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ"[٧]. أصبَحنا وسبّحنا. وأصبح المُلكُ للّه. وسبّحَ المَلَكُ للّه. بسم اللّه وباللّه، وسرّ السيّد أبي عبداللّه. سرّ الشيخ وأولاده المختصّين، الشاربين من بحر **ع م س**. فهم واحد وخمسون. منهم سبعة عشر عراقي، وسبعة عشر شامي، وسبعة عشر مخفيّ.

وهم واقفون على باب مدينة حرّان. يأخذون بالحقّ. ويُعطون بالحقّ. ومَن يتديّن بديانتهم، ويعبد عبادَتَهم، وفّقه اللّه إلى معرفته. ومَن لا يتديّن بديانتهم، ولا يعبد عبادَتَهم، فعليه لعنة اللّهِ. بسرِّ الشيخِ وأولادهِ المختصّين. بسرّهم أسعدهم اللّهُ أجمعين.

السورة الرابعة عشرة

واسمها : البيت المعمور

"وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. في رِقٍّ مَنْشُورٍ. وَالبَيتِ المَعْمُورِ. وَالسَّقْفِ المَرْفُوعِ. وَالبَحْرِ المَسْجُورِ"[٨]. بسرِّ طالبٍ وعَقِيلٍ وجَعفرِ الطَّيَّار. هم إخوة علي بن أبي طالب. نور من نور. وجوهر من جوهر. وعلي بن أبي طالب منزّه عن الإخوة والأخوات، والآباء والأمّهات. أحداً أبداً موجود. باطن بغير غمود (ض).

---

(٧) سورة الحديد، ٥٧/ ١؛ الحشر، ٥٩/ ١؛ الصفّ ٦١/ ١.

(٨) سورة الطّور، ٥٢/ ١-٦.

سرّ البيتِ. وسقف البيت. وأرض البيتِ. وأربع أركان البيت.

أمّا البيت فهو السيّد محمّد. وسقف البيت أبو طالب. وأرض البيت فاطمة بنت أسَد. وأربع أركان البيت هم محمّد وفاطر والحَسن والحسين. سرّ الزاوية الغامضة الخفيّة التي هي في نصف البيت هي محسن سرّ الخفيّ. سرّ صاحب البيت العلويّ الشريف الهاشمي. الذي هشم القرون وكسر الأصنام. علينا من ذكره الرضى والسلام.

ألسورة الخامسة عشرة

واسمها : الحجابيّة

سرُّ الحجاب العظيم. سرّ الباب الكريم. سرّ سيّدي المقداد اليمين. سرّ سيّدي أبي الذرّ الشمال. سرّ الملَكَين الكريمَين الطاهرَين، هما الحسن والحسين. سرّ الوليَّين، هما نوفل بن حارثة وأبو برزة. سرّ الصفيّ وعالم الصفى. سرّ كلّ كوكب في السما. سرّ قدس العُلى وسكّانه. علينا من ذكرهم الرضى والسلام. تمّ.

ألسورة السادسة عشرة

واسمها : النقيبيّة

" فَنَقَّبُوا فِي البِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ " [٩]؟ نذكر أسامي السادة النقباء الذين اختارهم السيّد محمّد من السبعين رجلاً، في ليلة العقَبَة، في وادي

---

(٩) سورة ق، ٥٠/٣٦.

مِنَى. أوّلهم أبو الهيثم مالك بن التيهان الأشهلي، والبرّاء بن معرور الأنصاري، والمنذر بن لوذان بن كنّاس الساعدي، ورافع بن مالك العجلاني، والأسد بن الحصين الأشهلي، وعبّاس بن عبادة الأنصاري، وعبادة بن صامت النوفلي، وعبدالله بن عمر بن حزام الأنصاري، وسالم بن عمير الخزرجي، وأُبَيّ بن كعب، ورافع بن ورقة، وبَلال بن رياح الشنوي، سرّ نقيب النقبا، ونجيب النجبا، سيّدنا محمّد بن سنان الزاهري. علينا من ذكرهم الرضى والسلام.



المصادر والمراجع

١. **كتاب المجموع**، تجده في «الباكورة»، (رقم ١٣)، وفي «تاريخ النصيريين ودينهم» لـR. DUSSAUD، (رقم ١٥)، وفي Journal of the American Oriental Society, Vol. 8. (رقم ١٤). يتألّف من ست عشرة سورة. وهو كتاب صلاة النصيريّين المقدّس، وكتاب النظم الدينيّة، ودستور حياتهم. «هو حجر الأساس في الدين. يتضمّن كلّ العقيدة». لا نملك على تأليفه ومؤلّفه أيّة معلومة. بل هناك رواية شائعة تنسبه إلى النبيّ محمّد الذي أوحاه إلى النّصيريّين دون المسلمين، وسلّمه إلى النقباء الإثني عشر والنجباء الأربعة والعشرين، ليلةُ العقبة في وادي منى قرب مكّة (أنظر سورة ١٦).

٢. **كتاب الأسوس** رقم ١٤٤٩ من المكتبة الوطنية في باريس. هو «كتابُ معرفة حكمة سليمان بن داوود عليه السلام. إنّه أساس كلّ شيء في معرفته» (ص٢). علّق عليه أحدُ الخصوم: «هذا الكتاب في عقائد الملّة النّصيريّة عليهم لعنة ربّ البريّة من الكتب المنهوبة من بلادهم».

٣. **كتاب الصِراط**، تأليف المفضّل بن عمر، «رواه الشيخ أبو الحسن محمّد الهدرى، قال: «رويت عن الشيخ الفاضل الثقة أبي الحسن محمّد بن علي الجلّي، يرويه عن سيّدنا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخُصيبي، عن محمد بن منصور البغدادي». مخطوط رقم ١٤٤٩؛ ص ٨٦-١٨٢.

٤. **كتاب الأصيفر** تصنيف الإمام العالم المحقّق المدقّق أبي عبدالله محمّد بن

شعبة الحرّاني. مخطوط رقم ١٤٥٠ من المكتبة الوطنية في باريس، ص ٢-٤٢. يتكلّم على الله وظهوراته...

٥. **رسالة التوحيد**، رواها شيخي وسيّدي أبو محمّد علي بن عيسى الجسري. رقم ١٤٥٠؛ ص٤٢-٤٩.

٦. **مسائل أبي عبدالله بن هارون الصائغ**، عن شيخه أبي عبدالله الحسين بن حمدان الخُصيبي. فيها يسأل ابنُ هارون شيخَه الخُصيبي عن بعض مسائل التوحيد. رقم ١٤٥٠ ص ٤٩ أ-٥٣ ب.

٧. **رسالة لابن هارون الصائغ**، (بدون عنوان)، رقم ١٤٥٠؛ ص ١٧٧أ-١٧٩ب. فيها: «مَن عبَدَ الاسمَ بالحقيقة فقد عبدَ المعنَى... ذلك أنّ الرجل إسمه إسمٌ لنفسه ومعنىً لنفسه من غير فصلٍ بين المعنَى واسمه. فمَن عرف هذا القول فقد عبدَ الاسمَ بحقيقة المعنى، لأنّ المعنى باطنُ اسمِه وهو فوقَه».

٨. «**مناظرة** السيد الفاضل العلامة الشيخ يوسف ابن العجوز الحلبي المعروف بالنشّابي، قدّس الله روحَه. يذكرُ التوحيدَ المشعشَعَ من نور البيت الشُعَيبي الجليل الشامخ معدن الأصل والشرف الباذخ»، رقم ١٤٥٠؛ ورقة ٦٨ أ-١٥٥ ب.

٩. «**شرح الإمام** وما يوجب عليه وما يلزمه في منصبه وما يكون الإمام مترتب عليه في كلِّ شيء مع الناس وما وصفه في هذه الرواية». رقم ١٤٥٠؛ ورقة ١٥٥-١٦٧.

١٠. «**رسالة البيان** لأهل العقول والأفهام ومَن طلبَ الهدى إلى معرفة الرحمَن». رقم ١٤٥٠؛ ورقة ٥٣ ب-٦٧ ب. فيها عن «الاسم والباب والأيتام وجميع أهل المراتب في العالم العلوي والسفلي وكيف ترتيبهم في ملكوت الله» (ص٥٤أ).

١١. **كتاب تعليم ديانة النصيريّة**، رقم ٥١٨٨ من المكتبة الوطنية في باريس؛ ورقم ٦١٨٢ من المكتبة نفسها. في نهاية هذا المخطوط يوجد كتاب

«**المشيخة**» وكتاب «**التوجيه**»، فيهما قدّاس الطّيب، وقدّاس البخور، وقدّاس الأذان، وقدّاس الإشارة... والأعياد... نَشره أنور ياسين في سلسلة الأديان السرّيّة، رقم ٦، في "دار لأجل المعرفة"، سنة ٩٨٦، مع مقدّمات وحواشي.

١٢. «**كتاب مجموع الأعياد** والدلالات والأخبار المبهرات، وما فيها من الدلائل والعلامات، جَلَّ مُظهِرُها عن الآباء والأمّهات، والإخوة والأخوات. تأليف الأجلّ الأجمل، معدنِ الجُود والتوحيد، والفضل والتأييد، الشاب الثقة أبو سَعيد، ميمون بن القاسم الطبراني، قدّس اللّه روحَه ونوّر ضريحه»، مخطوط رقم ٤٢٩٢، من المكتبة الملكِية ببريلين...

١٣. **كتاب الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيريّة**، تأليف سليمان أفندي الأذني، طبع في بيروت ١٨٦٣؛ ١١٩ صفحة. نَقل معظمه إلى الانكليزية E. Salisbury (رقم ١٤) الذي ينقل عن فَانْ دَايْكْ قوله عنه: «هذا الكتاب وضعه نصيريٌّ خامرتْه الشكوك في ديانته، فارتدّ عنها ليصير يهوديًا، ثمّ مسلماً، ثمّ أرثوذكسيًا، ثمّ بروتستانتيًا. أُخِذ كجندي إلى أَدَنة، ثمّ إلى الشام حيث أُطلق سبيلُه. أتى بيروت وكتبَ كتابه. ثمّ ذهب إلى اللأذقيّة، وعاد إلى وطنِه الأصلي، وهناك أماتوه بشرّ ميتة، بإحراقه حيًا».

وكتب M. Geofroy إلى R. Dussaud في ٢٥ أذار سنة ١٨٩٨: «أُرسِلُ إليكَ هذا الكتاب بعد عناء البحث عنه. ويمكنك الاعتماد عليه، لأنّه، بعد استقصاء المعلومات عنه، رأيتُ أنّ كلَّ ما قيل فيه صحيح».

وقال نُصيريٌّ خبيرٌ في شؤون دينه: «إنّ كتاب الباكورة صحيحٌ ودقيقٌ إلى أبعد حدود الصحّة والدقّة، وكاملٌ شامل. إنْ كنتَ تملكه بمجمله دون تحريف لم يعد لك بغيره حاجة. إنّ كاتبَه كان شيخاً نُصيريًا في بلدةٍ في ضواحي أنطاكيا، يَعرف الديانةَ جيّداً... اغتيل في طرسوس على أيدي نصيريّين».

نشـره أبو موسى الحـريري في «سلسلة الأديان السّـرّيّة»، رقم ٧، دار لأجل المعرفة، سنة ١٩٨٨.

١٤. E.SALISBURY, **The Book of Sulaimân's First Ripe Fruit, Disclosing the Mysteries of the Nusairian Religion**..., in Journal of the American Oriental Society, t. VIII, p. 227-308.

١٥. R.DUSSAUD, **Histoire et Religion des Nosairis**, Paris 1900, Lib. E. Bouillon, 213 pp.

١٦. H.LAMMENS, **Les Nosairis, notes sur leur histoire et leur religion**, in Etudes, Paris 1899, pp. 461-494.

١٧. H.LAMMENS, **Au pays des Nosairis**, in Revue de L'Orient Chrétien, Paris 1899, pp. 572-590, et 1900, pp 99-117; 303-318; 423-444; 1901, p. 33; 1902, p. 442; 1903, p. 149.

١٨. H.LAMMENS, **Les Nosairis furent-ils chrétiens**. A propos d'un livre récent, in Revue de l'Orient Chrétien, 1900, pp. 1-18.

١٩. H.LAMMENS, **Le Pays des Nosairis, Itinéraire et Notes archéologiques**, in Musée Belge, t. IV. 1900, pp. 277-323.

٢٠. H. LAMMENS, **Notes de Géographie syrienne**, in Mélanges de la Faculté Orientale de l'Université Saint-Joseph, I, 1906, pp. 271-283.

٢١. L.MASSIGNON, **Les Nusayris**, in Opera Minora, t.I.1960, Dar Al-Maaref-Liban, pp. 619-649 حيث يوجد لائحة مفصّلة بالمصادر والمراجع النصيريّة.

٢٢. L. MASSIGNON, **Nosairi**, in Encycl. de l'Islam.

٢٣. Journal Asiatique, t. XIV, pp. 190-261. Voir les années: 1848, pp. 162-166; p. 150; 1876; 1871; 1876; 1879; 1915; 1921.... حيث يـوجد في هذه الأعداد تحليل لكتاب مجموع الأعياد، وللباكورة السليمانيّة، ولفتوى

ابن تيمية، وللأشعار النصيريّة، ولبعض مؤلّفات الطبراني، ولائحة مفصّلة بالكتب النصيريّة جمعها «كاتافاغو»....

٢٤. Jacques WEULERESSE, **Le pays des Alaouites**, 2 t., Tours 1940.

٢٥. Lieutenant Colonel Paul JACQUOT, **L'Etat des Alaouites, terre d'art, de souvenirs et de mystère**. Guide de touristique, Imp. Catholique Beyrouth, 1929.

٢٦. Pierre MAY, **L'Alaouite, ses croyances, ses mœurs, les cheikhs, les lois de la tribu et les chefs**. Introduction de Monsieur le Gouverneur SCHOEFFLER, délégué du Haut-Commissaire auprès du Gouverneur de Lattaquié; 80 pp.

٢٧. Munîr Mushâbih MÛSÄ, **Etude sociologique des Alaouites ou Nusaîris**, thèse de doctortat dactyl. Paris, 1958, en 2 vol.

٢٨. Antoine AUDO, **Zaki al-Arsouzi, un arabe face à la modernité**, thèse de doctorat de 3ème cycle, Univ. de Paris III, Sorbonne Nouvelle, Juin 1979. Sous la direction de Mr. A. Miquel.

٢٩. Jean LAPIERRE, **Le Mandat français en Syrie**, Paris 1973.

٣٠. **مذاهب الإسلاميّين**، تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي، الجزء الثاني: الإسماعيليّة، القرامطة، النّصيريّة، الدروز؛ دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٢، ص ٤٢٣-٥٠٦. صودر هذا الجزء من المكتبات.

٣١. محمّد أمين غالب الطويل، **تاريخ العلويّين**، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٦، ٤٨٨ ص.

٣٢. محمّد محمود سليمان، **المجتمع العلوي في القرن العشرين**، تذكرة مطبوعة على الآلة الكاتبة، مقدّمة في كليّة الآداب بدمشق، سنة ١٩٥٦، ١٠١٣ صفحة.

٣٣. منير الشريف، **المسلمون العلويّون، مَن هم؟ وأين هم؟** الطبعة الثالثة ١٩٦١، المطبعة العمومية بدمشق، ٢٥٨ صفحة.

٣٤. **كتاب الهفْت والأظلّة**، المنسوب إلى المفضّل بن عمر الجعفي، حقّقه وقدّم له عـارف تامر والأب أ. عـبـده خليفـه اليـسـوعي، دار المشرق بيـروت ١٩٦٩؛ ٢١٣ ص.

٣٥. **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ستِيفنْ هامْلي لونغريغ، دار الحقيقة بيروت، ١٩٧٧، ترجمة بيار عقل، ٤٦٢ صفحة.

٣٦. كمـال جنبلاط، **هذه وصيّـتي**، مـؤسّســة الوطن العربي، منقـول من الفرنسية إلى العربية، ١٩٧٨، ١٥٨ صفحة.

٣٧. **رسائل الحكمة**، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ستّة أجزاء في ثلاثة مجلّدات ٨٦٣ صفحة. بيروت.

٣٨. **العلويّون، شيعة أهل البيـت. بيان عن عقيدة العلويّين**، أصدره الأفاضل من رجـال الدين من المسلمين (العلـويّين) في الجمـهـوريّتين الســوريّة واللبنانيّة. دار الصادق بيروت؛ بدون تاريخ، ٣٢٠ ص.

٣٩. السيّد عبد الحسين مهدي العسكري (؟)، **العلويّون أو النصيريّة**، ١٤٠٠ هـــ/ ١٩٨٠م؛ بدون دار نشر؛ ١٢٦ ص.

٤٠. هاشم عثـمان، **العلويّون بين الأسطورة والحقـيقة**؛ مؤسّـسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٨٠؛ ٣٢٠ ص.

فهرس الكتاب

فهرس الكتاب

